تهذيب

كتاب التوحيد

قد عرف أهل الشرق والغرب أنه لم يصنف أحد
في التوحيد والقدر وأصول العلم مثل تصنيف
ابن خزيمة

للحافظ الحجة إمام الأئمة
محمد بن إسحاق بن خزيمة
٢٢٣ - ٣١١ هـ

هذبه وعلق عليه

الدكتور سمير بن أمين الزهيري

دار الإمام مسلم


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

تهذيب

كتاب التوحيد

للحافظ الحجة إمام الأئمة

محمد بن إسحاق بن خزيمة

٢٢٣ - ٣١١ هـ

قد عرف أهل الشرق والغرب أنه لم يصنف أحد

في التوحيد والقدر وأصول العلم مثل تصنيفي

ابن خزيمة

هذبه وعلق عليه

الدكتور سمير بن أمين الزهيري

دار الإمام مسلم

الطبعة الأولى

١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

دار الإمام مسلم للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية - المدينة المنورة

جوال: 00966532627111

البريد الالكتروني: DAR.ALKTAB.ALALME@GMAIL.COM



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله رب العالمين ، له الحمدُ في الأولىٰ ، وله الحمد في الآخرة ، خلق الخلق فأشهدهم علىٰ أنفسهم ، فقال : ﴿وإذْ أخذَ ربُّك مِن بني آدمَ من ظُهورِهم ذُرِّيّتهم وأشهدَهم علىٰ أنفسِهم ألستُ بربكم قالوا بلىٰ شَهِدنا أن تقولوا يومَ القيامةِ إنَّا كنا عن هذا غَافِلين﴾ [الأعراف : ١٧٢] .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الأسماء الحسنىٰ والصفات العلىٰ ، لا يشبهه أحدٌ من خلقه ، ولا يشبه أحدًا من خلقه ﴿ليس كمِثْلِهِ شيءٌ وهو السميعُ البصيرُ﴾ .

وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ، أُرسل إلىٰ الناس كافة بشيراً ونذيراً ، ما ترك شيئًا مما يقرّب إلىٰ الجنة إلا وحثّ عليه ، ولا شيئًا مما يقرّب من النار إلا وحذَّر منه .

من أطاعه ـ ﷺ ـ دخل الجنة ، ومن عصاه فقد أبىٰ .

أما بعد : فإنني منذ أخرجتُ « **كتاب التوحيد** » لإمام الأئمة محمد بن إسحاق بن خزيمة ـ رحمه الله ـ وأنا أفكر في اختصار هذا الكتاب من باب تقريبه للكافة ؛ إذ من المعلوم أن كثيراً من الناس ـ خاصّة في زماننا هذا ـ يعزفون عن قراءة الكتب المسندة ! خاصة إذا كانت هذه الكتب مثل كتاب التوحيد هذا الذي تفنن فيه إمام الأئمة بذكر الأسانيد الكثيرة والطرق المتعددة للمتن الواحد ، والمختصرات أيضًا سبيل مسلوكة لأئمتنا السابقين فمن أجل هذا وذاك صنعت هذا المختصر تقريبًا لأصله وتسهيلاً لمن أراده .

وأسأل الله عز وجل أن ينفع بهذا المختصر كما نفع بأصله .

أما منهجي في الاختصار فيمكن تلخيصه فيما يلي:

١ ـ حذف الأحاديث الضعيفة، وكذلك الآثار التي لم تصح عن قائليها والكلام المتعلق بذلك إلا أن تكون هناك ضرورة للإبقاء على شيء من ذلك، مع توضيح الضعف وبيانه للقارئ.

٢ ـ حذف الأسانيد سوى اسم الصحابي ومن له تعلق بالمتن.

٣ ـ جمع روايات الحديث الواحد ـ بشرط الصحة في جميع تلك الروايات ـ وسوق تلك الروايات في نسق واحد، وهذا فن دقيق يحتاج إلى أناة شديدة وصبر ؛ إذ قد تُظن الرواية زيادة والعكس بالعكس، ونجد هذا في صنيع بعض أهل العلم.

ومنهجي في ذلك أن ما كان بين معقوفين[ ] فهو زيادة من رواية، وما كان بين هلالين( ) فهو رواية.

مثال ذلك:

الحديث الأول في الكتاب وهو الحديث القدسي: «يقول الله: أنا مع عبدي...». رواه ابن خزيمة رحمه الله من ثلاثة طرق

فقال[١ ـ حدثنا يعقوبُ بنُ إبراهيم الدَّوْرَقيّ قال: حَدَّثنا أبو مُعاوية قال: حدَّثنا الأعْمشُ، عن أبي صالحٍ

عن أبي هُريرة رضيَ الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «يَقُولُ اللهُ: أَنَا مَعَ عَبْدِي حِينَ يَذْكُرُني، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِه، ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي في مَلأٍ، ذَكَرْتُهُ في مَلأٍ خَيْرٍ مِنْهُم».

٢ ـ حدثنا عبد الله بن سعيد الأشج قال: حَدَّثنا ابنُ نُميرٍ قال: أخبرنا الأعمشُ بهذا الإسناد. مثله.

٣ ـ حدثنا بِشرُ بنُ خالدٍ العسكريُّ قال: أخبرنا محمدٌ ـ يعني: ابن جعفر ـ عن شُعْبَةَ، عن سُليمان ـ وهو: الأعمش ـ قال: سمعتُ ذَكوان [وهو] يحدِّثُ

عن أبي هُريرة، عن النبيِّ ﷺ قال: «قَالَ اللهُ: عبدِي عِنْدَ ظَنِّه بي، وأَنا مَعَه إذَا دَعَاني؛ إنْ ذَكَرَني في نَفْسِهِ، ذَكَرْتُه في نَفْسِي، وإنْ ذَكَرَنِي في مَلأٍ، ذَكَرْتُهُ فِي مَلأٍ خَيْرٍ منْهُم، وأَطْيَبِ»]. أهـ.

■ فكان عملي فيه حذف السند الأول والثالث والإبقاء على اسم الصحابي راوي الحديث. أبي هريرة رضي الله عنه.

ثم جمعت بين المتنين في نسق واحد فكان كالتالي:

[عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله: [عبدي عند ظنه بي، و] أنا مع عبدي حين يذكرني (إذا دعاني)، فإن ذكرني في نفسه، ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأٍ ذكرته في ملأ خير منهم [وأطيب]»].

وبذلك يكون قوله: «عبدي عند ظنه بي، و» زيادة من الرواية الثالثة في كتاب التوحيد، وكذلك قوله: «وأطيب». وأما قوله: «إذا دعاني» فهي رواية وقعت في الطريق الثالث للحديث بدل قوله «حين يذكرني» في الطريق الأول.

وبرد كلٍّ إلى موضعه أصبحت صورة الحديث كما ذكرته آنفًا.

وقد كنت في بادئ الأمر أذكر الزوائد والروايات بأرقامها في الأصل، ولكن رأيت أنها مثقلة، وربما ليست لها فائدة لقارئ هذا المختصر، خاصة وأنني قد أبقيت ترقيم الأحاديث في هذا المختصر كترقيم أصله؛ تيسيراً على من أراد التوسع في التخريج، فإنه إذا رجع إلى نفس الرقم في الأصل وقف

على زيادة التخريج، وأيضًا على الأرقام الأخرى للحديث في الكتاب والتي منها أُخذت الزيادات والروايات.

٤ ـ حرصت كل الحرص على الإبقاء على كلام إمام الأئمة دون تغيير أو حذف أو اختصار؛ وذلك لنفاسة كلامه، سواء كان ذلك في تقريره لعقيدة السلف، أو شرحه للحديث، أو توفيقه بين الأحاديث التي قد يبدو من ظاهرها التعارض، أو رده على المخالف... أو غير ذلك.

٥ ـ اختصرت التخريج في هذا الكتاب، وهذا من لازم المختصر.

٦ ـ علقت على ما يحتاج ـ أو ظننت أنا أنه يحتاج ـ إلى تعليق.

هذا باختصار أهم ملامح هذا المختصر.

وكتب: **سمير بن أمين الزهيري**

١/ ١/ ١٤٢٧هـ



بسم الله الرحمن الرحيم

[رب يسر وأعن][1]

الحمدُ لله العليّ العظيمِ، السَّميعِ البصيرِ، الحكيم[2] الكريم، اللطيف الخبير، ذِي النِّعمِ السَّوابغ، والفضلِ الواسعِ، والحجج البَوالغ تعالىٰ ربُّنا عن صفاتِ المحدودين، وتقدَّسَ عن شَبَهِ المخلوقين، وتنزَّه عن مَقالةِ المعطِّلين.

علا ربُّنا، فكان فوقَ سبعِ سماواته عاليًا، ثم علىٰ عرشِه استوىٰ.

يعلمُ السرَّ وأخفىٰ، ويسمعُ الكلامَ والنَّجوىٰ، ولا تخفىٰ[3] عليه خافيةٌ في الأرضِ، ولا في السَّماءِ، ولا في لُجَجِ البحارِ، ولا في الهواءِ.

والحمدُ لله الذي أنزلَ القرآنَ بعلمِه، وأنشأَ خلقَ الإنسانِ من ترابٍ بيده، ثم كَوّنه بكلمتِه، واصطفىٰ رسولَه؛ إبراهيمَ [عليه السلام][4] بخُلّته، ونادىٰ كَلِيمه؛ موسىٰ صلوات الله عليه، فقرّبَه[5] نجيًّا، وكلَّمه تكليمًا، وأمرَ نبيّه نوحًا عليه السلام بصنعةِ الفُلْكِ علىٰ عينه.

وخبَّرنا أن أُنثىٰ لا تحملُ، ولا تضعُ إلا بعلمِه، كما أعلَمَنا أنّ كلَّ شيءٍ هالكٌ إلا وجهه، وحذَّر عبادَه نفسَه التي لا تُشبه أنفُسَ المخلوقين.

أحمدُه علىٰ ما مَنَّ عليّ من الإيمانِ بجميعِ صفاتِ ربِّي عز وجل التي وصفَ بها نفسَه في مُحكمِ تنزِيله، وعلىٰ لسانِ نبيِّه ﷺ حمدَ شاكرٍ لنعمائِه التي لا يُحصيها أحدٌ سواه.

---

(١) زيادة من «ظ».

(٢) في «ظ»: «الحليم».

(٣) كذا في «الأصل»، وفي المطبوع، و«ظ»: «يخفىٰ».

(٤) زيادة من «ظ».

(٥) في «ظ»: «وقرّبه».

وأشكرُه شكرَ مُقرٍّ مصدِّقٍ بحُسن آلائه، التي لا يقفُ على كثرتِها غيرُه جلّ وعلا، وأومنُ به إيمانَ مُعترفٍ بوحدانيّته، راغبٍ في جزيلِ ثوابه، وعظيمِ ذخره بفضله وكرمه وجُوده، راهبٍ وَجِلٍ خائفٍ من أليمِ عقابه؛ لكثرةِ ذُنُوبه وخَطاياه وحوباته[1].

وأشهدُ أن لا إله إلا الله، إلهًا واحدًا، فردًا صمدًا، قاهرًا قادرًا، رؤوفًا رحيمًا، لم يتخذْ صاحبةً ولا ولدًا، ولا شريكًا له في مُلكه.

العدلُ في قضائه، الحكيمُ في فِعَاله، القائمُ بين خلقه بالقسطِ، الممتنّ على المؤمنين بفضله؛ بذلَ لهم الإحسانَ، وزيّن في قُلوبهم الإيمانَ، وكرَّه إليهم الكُفرَ والفُسوقَ والعِصْيانَ، وأنزلَ على نبيّه الفُرقانَ، وعلَّم القرآنَ، فتمت نعماءُ ربِّنا جل وعلا، وعظمتْ آلاؤُه على المطيعين له.

فربُّنا جلّ ثناؤه المعبود موجودًا، والمحمود ممجّدًا.

وأشهدُ أن محمدًا ﷺ رسولُه المصطفى، ونبيُّه المرتضى، اختارَه الله لرسالته ومستودَع أمانته، فجعلَه خاتمَ النبيّين، وخيرَ خلقِ ربِّ العالمين، أرسلَه بالهُدى ودين الحقّ؛ ليُظهره على الدِّينِ كلِّه[2]، ولو كرِه المشركُون، بعثه

(١) جمع «حوبة»، بفتح الحاء وضمها. قيل: الفتح لغة الحجاز، والضم لغة تميم. ومعناه: الإثم. ومنه قول الله عز وجل: ﴿وءَاتُوا اليَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُم إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾[النساء: ٢].

ومنه أيضًا قول النبي ﷺ:

«رب تقبل توبتي، واغسل حوبتي»، صحيح. رواه الترمذي (٣٥٥١) من حديث ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ وقال: «حديثٌ حسنٌ صحيحٌ».

ومنه أيضًا قوله ﷺ: «الربا سبعون حوبًا...»، رواه ابن ماجه (٢٢٧٤) من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ وصححه شيخنا ـ رحمه الله ـ في «صحيح الجامع الصغير»، وفي «صحيح سنن ابن ماجة».

(٢) في «ظ»: «الأديان كلها».

بالكتابِ المسطُورِ في اللوحِ المحفوظ ، فبلَّغ عن الله عزّ وجل حقائقَ الرسالة ، وأنقذَ به أمتَه من الردىٰ والضَّلالة .

قامَ بأمر الله تعالىٰ ما[1] استرعاه ربّه من حقِّه ، واستحفظَه من تنزيله ، حتىٰ قبضَه الله إلىٰ كرامته ، ومنزلةِ أهلِ ولايته ، الذين رضي أعمالَهم حميداً ، رضيًا سعيداً ، كما سبقَ له من السعادةِ في اللوحِ المحفوظ ، والإمام المبين قبل أن يُنشئ الله نسمتَه .

فعليه صلواتُ الله وسلامُه حيًّا محموداً ، وميتًا مفقوداً ، أفضل صلاةٍ وأنماها وأزكاها وأطيبها ، وأبقىٰ الله في العالمين محبّتَه ، وفي المقرَّبين مودّته ، وجعلَ في أعلىٰ علّيين درجتَه .

صلىٰ الله عليه ، وعلىٰ آله الطَّيبين .

أما بعدُ :

فقد أتىٰ علينا بُرهةٌ[2] من الدَّهرِ ، وأنا كارهٌ الاشتغالَ[3] بتصنيفِ ما يشُوبُه شيءٌ من جنسِ الكلام من الكُتب ، وكان أكثرَ شُغلنا بتصنيف كُتُبِ الفقهِ التي هي خلوٌ من الكلامِ في الأقدارِ الماضيةِ ، التي قد كفرَ بها كثيرٌ من مُنتحِلي الإسلام ، وفي صفات الله عزّ وجل التي قد نفاهَا ، ولم يؤمن بها المعطِّلُونَ ، وغيرِ ذلك من الكُتبِ التي ليستْ من كُتبِ الفقه .

وكنتُ أحسبُ أن ما يجرِي بيني وبين المناظِرين ؛ من أهلِ الأهواء في جنسِ الكلام في مَجَالِسنا ، ويظهرُ لأصحابي الذين يحضرونَ المجالسَ

(١) في «ظ» : «بما» .

(٢) البرهة : بفتح الموحدة وضمها : المدة الطويلة من الزمان . انظر «لسان العرب» مادة «بره» .

(٣) في «ظ» : «للاشتغال» .

والمناظَرةَ من إظهارِ حقِّنا على باطلِ مُخالِفينا في المناظرةِ كافٍ من تصنيفِ الكُتبِ على صحّةِ مذهَبِنا، وبُطلانِ مذاهبِ القومِ، وغُنيةٌ عن[1] الإكثارِ في ذلك.

فلمّا حدثَ في أمرِنا ما حدثَ مما كان الله قد قضاهُ، وقدّر كونَه مما لا مَحيصَ لأحدٍ، ولا موئلَ[2] عما قضى الله كونَه في اللوحِ المحفوظِ قد سطَّره من حَتْمِ قضائه، فمُنِعْنا من الظهورِ، ونشرِ العلمِ، وتعليمِ مُقتبسِي العلم بعضَ ما كان الله قد أودعنا من هذه الصناعة.

كنتُ أسمعُ من بعضِ أحداث طُلاَّبِ العلم والحديث ممن لعلَّه كان يحضر بعضَ مجالسِ أهل الزيغِ والضَّلالة؛ من الجهميّة المعطِّلة[3] والقدرية المعتزلة[4] ما تخوفتُ أن يميلَ بعضُهم عن الحقِّ والصَّوابِ من القول إلى البَهْتِ والضَّلالِ في هذين الجنسين من العلم.

فاحتسبتُ في تصنيفِ كتابٍ يجمعُ هذين الجنسينِ من العلمِ؛ بإثبات

---

(١) في «ظ»: «من».

(٢) الموئل: الملجأ. قال تعالى: ﴿وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مَوْئِلا﴾.

(٣) سيأتي التعريف بهذه الفرقة الضالة ص (١٤).

(٤) هذه الفرقة الضالة افترقت فيما بينها عشرين فرقة، وكل فرقة منها تكفر سائر الفرق، وتجتمع كلها على أصول مبتدعة، وهي: **التوحيد**: ومرادهم به نفي الصفات. **والعدل**: ومرادهم به نفي القدر. **والمنزلة بين المنزلتين**: ومرادهم بها أن الفاسق أو مرتكب الكبيرة ليس بمؤمن وليس بكافر وإنما هو بمنزلة بين المنزلتين. **وإثبات الوعيد**: فيوجبون على الله تبارك وتعالى إنفاذ وعيده. **والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**: فيرون وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع الإمكان والقدرة باللسان واليد والسيف كيف قدروا على ذلك.

ولهم مقالات ضلالة وابتداع، منها: قولهم باستحالة رؤية الله عز وجل في الآخرة بالأبصار. ومنها: قولهم بخلق القرآن. انظر «مقالات الإسلاميين» (١/ ٢٣٥)، و«الفرق بين الفرق» ص (١١٤).

القولِ بالقَضَاءِ السَّابقِ، والمقادِيرِ النافذةِ قبلَ حُدوثِ كسبِ العبادِ والإيمانِ بجميعِ صفاتِ الرحمنِ الخالقِ جلّ وعلا، مما وصفَ الله به نفسَه في مُحكمِ تنزيله؛ الذي لا يأتيه الباطلُ مِن بين يديهِ، ولامِن خَلْفه، تنزيلٌ من حُكيمٍ حميدٍ.

وبما صحّ وثبتَ عن نبيّنا ﷺ بالأسانيد الثابتةِ الصَّحيحة؛ بنقلِ أهلِ العدالة موصُولاً إليه ﷺ.

ليعلم[1] الناظرُ في كتابنا هذا ممن وفّقه الله [تعالى][2] لإدراكِ الحقّ والصَّواب، ومَنَّ عليه بالتوفيقِ لما يُحب ويرضى صِحَّةَ مذهبِ أهلِ الآثار في هذين الجنسين من العلمِ، وبُطلانِ مذاهبِ أهلِ الأهواءِ والبِدَعِ؛ الذين هم في رَيْبِهِم وضَلالَتِهِم[3] يعمهون.

وبالله ثقتِي، وإيَّاه أسترشد، ولا حولَ ولا قوّة إلا بالله العليّ العظيم.

[و][4] قد بدأتُ «كتاب القدر» فأمليتُه.

وهذا:

كتاب التوحيد

فأول ما نبدأُ به من ذِكْرِ صفات خالِقنا ـ جلّ وعلا ـ في كتابِنا هذا:

---

(١) في «ظ»: «فيعلم».

(٢) زيادة من: «ظ».

(٣) كذا بالأصل، وفي «ظ»: «وضلالهم».

(٤) زيادة من: «ظ».



١ ـ ذِكْرُ نَفْسِه
جلّ ربُّنا عن أن تكون نفسُه كنفسِ خَلْقه
وعز [عن][١] أن يكون عَدَمًا لا نفسَ له

قال الله جلّ ذِكرُه لنبيِّه محمدٍ ﷺ: ﴿وَإذا جاءَكَ الّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآياتِنَا فَقُلْ سَلامٌ عَلَيكُم كَتَبَ ربُّكُم علىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾[الأنعام: ٥٤].

فأعلَمنا ربُّنا أنَّ له نَفْسًا ـ كَتب عليها الرحمةَ ـ؛ ليرحمَ بها مَن عَمِل سوءًا بجهالةٍ، ثم تابَ مِنْ بعده، علىٰ ما دلّ عليه سياق هذه الآية.

وهو قوله: ﴿أنَّه مَنْ عَمِلَ مِنْكُم سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّه غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأنعام: ٥٤].

وقال الله جلّ ذِكْرُه لكليمه؛ موسىٰ: ﴿ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَا مُوسَىٰ واصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾[طه: ٤٠ ـ ٤١].

فثبّت اللهُ أن له نفسًا اصطنعَ لها كليمه موسىٰ عليه السلام.

وقال جلّ وعلا: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ وَاللهُ رَؤُوفٌ بِالعِبَادِ﴾ [آل عمران: ٣٠]. فثبت الله أيضًا في هذه الآية أن له نفسًا.

وقال روحُ الله عيسىٰ ابنُ مريم مُخَاطبًا ربَّه: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ ما فِي نَفْسِكَ إنَّكَ أَنْتَ عَلامُ الغُيُوب﴾ [المائدة: ١١٦].

فروحُ الله عيسىٰ ابن مريم يعلم أن لمعبُوده نَفْسًا.

---

(١) زيادة من «ظ».

٢ ـ باب ذكر البيان من خبرِ النّبيِّ ﷺ في إثباتِ النّفْس لله على مثلِ موافقة التّنزِيل الذي بين الدّفتين مَسطورٌ وفي المحارِيب والمساجد والبُيوتِ والسّكك مقروءٌ[١]

١ ـ عن أبي هُريرة رضيَ اللهُ عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «يَقُولُ اللهُ: [عبدي عند ظنه بي[٢]، و] أَنَا مَعَ عَبْدِي حِينَ يَذْكُرُنِي (إذا دعاني)، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ، ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلأٍ خَيْرٍ مِنْهُم [وأَطْيب]»[٣].

---

(١) المراد بـ: خبر النبي ﷺ»: سنته، و«التنزيل»: هو القرآن العظيم المجموع في المصحف، و«المحاريب»: جمع محراب «الغرفة. وفسر به قوله تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ﴾، والقصر: وفي التنزيل العزيز: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ﴾، وصدر البيت، وأكرم موضع فيه، ومقام الإمام من المسجد». و«السكك»: جمع سكة، وهي: الطريق.

(٢) قال القرطبي في «المفهم» (٧/ ٥ ـ ٦):
«قوله تعالى: «أنا عند ظن عبدي بي»، قيل: معناه ظنّ الإجابة عند الدعاء، وظنُّ القبول عند التوبة، وظن المغفرة عند الاستغفار، وظن قبول الأعمال عند فعلها على شروطها تمسُّكًا بصادق وعده، وجزيل فضله.
قلتُ: ويؤيِّده قولُه ﷺ: «ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة». وكذلك ينبغي للتائب والمستغفر، وللعامل أن يجتهدَ في القيام بما عليه من ذلك، مُوقنًا أن الله تعالى يقبلُ عمله، ويغفرُ ذنبه، فإن اللهَ تعالى قد وعد بقبول التوبة الصَّادقة، والأعمال الصَّالحة، فأمَّا لو عمل هذه الأعمال، وهو يعتقد، أو يظنُّ أن الله تعالى لا يقبلها، وأنها لا تنفعُه، فذلك هو القنوطُ من رحمة الله، واليأس من رَوْح الله، وهو من أعظم الكبائر، ومَن مات على ذلك وَصَلَ إلى ما ظنَّ منه، كما قد جاء في بعض ألفاظ هذا الحديث: «أنا عند ظنِّ عبدي بي، فليظنَّ عبدي بي ما شاءَ». فأما ظنُّ المغفرة والرَّحمة مع الإصرار على المعصية، فذلك محضُ الجهل، والغرة، وهو يجرُّ إلى مذهب المرجئة». أهـ.

(٣) صحيح. رواه البخاري(٧٤٠٥)، ومسلم(٢٦٧٥)، وزادا: «وإن اقترب إليَّ شبرًا اقتربت إليه ذراعًا، وإن اقترب إليّ ذراعًا اقتربت إليه باعًا، فإن أتاني يمشي أتيته هرولة».

٤ ـ عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «قال اللهُ تبارك وتعالىٰ: ابنَ آدم! اذكُرْني في نَفْسِكَ، أذكركَ في نفسي(إن ذَكرتَني في نفسِكَ، ذكرتُكَ في نَفْسِي) وإنْ ذكرتَني في ملأ ذكرتُكَ في ملأ من الملائكةِ» أو قال: «في ملإ خَيْرٍ منهم»[١]

٥ ـ عن ابن عباس؛ أنّ النبيَّ ﷺ حينَ خَرَجَ إلىٰ صلاة الصُّبح ـ وجُويرية جالسةً في المسجدِ ـ فَرَجَعَ حينَ تعَالَىٰ النَّهارُ؛ قالَ: «لَم تَزالي جَالسةً بَعْدي؟». قالتْ: نعَمْ. قَالَ: «قد قُلتُ بَعْدَكِ أرْبَعَ كَلمَاتٍ لَو وُزِنَتْ بِهِنَّ لَوَزَنَتْهُنَّ: سُبْحَانَ اللهِ وَبحمْدِهِ؛ عَدَدَ خَلْقِهِ، ومِدَادَ كَلِمَاتِهِ، وَرِضَا نَفْسِهِ، وَزِنَةَ عَرْشِهِ»[٢].

٦ ـ عن أبي هُريرة رضي الله عنه؛ أَنَّ رسول الله ﷺ قال: «لَمَّا قَضىٰ (خلق) اللهُ الخَلقَ كَتَبَ [بيده[٣]] في كِتَابِهِ علىٰ نَفْسِهِ، فَهوَ مَوضُوعٌ عِنْدَهُ: إنَّ

---

(١) صحيح. وهو في «مصنف عبد الرزاق» (١١/ ٢٩٢ ـ ٢٩٣)، وعنه أحمد (٣/ ١٣٨)، ومن طريقه عبد بن حميد في «المنتخب» (١١٦٩)، والبغوي في «شرح السنة» (١٢٥٠)، والبيهقي في «الصفات» ص(٦٢٦) به.

وزادوا ـ والسياق لعبد الرزاق، والزيادات لأحمد ـ: «وإن دنوت مني شبرًا دنوت منك ذراعًا، وإن دنوت [مني] ذراعًا دنوت [منك] باعًا، ولو أتيتني تمشي أتيتك أهرول»، قال معمر: قال قتادة: والله [عز وجل] أسرع بالمغفرة.

(٢) صحيح. ورواه الحميدي في «المسند» (٤٩٦). وفي أوله زيادة، وهي قول ابن عباس: «وكان اسمها بَرّة، فسماها جويرية. كره أن يقال: خرج من عند برة».

ورواه البخاري في «الأدب المفرد» (٦٤٧) بتحقيقي، وأحمد (٢٣٣٤ / شاكر)، وأبو داود (١٥٠٣)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (١٦١ و١٦٣)، وابن حبان (٨٣٢)، والطحاوي في «المشكل» (٦٠٣٣ ـ ٦٠٣٧)، والهروي في «الأربعين» (١٠)

وعند أحمد قصة تغيير الاسم.

وقد جاء الحديث عن جويرية نفسها رضي الله عنها.

فرواه مسلم(٢٧٢٦)، والبخاري في «الأدب المفرد»(٦٤٧ بتحقيقي) عن جويرية؛ أن النبي ﷺ خرج من عندها... الحديث.

(٣) قلت: في هذا الحديث لفظة: «بيده» رأيت من قال بشذوذها! بحجة تفرد عجلان بها عن أبي=

رَحْمَتِي نَالَتْ[1] (تغلب) غَضَبِي»[2].

قال لنا يونسُ: قال لنا أنسٌ: «نالت»[3].

قال أبو بكر: فالله جلّ وعلا أثبتَ في آيٍ من كتابه أنّ له نَفْسًا، وكذلك قد بيّن على لسانِ نبيه ﷺ أنّ له نفسًا.

وكفرتِ الجهميةُ بهذه الآي وهذه السُّنن، وزعمَ بعضُ جَهَلَتِهم أن الله تعالى إنما أضافَ النفسَ إليه على معنى إضافةِ الخلق إليه، وزعمَ أنّ نفسَه غيرُه كما أن خَلْقَه غيرُه.

=هريرة! وأنه ليس بذاك الثقة!

فاقول: لم يتفرد بها عجلان عن أبي هريرة، فقد وردت من طريق أبي رافع عن أبي هريرة، رواه ابن أبي عاصم(٦٠٨) بسند صحيح على شرط مسلم.

كما وردت من طريق أبي صالح عن أبي هريرة، رواه أحمد (٢/ ٣٩٧)، وفي سنده شريك بن عبد الله القاضي.

وانظر ما سيأتي برقم(٧٩).

وهذا القائل بشذوذ هذه اللفظة هو أصلاً منحرف عن مذهب أهل السنة والجماعة في هذا الباب، وإن كان أمره قد غبي على كثير من الناس ـ وغالبهم جهال ـ ومنهم ذاك الذي يبلغني عنه مديحه لهذا المنحرف!.

(١) كذا بالأصل، وفي «ظ»: «غلبت».

(٢) **صحيح**.

ورواه مسلم(٢٧٥١) (١٦)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» ص(٣٦١ ـ ٣٦٢)

وعندهما: «تغلب»، بدل: «نالت».

انظر رقم(٧٩).

(٣) يونس هو: ابن عبد الأعلى الصدفي المصري شيخ المصنف ـ في هذا الحديث ـ وهو ثقة من رجال مسلم، وأنس: هو ابن عياض شيخ يونس، وهو ثقة من رجال الشيخين.

وأراد المصنف رحمه الله أن يبين بقوله هذا أن هذه اللفظة: «نالت» قد سمعها على هذا الوجه من يونس، وأن يونس ثبته فيها بأنه سمعها هكذا من أنس، ولم أر من تابع أنسًا على هذا اللفظ، بل لم أر هذا اللفظ في مكان آخر غير هذا، والحديث كما تقدم في التخريج ورد بلفظ: «تغلب»، وفي بعض الروايات: «غلبت»، كما في النسخة «ظ»، وفي بعضها أيضًا بلفظ: «سبقت».

وهذا لا يتوهمه ذو لُبٍّ وعلمٍ، فضلاً عن أن يتكلَّم به.

قد أعلمَ اللهُ في مُحكمِ تنزيله أنَّه كتبَ على نفسِه الرحمةَ، أفيتوهّم مسلمٌ أن الله تعالى كتبَ على غيرِه الرحمة؟!

وحذَّر اللهُ العبادَ نفسَه، أفيحلُّ لمسلمٍ[1] أن يقولَ: إنَّ الله حذَّر العبادَ غيرَه؟!

أو يتأوّلَ قولَه لكليمه موسى: ﴿واصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾[طه: ٤١] فيقول: معناه واصطنعتُك لغيري من المخلوق.

أو يقول: أراد رُوحُ اللهِ بقوله: ﴿ولا أعلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ [المائدة: ١١٦] أراد: ولا أعلمُ ما في غيرِك؟

هذا لا يتوهمه[2] مسلمٌ، ولا يقولُه إلا معطِّلٌ كافرٌ.

٩ ـ عن أبي هُريرة رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ قال: «التقَى آدَمُ وَمُوسَى عليهما السلامُ، فَقَالَ له مُوسَى: أنتَ الذي أشْقَيْتَ النَّاسَ! وَأَخْرَجْتَهم مِنَ الجنَّة؟ قال: قَالَ آدمُ لموسَى ـ عَلَيهما السَّلامُ ـ أَنْتَ الذي اصْطَفَاكَ الله برسَالاتِه واصْطَنَعَكَ لِنَفْسِهِ، وَأَنْزَلَ عَلَيكَ التَّوراَةَ؟ قال: نَعَمْ. قال: فَهَلْ وَجَدْتَه كَتَبَهُ لِي قَبْلَ أنْ يَخْلُقَنِي؟ قال: نعمْ. قالَ: فَحجَّ آدَمُ مُوسى ـ عَلَيهِما السَّلامُ ـ». ثلاثَ مرَّاتٍ.

يريد: كرّر هذا القول ثلاث مرّات[3].

(١) تحرف في «ظ» إلى: «أفيجعل المسلم».

(٢) في «ظ»: «مالا يتوهمه».

(٣) صحيح. ورواه البخاري(٤٧٣٦)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» ص(٣٦٢) من طريق مهدي ابن ميمون بهذا الإسناد.

وقوله: «فحجّ آدمُ موسى»، هو القول المكرر ثلاثًا كما جاء التصريح بذلك في غير هذا الموطن. =

. . . .

=وقوله: «آدم» مرفوع بالاتفاق على أنه الفاعل، ومما يزيد ذلك توضيحًا رواية أحمد (٢/ ٢٦٨) لهذا الحديث بسند صحيح على شرط الشيخين، وفيه: «فحجَّه آدمُ». والمعنى: غلبه بالحجة، وظهر عليه.

قال ابن عبد البر في «التمهيد»(١٨/ ١٧):

«هذا الحديث من أوضح ما روي عن النبي ﷺ في إثبات القدر، ودفع قول القدرية».

وقال أيضًا (١٨/ ١٥ ـ ١٦):

«وفيه الأصل الجسيم الذي أجمع عليه أهل الحق، وهو أن الله ـ عز وجل ـ قد فرغ من أعمال العباد، فكل يجري فيما قدر له وسبق في علم الله تبارك اسمه.

وأما قوله: أفتلومني على أمر قد قدر علي؟ فهذا ـ عندي ـ مخصوص به آدم؛ لأن ذلك إنما كان منه ومن موسى ـ عليهما السلام ـ بعد أن تيب على آدم، وبعد أن تلقى من ربه كلمات تاب بها عليه؛ فحسن منه أن يقول ذلك لموسى؛ لأنه قد كان تيب عليه من ذلك الذنب؛ وهذا غير جائز أن يقوله اليوم أحد إذا أتى ما نهاه الله عنه، ويحتج بمثل هذا، فيقول: أتلومني على أن قتلت أو زنيت أو سرقت، وذلك قد سبق في علم الله وقدره علي قبل أن أخلق؟ هذا ما لا يسوغ لأحد أن يقوله، وقد اجتمعت الأمة أن من أتى ما يستحق الذم عليه فلا بأس بذمه، ولا حرج في لومه؛ ومن أتى ما يحمد له، فلا بأس بمدحه عليه وحمده؛ وقد حكى مالك عن يحيى بن سعيد معنى ما ذكرنا: أن ذلك إنما كان من آدم ـ عليه السلام ـ بعد أن تيب عليه، ذكره ابن وهب عن مالك، وهذا صحيح؛ لأن روحه لم يجتمع بروح موسى ولم يلتقيا ـ والله أعلم ـ إلا بعد الوفاة، وبعد رفع أرواحهما في عليين؛ فكان التقاؤهما كنحو التقاء نبينا ـ ﷺ ـ بمن لقيه في المعراج من الأنبياء على ما جاء في الأثر الصحيح ـ وإن كان ذلك ـ عندي ـ لا يحتمل تكييفًا، وإنما فيه التسليم؛ لأنا لم نؤت من جنس هذا العلم إلا قليلاً».

٣ ـ باب ذِكر إثباتِ العلم للهِ جلّ وعلا

تبارکت أسماؤُه ، وجلّ ثناؤُه بالوحيِ المنزَّل على النبيِّ المصطفى ﷺ ، الذي يُقرأ في المحَارِيب والكَتَاتِيب(١) من العلمِ الذي هو من علمِ العام، لا بنقلِ الأخبار التي هي من نقل علمِ الخاص.

ضد قول الجهمية المعطِّلة(٢) ؛ الذين لا يُؤمنون بكتاب الله ، ويحرِّفون الكَلِمَ عن مواضِعه تشبهًا باليهودِ ؛ ينكرون أن لله علمًا، يزعُمون أنهم يقولون: إن الله هو العَالِم، ويُنكرون أن لله علمًا مضافًا إليه من صفاتِ الذات(٣) .

قال الله جلّ وعلا في مُحكم تنزيله: ﴿لَٰكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ﴾ [النساء: ١٦٦].

(١) الكتاتيب: جمع «كُتَّاب»، وهو: مكان لتعليم الصبيان القراءة والكتابة، وتحفيظهم القرآن الكريم. «المعجم الوسيط».

(٢) فرقة ضالة تزعم أن علم الله حادث ولا تصف الله بصفاته التي يجوز إطلاقها على غيره، فلا تصفه سميعًا ولا بصيرًا ولا متكلمًا، فينكرون هذه الصفات وغيرها وينفونها عن الله تعالى، ولذلك سمّوا معطلة.
ثم أصل هذه المقالة ـ مقالة التعطيل للصفات ـ إنما هو مأخوذ عن تلامذة اليهود والمشركين وضلال الصابئين، فإن أول من حفظ عنه أنه قال هذه المقالة في الإسلام ـ أعني: أن الله سبحانه وتعالى ليس على العرش حقيقة، وأن معنى استوى بمعنى استولى ونحو ذلك ـ هو الجعد بن درهم، وأخذها عنه الجهم بن صفوان، وأظهرها فنسبت مقالة الجهمية إليه.
وقد قيل: إن الجعد أخذ مقالته عن أبان بن سمعان، وأخذها أبان عن طالوت ابن أخت لبيد بن الأعصم، وأخذها طالوت من لبيد بن الأعصم اليهودي الساحر؛ الذي سحر النبي ﷺ. . .
فإذا كان أصل هذه المقالة ـ مقالة التعطيل والتأويل ـ مأخوذًا عن تلامذة المشركين والصابئين واليهود، فكيف تطيب نفس مؤمن ـ بل نفس عاقل ـ أن يأخذ سبيل هؤلاء المغضوب عليهم، أو الضالين، ويدع سبيل الذين أنعم الله عليهم من النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين؟!
انظر «الفرق بين الفرق» ص (١٩٩)، و«مجموع الفتاوى»(٥/ ٢٠).

(٣) يعني: يثبتون الاسم، وينكرون الصفة.

وقال عزّ وجلّ: ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللهِ﴾ [هود: ١٤].

فأعلمنا الله أنه أنزل القرآنَ بعلمه، وخبّرنا[1] جلّ ثناؤه أن أُنثى لا تحمل ولا تضع إلا بعلمه، فأضافَ اللهُ جلّ وعلا إلىٰ نفسِهِ العلمَ.

فكفرتِ الجهميةُ، وأنكرت أن يكون لخالِقنا علمٌ مضافٌ إليه من صفاتِ الذَّات.

تعالىٰ الله عمّا يقول الطَّاعنون في علمِ الله علوًّا كبيراً.

فيُقال لهم: خبِّرونا عمّن هو عالمٌ بالأشياء كلِّها، أَلَهُ عِلْمٌ أم لا؟

فإن قال: اللهُ يعلم السِّر والنَّجوىٰ وأخفىٰ، وهو بكلِّ شيءٍ عليم.

قيل له: فمَن هو عالِمٌ بالسِّر والنَّجْوىٰ، وهو بكلِّ شيءٍ عليمٌ، أَلَهُ علمٌ أم لا عِلْمَ له؟

فلا جوابَ له[2] لهذا السؤال إلا الهرب، ﴿فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

---

(١) في «ظ»: «وأخبرنا».

(٢) في الأصل: «لهم»، والمثبت من «ظ».

٤ ـ باب ذكر إثبات وجه الله

الذي وصفه بالجَلالِ والإكرامِ، في قوله: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الجَلالِ والإِكْرَامِ﴾[الرحمن: ٢٧]، ونَفَىٰ عنه الهلاكَ، إذا أهلكَ اللهُ ما قد قَضَىٰ عليه الهلاك، مما قد خلَقه الله للفناء لا للبقاءِ.

جلّ ربُّنا عن أن يَهْلِكَ شيءٌ منه مما هو من صِفات ذاته.

قال الله: ﴿ويَبْقَىٰ وَجْهُ ربِّكَ ذُو الجَلالِ والإِكْرَامِ﴾[الرحمن: ٢٧].

وقال: ﴿كُلُّ شَيءٍ هَالِكٌ إلا وَجْهَهُ﴾[القصص: ٨٨].

وقال لنبيه محمد ـ ﷺ ـ: ﴿واصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الذينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالغَدَاةِ والعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾[الكهف: ٢٨].

فأثبتَ اللهُ لنفسه وجهًا، وصفَه بالجلالِ والإكرامِ، وحكمَ لوجهه بالبقاءِ، ونفىٰ الهلاكَ عنه.

فنحنُ ـ وجميعُ علمائنا؛ من أهلِ الحجاز، وتِهامة، واليمن، والعراق، والشَّام، ومِصر ـ مذهبُنا: أنَّا نثبتُ لله ما أثبتَه الله لنفسِهِ، [و]نقرّ بذلك بألسنَتِنا، ونصدِّق ذلك بقلُوبِنا؛ من غَيْر أن نشبّه وجهَ خالقِنا بوجهِ أحدٍ من المخلوقين.

عزّ ربُّنا عن أن يُشبه[1] بالمخلوقين، وجلّ ربُّنا عن مقالةِ المعطّلين، وعزّ [عن][2] أن يكون عدمًا كما قاله الْمُبطلون؛ لأن[3] ما لا صِفة له عدمٌ.

تعالىٰ الله عما يقول الْجَهميون؛ الذين يُنكرون صفات خالِقنا، الذي وصَفَ [الله] بها نفسَه في مُحكمِ تنزيله، وعلىٰ لسانِ نبيّه محمدٍ ﷺ.

---

(١) في «ظ»: «نُشبهه».

(٢) زيادة من «ظ».

(٣) في «ظ»: «لأنه».

وقال الله جل ذِكْرُه : ﴿فَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ. . .﴾ إلىٰ قوله : ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللهِ﴾[الروم : ٣٨].

وقال : ﴿وَمَا آتَيْتُم مِن رِبًا لِيَرْبُوَا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلا يَرْبُوا عِنْدَ اللهِ وَمَا آتَيْتُم مِن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللهِ﴾[الروم : ٣٩].

وقال : ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُم لِوَجْهِ اللهِ﴾[الإنسان : ٩].

وقال : ﴿وَمَا لأَحَدٍ عِنْدَهُ مِن نِعْمَةٍ تُجْزَىٰ إلا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَىٰ﴾ [الليل : ١٩ ـ ٢٠].

٥ ـ بابُ ذِكر البيان من أخبارِ النبيّ المصطفى ﷺ في إثباتِ الوجه لله جلّ ثناؤه ، وتباركت أسماؤه، موافقة لما تلونا(١) من التنزيلِ الذي هو بالقُلوبِ محفوظٌ، وبين الدَّفتين مكتوبٌ، وفي المحاريب والكتاتيب مقروءٌ

١٠ ـ عن جابر قال: لما نزلتْ هذه الآيةُ على رسولِ الله ﷺ: ﴿قُلْ هُوَ القَادِرُ عَلَىٰ أنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِن فَوقِكُم﴾(٢) [الأنعام: ٦٥]، قال النبيُّ ﷺ: «أعوذُ بِوَجهِكَ [الكَرِيم](٣)»، قال: ﴿أوْ مِن تَحْتِ أرجُلِكُم﴾(٤)، قال النبيُّ ﷺ: «أعوذُ بِوَجْهِكَ الكريم»، قال: ﴿أو يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا ويُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾(٥)، قال: «هاتَانِ أهْوَنُ وأيْسَرُ»(٦).

١١ ـ عن عامر بن سعد، عن أبيه قال: مَرِضتُ بمكةَ عامَ الفتحِ ـ فذكروا الحديث بتمامه ـ وقالوا في الخبر. . . : قَالَ: قُلتُ: يا رسُولَ الله! أخلّفُ عنْ هِجْرتي؟ فَقَال: «إنَّك لن تُخلّفَ بَعدي، فَتَعْمَلَ عَمَلاً تُريدُ بِهِ وجْهَ اللهِ، إلا ازْدَدْتَ به رِفْعَةً وَدَرَجَةً»(٧).

---

(١) أي: في الباب السابق.

(٢) فيها أقوال أرجحها: الرجم من السماء.

(٣) زيادة من «ظ»، وقد ورد هذا اللفظ في الموضعين عند الإسماعيلي، كما في «فتح الباري» (٨/ ٢٩٢).

(٤) يعني: الخسف من الأرض.

(٥) «يلبسكم»: يخلطكم من الالتباس. و«شيعًا»: فرقًا متخالفين، و«يذيق»: يسلط بعضكم على بعض بالعذاب والقتل.

(٦) صحيح. رواه البخاري (٤٦٢٨ و ٧٣١٣ و ٧٤٠٦)، والنسائي في «الكبرىٰ» (١١١٦٤ و ١١١٦٥)، والترمذي (٣٠٦٥)، وأحمد (٣/ ٣٠٩).
وقال الترمذي: «حسن صحيح».

(٧) صحيح. ورواه البخاري (٦٧٣٣)، ومسلم (١٦٢٨) وأبو داود (٢٨٦٤)، والترمذي (٢١١٦)=

١٢ ـ عن عطاء بن السائب، عن أبيه قال: كُنّا جُلُوسًا في المسجدِ، فَدَخَلَ عمّارُ بنُ ياسرٍ فَصلّىٰ صلاةً أخَفَّها[١] فمرَّ بنَا، فقيلَ لهُ: يا أبا اليقظان! خَفَّفْتَ الصَّلاة؟ فَقَال: أوَ خَفيفةً رأيتُمُوها؟ قُلنا: نَعَمْ، قَالَ: أمَا إنِّي قَدْ دَعَوْتُ فيها بدُعاءٍ قد سمعتُهُ من رَسُولِ الله ﷺ، ثم مَضَىٰ.

فاتَّبَعَهُ رجُلٌ منَ القومِ ـ قَالَ عَطَاءٌ: يَرَوْنَهُ أبي اتّبعَهُ، ولكِن كَرِهَ أنْ يقولَ اتَّبعْتُه ـ فسألهُ عن الدُّعاء، ثمَّ رَجَعَ، فأخبرهم بالدُّعاء:

«اللهمَّ بعِلْمِكَ الغَيْب وقُدْرَتِكَ علىٰ الخَلْقِ؛ احْيني ما عَلِمْتَ الحياةَ خَيْرًا لِي، وَتَوفَّني إذا كانَتِ الوفاةُ خَيْرًا لي، اللهمَّ وأسألُكَ خَشْيَتَكَ في الغَيْبِ والشَّهادةِ، وكلِمةَ الحقِّ والعَدْلِ في الغَضَبِ والرِّضَا، وأَسْأَلُكَ القَصْدَ في الفقْرِ والغِنَىٰ، وأسألُك نَعيمًا لا يَبيدُ، وأسْأَلُكَ قُرَّةَ عينٍ لا تَنْقَطِعُ، وأسْأَلُكَ الرِّضَا بعدَ القَضَاءِ، وأسألك بَرْدَ العَيشِ بعْدَ الموتِ، وأسألُكَ لذَّةَ النَّظَرِ إلىٰ وجهكَ، وأسألُكَ الشَّوقَ إلىٰ لقائكَ في غيرِ ضَرّاءَ مُضِرَّةٍ، ولا فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ، اللهم زيِّنَّا بزِينَةِ الإيمان، واجْعلنا هُداةً مُهْتَدينَ»[٢].

قال أبو بكر: ألا يَعْقِلُ ذوو الْحِجَا ـ يا طلاب العلم ـ أن النبي ﷺ لا يسأل ربَّه مالا يجوز كونه.

ففي مسألة النبي ﷺ ربه لذة النظر إلىٰ وجهه أبين البيان، وأوضح

=والنسائي (٦/ ٢٤١ـ ٢٤٢).

وقال الترمذي: «حسن صحيح».

والحديث رواه الحسين بن الحسن في «البر والصلة» (١٦٢و١٦٩) بتحقيقي.

(١) يعني: «خففها»، كما في رواية، وفي أخرىٰ: «أوجز فيها».

(٢) صحيح. ورواه ابن حبان (٥٠٩ ـ موارد).

ورواه النسائي (٣/ ٥٤)، وفي «الكبرىٰ» (١٢٢٨) والبيهقي في «الأسماء والصفات»، والبزار (١٣٩٣)، والحاكم (١/ ٥٢٤). وقال: «صحيح الإسناد».

الوضوح ، أن لله عزّ وجلّ وجهًا يَتلذذ بالنظر إليه مَنْ مَنَّ اللهُ جلّ وعلا عليهِ وتفضل بالنظر إلىٰ وجهه .

وللنظر إلىٰ وجهه يوم المعاد باب سيأتي في موضعه[1] .

مَنَّ الله بهذه الكرامة علىٰ من يشاء من عباده المؤمنين .

وقال النبي ﷺ : «مَنْ صَامَ يومًا في سبيلِ اللهِ ، ابتغَاءَ وَجْهِ اللهِ ، باعَدَ اللهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ سبعينَ خَرِيفًا»[2] .

١٣ ـ عن ابن عباسٍ [رضي الله عنهما][3] ، عن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : «مَنْ استَعَاذَ باللهِ فَأعيذُوه ، ومَنْ سأَلَكُمْ بوجْهِ اللهِ فأعْطُوهُ»[4] .

---

(١) انظر ص(١٤٣) .

(٢) صحيح .
رواه البخاري(٦/ ٤٧)(٢٨٤٠) ، ومسلم(١١٥٣) .

(٣) زيادة من : «ظ» .

(٤) صحيح لغيره . رواه أبو داود (٥١٠٨) ، و أحمد (١/ ٢٥٠) ،
قلت : وفي الحديث إثبات صفة الوجه لله عز وجل ، وفي هذا الحديث أيضًا تحريم عدم إعطاء من سأل به سبحانه وتعالىٰ .
ولكن صح في حديث ابن عباس رضي الله عنهما الذي رواه أحمد(١/ ٢٣٧) والنسائي(٥/ ٨٣ ـ ٨٤) وغيرهما تحريم السؤال به تعالىٰ ، وذلك في قوله ﷺ« . . . وأخبركم بشر الناس ؛ الذي يسأل بالله عز وجل ، ولا يعطي به» .
وقيد ذلك أهل العلم بما إذا كان السؤال به تعالىٰ لشيء من أمور الدنيا وحطامها ، واحتجوا في ذلك بحديث : «لا يسأل بوجه الله إلا الجنة» ، وهو وإن كان ضعيف السند إذ في سنده سليمان بن معاذ التميمي وهو سيئ الحفظ ، إلا أن شيخنا ـ وهو يضعف الحديث ـ قال :
«النظر الصحيح يشهد له ، فإنه إذا ثبت وجوب الإعطاء لمن سأل به تعالىٰ ، فسؤال السائل به قد يعرض المسئول للوقوع في المخالفة ، وهي عدم إعطائه إياه ما سأل ، وهو حرام ، وما أدىٰ إلىٰ محرم فهو حرام . . . ووجوب الإعطاء إنما هو إذا كان المسؤل قادراً علىٰ الإعطاء ، ولا يلحقه ضرر به أو بأهله ، وإلا فلا يجب عليه . والله أعلم» . أ هـ. =

١٥ ـ عن أبي وائل قال: قال عبد الله: قَسَمَ رسُولُ الله، ﷺ قَسْمًا، فقالَ رَجُلٌ: إنَّ هذه لَقِسْمَةٌ ما أُرِيدَ بِهَا وَجْهُ الله. فأتيتُ النبيّ ﷺ، فَذَكَرْتُ ذلكَ لَهُ، فاحمارّ وجهُه ـ قال شعبة: وأظنه قال: وغَضِبَ ـ حَتَّىٰ وَدِدْتُ أنِّي لَمْ أُخبره، قال شُعْبَةُ: أَحْسبه قالَ: «يَرْحَمُنا اللهُ وموسَىٰ» ـ شكّ شُعْبَة في: يَرْحَمُنَا اللهُ وموسىٰ ـ «قد أوذيَ بأكثَرَ منْ هذَا فَصَبَرَ»[١].

١٧ ـ عن أبي وائلٍ؛ أن شَبَث بن ربعي[٢] [قام فـ] صلَّىٰ إلىٰ جنب حُذيفة فبزق (فبصق) بين يديه. فقال حذيفةُ: إنَّ رسولَ الله ﷺ نَهَىٰ[٣] عنْ ذا، ثمَّ قالَ: «إنَّ المسْلِمَ إذَا دَخَلَ في صَلاتِهِ أقْبَلَ الله إليه بِوَجْهِهِ، فَيُناجِيهِ، فلا يَنْصَرِفُ حَتَّىٰ يَنْصَرِفَ عَنْهُ، أو يُحْدِثَ حَدَثًا»[٤].

١٨ ـ عن أبي وائل قال: كنا عند حُذيفة، فقام شَبَث بنُ ربعي، فصلَّىٰ، فبصق بين يديه. فقال له حُذيفة: يا شَبَثُ! لا تَبْصُقْ بَيْنَ يَدَيْكَ، ولا عن يَمِينِكَ [فإنَّ] عن [يمينك] كَاتِبَ الحسَنَاتِ، ولكِنْ عن يَسَارِكَ، أوْ من وَرَائِكَ؛ فإنَّ العَبْدَ إذا تَوَضَّأَ، فأحْسَنَ الوضُوءَ، ثُمَّ قامَ إلىٰ الصَّلاةِ، أقْبَلَ الله عليه

=فائدة: روىٰ ابن أبي شيبة (٤/ ٦٨) عن عطاء؛ أنه كره أن يسأل بوجه الله أو بالقرآن شيء من أمر الدنيا.

(١) صحيح. ورواه البخاري (٤٣٣٥ و٦٠٥٩ و٦١٠٠ و٦٢٩١)، ومسلم (١٠٦٢).

(٢) بالشين المعجمة، ثم باء موحدة، ثم مثلثة، وبفتح أوله وثانيه، وهو: التميمي اليربوعي، قال ابن حجر في «التقريب»: «مخضرم كان مؤذن سجاح، ثم أسلم، ثم كان ممن أعان علىٰ عثمان، ثم صحب عليًا، ثم صار من الخوارج عليه، ثم تاب، فحضر قتل الحسين، ثم كان ممن طلب بدم الحسين مع المختار، ثم ولي شرط الكوفة، ثم حضر قتل المختار، ومات بالكوفة في حدود الثمانين»!

(٣) في هامش الأصل: «خ: نهانا»، و: «بزق، وبصق»، بمعنىٰ، وهو: لفظ ما في الفم من الريق.

(٤) صحيح. رواه المصنف في «صحيحه» (٩٢٤).
ورواه ابن ماجه (١٠٢٣) وابن أبي شيبة (٢/ ٣٦٤)، والمروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (١٢٢).
وصححه شيخنا في «الصحيحة» (٣/ ٥١).

بوجْهِهِ، فَيُنَاجِيهِ، فَلا يَنْصَرِفُ عنهُ حتَّىٰ يَنصَرِفَ، أو يُحْدِثَ حَدَثَ سُوءٍ[1].

١٩ ـ عن الحارث الأشْعَري؛ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «إنَّ اللهَ أوْحَىٰ إلىٰ يَحيىٰ بن زكريا ـ عليه السلام ـ بخَمْسِ كَلِمَاتٍ أنْ يعمَلَ بِهِنَّ، ويأمُرَ بني إسرائيلَ أن يَعمَلُوا بهنَّ...». فذكر الحديث بطوله. وقال في الحديث: «وإذا قُمْتُمْ إلىٰ الصَّلاةِ، فلا تَلْتَفِتُوا؛ إنَّ اللهَ يقبلُ بِوَجْهِهِ إلىٰ وَجْهِ عَبْدِهِ[2]»[3].

فعيسىٰ رُوحُ اللهِ قد حث نبيَّ الله يحيىٰ بن زكريا أن يُعلم بني إسرائيل ما أمر الله بإعلامه. وفيما أمر الله يحيىٰ بن زكريا بإعلام بني إسرائيل أنَّ الله يقبل بوجهه إلىٰ وجه عبده إذا قام إلىٰ الصلاة.

ففي هذا ما بانَ وثبت وصحَّ أنَّ بني إسرائيل كانوا موقنين بأن لخالقهم وجهًا، يقبل بوجهه[4] إلىٰ وجه المصلي له.

ونبينا ﷺ قد أعلم أمته ما أمر الله عز وجل به يحيىٰ بن زكريا عليهما السلام أن يأمر به بني إسرائيل؛ لتعلم وتستيقن أمته أنَّ لله وجهًا يقبل به علىٰ وجه المصلي له.

٢٠ ـ عن ناعمٍ؛ مولىٰ أم سلمة، عن عبد الله بن عمرو قال: حَجَجْنَا مَعَهُ[5]، حتىٰ إذا كُنَّا ببعضِ طريقِ مكَّة، رأيتُهُ يتيمَّمُ[6] ـ وَطُرِحَ شيءٌ لهُ ـ فَجَلَسَ

(١) صحيح. ورواه عبد الرزاق(١/ ٤٣٢)، وابن أبي شيبة(٢/ ٣٦٤).

(٢) في «ظ»: «العبد».

(٣) صحيح. والحديث بطوله في «صحيح» المصنف (١٨٩٥).

(٤) في «ظ»: «به»، وكلاهما ـ استعمال الضمير أو الاسم الظاهر ـ جائز، وإن كان الأولىٰ استعمال الضمير في هذا الموطن.

(٥) يعني: مع عبد الله بن عمرو، والقائل هو: ناعم مولىٰ أم سلمة.

(٦) في «ظ» و«المسند»: «تيمَّمَ»، وقال العلامة أحمد شاكر ـ رحمه الله ـ قوله: (تيمم) يريد قصد علىٰ=

تَحْتَهَا[1] ثم قَالَ: رأيتُ رسُولَ الله ﷺ تحتَ هذهِ الشَّجرةِ، إذْ أقبَلَ رَجُلٌ مِنْ هَذَا الشِّعْبِ، فَسَلَّمَ علىٰ رسولِ الله ﷺ، ثُمَّ قال: يا رسولَ الله! إنِّي أُرِيدُ[2] الجهادَ معكَ؛ أبتَغي بِذَلكَ وجهَ اللهِ والدَّارَ الآخِرَةَ؟ قَالَ: «هَلْ مِنْ أبويكَ أحَدٌ حَيٌّ؟». قالَ: نَعَمْ يا رسولَ اللهِ، كلاهُما. قالَ: «ارْجِعْ، فَابْرُرْ والِديكَ» قَالَ: فوَلَّىٰ رَاجعًا مِن حَيثُ جَاءَ[3].

٢١ ـ عن أبي بكر بن عبد الله بن قيس، عن أبيه؛ أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «جَنَّتانِ مِن فضةٍ: آنيتُهُما، ومَا فيهمَا، وجَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ: آنيتُهما، وما فيهما، ومَا بَيْنَ القَومِ وبيْنَ أنْ يَنْظُروا إلىٰ وجهِ ربِّهم في جنَّةِ عَدْنٍ، إلا رِداءُ الكبرياءِ علىٰ وَجْهِهِ»[4].

٢٢ ـ عن أبي وائل قال: سمعتُ خبَّابًا يقول: هاجَرْنا مَعَ رسولِ الله ﷺ نَبْتَغي وَجْهَ اللهِ، فَوَقَعَ أَجْرُنَا علىٰ اللهِ عزّ وجلّ، فَمِنَّا مَنْ مَضَىٰ لَمْ يَأْكُلْ مِنْ حَسَنَاتِهِ[5] شَيْئًا، مِنْهُم مُصْعَبُ بنُ عُميرٍ قُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ، وترَكَ بُرْدَةً[6]، فإذا

=المعنىٰ اللغوي للتيمم؛ بدلالة باقي السياق.

(١) يعني: تحت الشجرة.

(٢) في «ظ»: «رأيت».

(٣) صحيح. ورواه سعيد بن منصور (٢٣٣٣)، وعنه مسلم (٢٥٤٩).

والحديث من وجه آخر رواه البخاري (٥٩٧٢)، وفي «الأدب المفرد» (٢٠) بتحقيقي، ومسلم (٢٥٤٩)، وأبو داود (٢٥٢٨)، والنسائي (٦/ ١٠) عن عبد الله بن عمرو قال: جاء رجل إلىٰ النبي ﷺ يستأذنه في الجهاد، فقال: «أحي والداك؟» قال: نعم، قال: «ففيهما فجاهد». وهذا لفظ مسلم.

(٤) صحيح. ورواه البخاري (٤٨٧٨ و٤٨٨٠ و٧٤٤٤)، ومسلم (١٨٠).

(٥) في بعض الروايات: «أجره» بدلاً من: «حسناته». وقال الحافظ في «الفتح» (٣/ ١٤٢): «كناية عن الغنائم التي تناولها من أدرك زمن الفتوح، وكأن المراد بالأجر ثمرته، فليس مقصوراً علىٰ أجر الآخرة».

(٦) البردة: كساء أسود مُرَبَّع فيه صفر، تلبسه الأعراب، والجمع: بُرَد.

جَعَلْنَاهَا على رَأْسِهِ بَدَتْ رِجْلاه، وإذا جَعَلْنَاهَا عَلَى رِجْلَيْهِ بَدَا رأسُه، فأَمَرَنَا النبيُّ ﷺ أنْ نَجْعَلَ عَلَى رِجلَيهِ شَيئًا مِن الإذْخِر[1]، وَمِنَّا مَنْ أَيْنَعَتْ لَه ثمرتُه، فهو يَهدِبُها[2].

٢٣ ـ عن عبد الله، عن النبي ﷺ قال: «إنَّ المرْأَةَ عَوْرَةٌ؛ فإذَا خَرَجَت استَشْرَفَهَا الشَّيْطانُ[3]، وأقربُ مَا تَكونُ مِنْ وجهِ ربِّها، وَهي في قَعْرِ بَيْتِها»[4].

٢٦ ـ عن علي بن حسين قال: حدثتنا أم سلمة؛ أن نبي الله ﷺ قالَ: «مَنْ أَدَّىٰ زكاةَ مالِه، طَيِّبَ النفسِ بِها، يُريدُ بِهَا وَجْهَ اللهِ والدَّارَ الآخِرَةِ»[5].

قد أمليته بتمامه في «كتاب الزكاة»[6].

---

(١) وفي «ظ»: «إذْخِر».

(٢) صحيح. ورواه البخاري (١٢٧٦ و٣٩١٤ و٤٠٤٧ و٤٠٨٢)، ومسلم (٩٤٠).

قال في «الفتح» (٣/ ١٤٢): «يهدبها أي: يجتنيها».

(٣) قوله: «استشرفها الشيطان»، قال عنه المنذري في «الترغيب»: «أي: ينتصب ويرفع بصره إليها، ويهمُّ بها؛ لأنها قد تعاطت سببًا من أسباب تسلطه عليها، وهو خروجها من بيتها».

فعلق على ذلك شيخنا في «صحيح الترغيب» (ج١/ ص١٣٨/ ح٣٤٥) بقوله: «هذا في شيطان الجن! فما بالك في شيطان الإنس، لا سيما شياطين إنس هذا العصر الذي نحن فيه؛ فإنه أضر على المرأة من ألف شيطان؛ لأن أغلب شبان هذا الزمان لا مروءة عندهم، ولا دين، ولا شرف، ولا إنسانية، يتعرضون للنساء بشكل مفجع، وهيئة تدل على خساسة ودناءة وانحطاط، فعلى ولاة الأمر... أن يؤدبوا هؤلاء الفسقة الشررة، والوحوش الضارية».

(٤) صحيح. رواه المصنف في «صحيحه» (١٦٨٥)، وعنه ابن حبان (٥٥٩٩).

ورواه الترمذي (١١٧٣) أيضًا، وقال: «حديث حسن غريب».

(٥) صحيح. رواه ابن حبان (٣١٩٣)، والحاكم (١/ ٤٠٤ ـ ٤٠٥).

(٦) هو في صحيح المصنف برقم (٢٣٣٦)، وهو بتمامه: عن أم سلمة؛ أن رسول الله ﷺ بينما هو يوم في بيتها وعنده رجال من أصحابه يتحدثون إذ جاء رجل، فقال: يا رسول الله! صدقة كذا وكذا من التمر؟ فقال رسول الله ﷺ: «كذا وكذا» قال الرجل: فإن فلانًا تعدىٰ علي فأخذ مني كذا وكذا فازداد صاعًا، فقال له رسول الله ﷺ: «فكيف إذا سعىٰ عليكم من يتعدىٰ عليكم أشد من هذا التعدي؟» فخاض الناس=

● وفي خبر عامر بن سعد بن أبي وقاص، عن أبيه، فقال النبي ﷺ: «إنَّكَ لَنْ تُخلَّفَ بَعْدي، فَتعْملَ عَمَلاً صالِحًا، تبتغي به وَجْهَ اللهِ إلا ازْدَدْتَ بِهِ دَرَجَةً ورِفْعَةً»[1].

وقال أيضًا في الخبر: «إنك لَنْ تنفقَ نفقةً تُريد بها وجه الله، إلا أُجِرْتَ عليها»[2].

٢٧ ـ عن عبد الله قال: إذا لبستِ المرأةُ ثيابَها، ثمّ خرجتْ، قيل: أين تذهبين؟ فتقولُ: أعودُ مريضًا، أو أُصلِّي على جَنازةٍ، أو أصلِّي في مسجدٍ، فيُقال[3]: وما تُريدينَ بذلكَ؟ فتقولُ: وَجْهَ اللهِ، والذي لا إله غيرُهُ ما التمسَتِ المرأةُ وَجْهَ اللهِ بمثلِ أن تقرَّ في بيتِها، وتعبدَ ربَّها[4].

قال أبو بكر: هذا بابٌ طويلٌ؛ لو أستخرج في هذا الكتاب أخبار النبي ﷺ التي فيها ذِكرُ وجه ربِّنا جلّ وعلا لطال الكتابُ.

=وبهرهم الحديث، حتىٰ قال رجل منهم: يا رسول الله! إن كان رجلاً غائبًا عند إبله وماشيته وزرعه فأدىٰ زكاة ماله فتعدىٰ عليه الحق فكيف يصنع وهو [عنك] غائب؟ فقال رسول الله ﷺ: «من أدىٰ زكاة ماله، طيب النفس بها، يريد وجه الله والدار الآخرة لم يغيب شيئًا من ماله، وأقام الصلاة، ثم أدىٰ الزكاة، فتعدىٰ عليه الحق، فأخذ سلاحه فقاتل، فقتل، فهو شهيد».

(١) صحيح. وقد تقدم رقم (١١).

(٢) يعني: في خبر عامر بن سعد عن أبيه المتقدم، وبهذا اللفظ رواه البخاري (٥٦).

(٣) في «الأصل»: «فقيل»، والمثبت من «ظ».

(٤) شريك هو: ابن عبد الله وهو سيئ الحفظ، ولكنه توبع، وأبو إسحاق: هو السبيعي؛ عمرو بن عبد الله، وأبو الأحوص هو: عوف بن مالك.

ورواه الطبراني في «الكبير» (٨٩١٤و٩٤٨٠) من طريق شعبة، عن أبي إسحاق به، ولكن ليس فيه موضع الشاهد.

وحسنه المنذري في «الترغيب»، وقال الهيثمي في «المجمع» (٢/ ٣٥): «رجاله ثقات».

قلت: ورواه مرفوعًا من طريق شعبة البيهقي في «الشعب»(٧٨١٩).

٦ ـ باب ذكر صورة ربنا جلّ وعلا وَصِفة سُبحات وجهه عزّ وجلّ، تعالى ربُّنا عن أن يكون وجه ربنا كوجه بعض خلقه، وعزّ أن لا يكون له وجه، إذ ربنا قد أعلمنا في محكم تنزيله أن له وجهًا ذَوَّاهُبْالجلال والإكرام ونفى عنه الهلاك .

٢٨ـ عن أبي عبيدة بن عبد الله، عن أبي موسىٰ قال: [قامَ فينا رسولُ الله ﷺ[٢] بخَمْسِ (بأربع) كَلِمَاتٍ]، فقال رسولُ الله ﷺ:

«إنَّ اللهَ لا يَنامُ، ولا يَنْبَغِي له أَنْ يَنامَ[٣]، يَخْفِضُ القسْطَ وَيَرْفَعُهُ[٤]. يرفعُ إليهِ عَمَلُ النَّهار قَبْلَ اللَّيلِ، وعَمَلُ اللَّيلِ قَبْلَ النَّهار حجَابُهُ النَّار (النور)، لو كَشَفَ طَبَقَها لأحْرَقَتْ سُبُحَاتُ[٥] وجْهِهِ كلَّ شيءٍ أدْرَكَهُ بَصَرُه [من خَلْقه]

---

(١) كذا بالأصول، ويفسرها ما جاء في هامش الأصل بأنه في نسخة: «وصفه».

(٢) يعني: خطيبًا.

(٣) وذلك لأن النوم نقص، والله سبحانه وتعالىٰ منزه عن كل نقص.

(٤) قوله: «يخفض القسط ويرفعه». قيل: أراد به الميزان، كما قال تعالىٰ: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ﴾ أي: ذوات القسط، وهو العدل، وسمي الميزان قسطًا؛ لأن العدل في القسمة يقع به، وأراد أن الله يخفض الميزان ويرفعه بما يوزن من أعمال العباد المرفوعة إليه، وبما يوزن من أرزاقهم النازلة من عنده، كما قال تعالىٰ ﴿وَمَا نُنزِّله إلا بِقَدَرٍ مَعْلُوم﴾ هذا مثلٌ فيما يدبره من أمر الخلق، وينشئه من حكمه فيهم، يرفع قومًا ويضع آخرين، وهو الخافض الرافع، الحكم العدل، تبارك اللهُ ربُّ العالمين.

وقيل: أراد «بالقسط»: الرزق الذي هو قسط كل مخلوق، يخفضه مرة فيقتره، ويرفعه مرة فيبسطه، يريد: أنه مقدر الرزق وقاسمه، كما قال تعالىٰ: ﴿يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرِ﴾. قاله البغوي في «شرح السنة»(١/ ١٧٤).

والمراد بقوله: «كل شيء أدركه بصره»: كل مخلوق؛ لأن بصره سبحانه وتعالىٰ محيط بالكل.

(٥) سبحات الله: جلاله وعظمته، وقيل: نور وجهه، ومنها قيل: سبحان الله. إنما هو تعظيم له وتنزيه، والمعنىٰ كما قال ابن الأثير في «النهاية» (٢/ ٣٣٢): «لو انكشف من أنوار الله التي تحجب العباد عنه شيء لأهلك كل من وقع عليه ذلك النور، كما خر موسىٰ ـ عليه السلام ـ صعقًا، وتقطع الجبل دكًا لما تجلىٰ الله سبحانه وتعالىٰ».

ومن قبله قال الخطابي في «المعالم»: «ومعنىٰ الكلام أنه لم يطلع الخلق من جلال عظمته إلا علىٰ مقدار ما=

واضعٌ يَدَه (يدُ الله مبسوطة) لمسيء الليل ليتوبَ بالنَّهارِ، ومُسيءِ النَّهار لِيتوبَ باللَّيلِ حتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ من مَغْرِبِهَا»[1].

[ثُمَّ قَرأَ أبو عُبيدة: ﴿أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ ومَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللهِ رَبِّ العَالَمِينَ﴾] [النمل: ٨].

قال أبو بكر: لم أخرج[2] في هذا الكتاب المقطعات؛ لأن هذا من الجنس الذي نقول: إن علمَ هذا لا يُدرك إلا بكتابِ الله، وسنّة نبيه المصطفى ﷺ.

لستُ أحتجُّ في شيءٍ من صفات خَالقي عزّ وجلّ إلا بما هو مسطورٌ في الكتابِ، أو منقولٌ عن النبيِّ ﷺ بالأسانيد الثَّابتة الصَّحيحة.

أقول ـ وبالله توفيقي وإياه أسترشد ـ:

قد بين الله عزّ وجلّ في محكم تنزيله الذي هو مثبت بين الدفتين أن له وجهًا، وصفَه بالجلالِ والإكرام والبقاء، فقال جلّ وعلا: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧].

ونفى ربُّنا جلّ وعلا عن وجهه الهلاك، في قوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هالِكٌ إلا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨].

وزعم بعضُ جهلةِ الجهميّة أن الله عزّ وجلّ إنما وَصَفَ في هذه الآية نفسَه التي أضاف إليها الجلالَ، بقوله: ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلالِ والإِكرامِ﴾.

وزعمت أن الربَّ هو ذو الجلال والإكرام، لا الوجه.

= تطيقه قلوبهم، وتحتمله قواهم، ولو أطلعهم على كنه عظمته لانخلعت أفئدتهم، وزهقت أنفسهم، ولو سلط نوره على الأرض والجبال لاحترقت وذابت، كما قال ـ في قصة موسى ـ: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا﴾».

(١) صحيح. رواه أحمد (٤/ ٤٠٥)، و مسلم في الإيمان (١٧٩). وسيأتي برقم (١٢١).

(٢) يعني: على سبيل الاحتجاج.

قال أبو بكر :أقول وبالله توفيقي : هذه دعوىٰ يدّعيها[1] جاهلٌ بلغة العربِ؛ لأن الله ـ عزوجلّ وعلا ـ قال : ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الجلالِ والإِكْرَامِ﴾ ، فذكر الوجه مضمومًا في هذا الموضع مرفوعًا ، وذكر الربَّ بخفض الباء بإضافةِ الوجه ، ولو كان قوله : ﴿ذُو الجلالِ والإكرامِ﴾ مردودًا إلىٰ ذكر الربِّ في هذا الموضع ، لكانت القراءة : ﴿ذِي الْجَلالِ والإِكْرَامِ﴾ مخفوضًا ، كما كان الباء مخفوضًا في ذكر الرب جلّ وعلا .

ألم تسمع قوله ـ تبارك وتعالىٰ ـ : ﴿تَبَارَكَ اسمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلالِ والإِكْرَامِ﴾ [الرحمن : ٧٨] .

فلما كان الجلال والإكرام في هذه الآية صفة للربِّ ، خفض ذي خفض الباء الذي ذكر في قوله : ﴿ربِّك﴾ .

ولَمَّا كان الوجهُ في تلك الآية مرفوعة[2] التي كانت صفة الوجه مرفوعةً ، فقال : ﴿ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ﴾[3] .

فتفهموا ـ يا ذوي الحجا ـ هذا البيان الذي هو مفهومٌ في خطابِ العرب ، لا تغالطوا ، فتتركوا سواء السبيل .

---

(١) في الأصل : «دعوىٰ مدعي» وحقها بحذف الياء ، والمثبت من «ظ» .

(٢) كذا بالأصل ، والأليق التعبير بـ : «مرفوعًا» ، وجاءت الجملة في «ظ» هكذا : «ولما كان الوجه في تلك الآية التي كانت صفة الوجه مرفوعة ، فقال : ذو الجلال والإكرام» . وفي العبارة ركاكة .

(٣) ملخص كلام المصنف ـ رحمه الله ـ يتضح بالآتي : هما آيتان ، **الأولى** : ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ﴾[الرحمن : ٢٧]**والثانية** : ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ﴾ [الرحمن : ٧٨] ، وفي الأولىٰ لفظ : «ذو» وهو مرفوع ؛ لأنه نعت لـ : « وجه» ، وفي الثانية لفظ : «ذي» وهو مخفوض ؛ ؛ لأنه نعت لـ : «ربك» ، ولو كان الأمر علىٰ ما ادعاه الجهمي الجاهل بلغة العرب لكان لفظ : «ذو» في الآية الأولىٰ حقه أن يكون مخفوضًا كما هو في الآية الثانية ، إذ من المعلوم في لغة العرب أن النعت يتبع المنعوت في الإعراب(رفعًا ونصبًا وخفضًا) .

وفي هاتين الآيتين دلالة أن وجهَ الله صفةٌ من صفاتِ الله؛ صفات الذات لا أنّ وجهَ الله هو الله، ولا أن وجهه[1] غيره، كما زعمت المعطلة الجهميةُ؛ لأن وجه الله[2] لو كان اللهُ لقُرئ: ﴿وَيَبْقَىٰ وجْهُ رَبِّكَ ذِي الْجَلالِ والإِكْرَامِ﴾.

فما لمن لا يفهم هذا القدر من العربية[3]، ووضعَ الكتبَ على علماء أهل الآثار القائلين بكتاب ربهم وسنة نبيهم ﷺ!!

وزعمتِ الجهميةُ ـ عليهم لعائنُ الله ـ أن أهلَ السنة ومتبعي الآثار القائلين بكتاب ربهم، وسنة نبيهم ﷺ، المثبتين لله جل وعلا من صفاته ما وصفَ الله نفسَه به في مُحكم تنزيله، المثبت بين الدَّفتين، وعلى لسانِ نبيِّه المصطفى ﷺ، بنقلِ العدل عن العدل موصولاً إليه مشبهةٌ، جهلاً منهم بكتاب ربِّنا وسنة نبينا محمدٍ ﷺ، وقلة معرفتهم بلغةِ العرب؛ الذين بلغتهم خوطبنا.

وقد ذكرنا من الكتابِ والسنة ذكر وجهِ ربِّنا بما فيه الغُنْية والكفاية، ونزيد[ه] شرحًا.

فاسمعوا الآن أيها العقلاء! ما نذكر من جنس اللغة السائرة بين العرب: هل يقع اسمُ المشبهة على أهلِ الآثار ومُتبعي السنن؟.

نحن نقولُ ـ وعلماؤنا جميعًا في جميع الأقطار ـ: إن لمعبودنا عزّ وجلّ وجهًا، كما أعلمنا الله في محكم تنزيله، فذواه[4] بالجلال والإكرام، وحكم له بالبقاء، ونفى عنه الهلاك.

---

(١) وفي «ظ»: «وجه الله».

(٢) وفي «ظ»: «وجهه»، وهو كذلك في نسخة كما في هامش الأصل.

(٣) كتب ناسخ الأصل فوق هذه الجملة لفظ: «كذا»، وهي جملة لا تفهم إلا بتقدير محذوف، وكان مما قال الشيخ خليل هراس ـ رحمه الله ـ: قوله: «من العربية» متعلق بمحذوف تقديره: «حظ»، ليتم الكلام.

(٤) وفي هامش الأصل: «فوصفه».

ونقول: إن لوجهِ ربنا عزّ وجلّ من النور والضِّياء والبَهاء ما لو كشفَ حجابه لأحرقتْ سُبُحات وجهه كُلَّ شيءٍ أدركه بصرُه، محجوبٌ عن أبصارِ أهلِ الدُّنيا، لا يراهُ بشرٌ ما دامَ في الدُّنيا الفانية.

ونقول: إن وجهَ ربِّنا القديم، لم يزل بالباقي الذي لا يزال[1]، فنفىٰ عنه الهلاك والفناء.

ونقولُ: إنّ لبني آدم وجوهًا كتبَ اللهُ عليها الهلاكَ [والفناء][2]، ونفىٰ عنها الجلال والإكرام، غير موصوفةٍ بالنُّورِ والضِّياء والبَهاء، التي وصفَ الله بها وجهَهُ.

تُدرك وجوه بني آدم أبصارُ أهل الدُّنيا لا تحرِقُ لأحدٍ شعرةً فما فوقها؛ لنفي السُبُحات عنها، التي بيّنها نبيُّنا المصطفىٰ ﷺ لوجهِ خالِقنا.

ونقول: إن وجوهَ بني آدم مُحدثةٌ مخلوقةٌ، لم تكن، فكوّنها الله بعد أن لم تكن مخلوقة، أوجدها بعد ما كانت عدمًا، وإن جميعَ وجوه بني آدم فانيةٌ غير باقيةٍ، تصير جميعًا ميتًا، ثم تصير رَمِيمًا، ثم ينشئُها الله بعدما قد صارتْ رميمًا، فتلقىٰ من النشور والحشر والوقوف بين يدي خالقها في القِيامة، ومن المحاسبة بما قدمت يداهُ وكسبُه في الدُّنيا ما لا يعلم صفتَه غير الخالق الباري[3].

ثم تصيرُ إمّا إلىٰ الجنة منعمة فيها، أو إلىٰ النار معذبة فيها.

فهل يخطر ـ يا ذوي الحِجا ـ ببال عاقل مركّب فيه العقل، يفهمُ لغةَ العرب، ويعرفُ خطابَها، ويعلمُ التشبيه، أن هذا الوجهَ شبيهٌ بذاك الوجه؟!

---

(١) وفي هامش الأصل: «با قيًا لا يزال».

(٢) زيادة من «ظ».

(٣) في «ظ»: «إلا الله الباري».

وهل هاهنا ـ أيها العقلاء ـ تشبيهُ وجه ربِّنا جل ثناؤه ـ الذي هو كما وصفْنا وبيّنا صفتَه من الكتابِ والسنة ـ بتشبيهِ وجُوه بني آدم التي ذكرناها ووصفْناها، غير اتفاقِ اسم الوجه وإيقاعِ اسم الوجه على وجه بني آدم، كما سمى الله وجهه وجهًا؟!

ولو كانَ تشبيهًا من عُلمائنا لكان كلُّ قائل: إن لبني آدم وجهًا وللخَنازير والقِردة والكِلاب والسِّباع والْحَمير والبِغَال والحيّات والعقَارِب وجُوهًا، قد شبَّه وجوهَ بني آدمَ بوجوه الخنازير والقردة والكلاب وغيرها مما ذكرتُ.

ولستُ أحسبُ أن أعْقَلَ الجهمية المعطلة ـ عند نفسه ـ لو قال له أكرمُ الناسِ عليه: وجهك يُشبه وجهَ الخنزيرِ والقرد والكلب والدُّب والحِمار والبغل ونحو هذا إلا غَضِبَ، وإلا خرجَ من سوءِ الأدب في الفُحشِ من المنطق؛ من الشتمِ للمشبِّه وجهَه بوجهِ ما ذكرنا، ولعله بعدُ يقذفه، ويقذفُ أبويه[1].

ولست أحسبُ أن عاقلاً يسمعُ هذا القائلَ المشبِّه وجهَ ابن آدم بوجوه ما ذكرنا، إلا ويرميه بالكذبِ والزُّور والبَهْتِ، أو بالعَتَهِ والخبل، أو يحكم عليه بزوالِ العقلِ، ورفع القلم عنه؛ لتشبيه وجه ابنِ آدم بوجوه ما ذكرنا.

فتفكروا يا ذوي الألباب: أوجُوه ما ذكرنا أقرب شبهًا بوجوه بني آدم، أو وجه خالقنا بوجوه بني آدم؟!.

فإذا لم تطلقِ العربُ تشبيه وجُوه بني آدم بوجُوهِ ما ذكرنا من السِّباع ـ واسمُ الوجه قد يقعُ على جميعِ وجوهها كما يقع اسمُ الوجه على وجُوه بني آدم ـ فكيف يلزمُنا أن يُقال [لنا][2]: أنتم مشبهة ؟!!.

---

(١) المثبت من «ظ»، ومن هامش الأصل، وأما الأصل ففيه: «أبوه»!

(٢) زيادة من «ظ».

ووجوه بني آدم ووجوه ما ذكرنا من السباع والبهائم محدثةٌ كلها مخلوقةٌ، قد قضىٰ الله فناءها وهلاكَها، وقد كانت عدمًا فكوّنها الله وخلقها وأحدثها.

وجميعُ ما ذكرناه من السِّباع والبهائم لوجوهها أبصارٌ وخُدودٌ وجِباهٌ وأنوفٌ وألسنةٌ وأفواهٌ وأسنانٌ وشِفاهٌ، ولا يقول مركّب فيه العقل لأحدٍ من بني آدم: وجهك شبيهٌ بوجه خنزيرٍ، ولا عينك شبيهة بعين قردٍ ولا فمك فم دبٍّ ولا شفتاك كشفتي كلبٍ، ولا خدك خدٌّ ذئبٍ، إلا علىٰ المشاتمة، كما يرمي الرامي الإنسانَ بما ليس فيه.

فإذا كان ما ذكرنا علىٰ ما وصفنا ثبتَ عند العُقلاء وأهلِ التمييز: أنّ مَن رمىٰ أهلَ الآثار؛ القائلين بكتاب ربِّهم وسنة نبيهم ﷺ بالتشبيهِ فقد قالَ الباطلَ والكذبَ والزُّورَ والبُهتانَ، وخالفَ الكتابَ والسنةَ، وخرجَ من لسانِ العربِ.

وزعمتِ المعطلةُ الجهميةُ أن معنىٰ الوجهَ ـ الذي ذكر الله في الآي التي تلونا من كتابِ الله، وفي الأخبارِ التي رويناها عن النبي ﷺ ـ: كما تقولُ العرب: وجه الكلام، ووجه الثوب، ووجه الدار، فزعمت لجهلها بالعلم أن معنىٰ قوله: وجه الله، كقول العرب: وجه الكلام، ووجه الدار، ووجه الثوب، وزعمت أن الوجوه من صفات المخلوقين.

وهذه فضيحةٌ في الدَّعوىٰ، ووقوعٌ في أقبح ما زعموا أنَّهم يهربون منه.

فيُقال لهم: أفليس كلامُ بني آدم والثِّياب والدُّور مخلوقة؟ فمن زعم منكم أن معنىٰ قولَه: وجه الله، كقول العرب: وجه الكلام، ووجه الثوب، ووجه الدار، أليس قد شبَّه ـ علىٰ أصلِكم! ـ وجه الله بوجه الموتان؟ لزعمكم ـ يا جهلة! ـ أن من قال من أهل السنة والآثار؛ القائلين بكتابِ الله ربِّهم، وسنة

نبيهم ﷺ: لله وجهٌ، وعينان، ونفسٌ، وأن الله يُبصر، ويرىٰ، ويسمع، أنَّه مشبهٌ عندكم خالقَه بالمخلوقين ـ حاش لله أن يكون أحدٌ من أهل السنة والأثر شبّه خالقَه بأحدٍ من المخلوقين ـ فإن كان على ما زعمتم بجهلِكم، فأنتم قد شبَّهتُم معبودَكم بالموتان!

نحن نثبتُ لخالقنا جلّ وعلا صفاته التي وصفَ الله عزّ وجلّ بها نفسَه في مُحكم تنزيله، أو على لسان نبيّه المصطفىٰ ﷺ مما ثبت[1] بنقل العدلِ عن العدلِ، موصولاً إليه.

ونقول كلامًا مفهومًا موزونًا يفهمه كلُّ عاقلٍ.

نقولُ: ليس إيقاع اسم الوجه للخالق البارئ بموجب عند ذوي الحجا والنُّهىٰ أن يشبه وجه الخالق بوجوه بني آدم.

قد أعلمنا الله جلّ وعلا في الآي التي تلوناها قبلُ، أن لله وجهًا ذوَّاه بالجلالِ والإكرام، ونفىٰ الهلاك عنه.

وخبَّرَنا[2] في مُحكم تنزيله أنه يسمع ويرىٰ، فقال جلّ وعلا لكليمه موسىٰ، ولأخيه هارون ـ صلوات الله عليهما ـ: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦]، ومالا يَسمعُ، ولا يُبصر كالأصنامِ التي هي من الموتان.

ألم تسمع مخاطبة خليل الله ـ صلوات الله عليه ـ أباه: ﴿يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْمَعُ ولا يُبْصِرُ ولا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا﴾؟ [مريم: ٤٢].

أفلا يعقل ـ يا ذوي الحجا ـ من فهم عن الله تبارك وتعالىٰ هذا أنَّ خليلَ الله صلوات الله عليه لا يوبّخ أباهُ علىٰ عبادةِ مالا يسمع ولا يُبصر!

---

(١) في الأصل: «بما يثبت»، والمثبت من «ظ».

(٢) في «ظ»: «وأخبرنا».

ولو قال الخليلُ صلوات الله عليه لأبيه : أدعوك إلى ربي ؛ الذي لا يسمع ولا يبصر ، لأشبه أن يقول : فما الفرقُ بين معبودِك ومعبودي ؟ .

والله قد أثبتَ لنفسِه أنه يسمعُ ويرى ، والمعطلةُ من الجهمية تُنكر كلَّ صفةٍ لله جلّ وعلا وصفَ بها نفسَه في مُحكمِ تنزيله ، أوعلى لسانِ نبيه ﷺ ؛ لجهلهم بالعلمِ .

وقال عز وجل : ﴿ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أو يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلا كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً﴾ [الفرقان : ٤٣ـ ٤٤] .

فأعلم الله عزّ وجلّ أن من لا يسمع ولا يعقل كالأنعام ، بل هم أضل سبيلاً .

فمعبودُ الجهمية ـ عليهم لعائن الله ـ كالأنعامِ التي لا تسمعُ ، ولا تُبصر .

والله قد ثبّت لنفسه أنه يسمع ويرى ، والمعطلة مِن الجهمية تُنكر كلَّ صفةٍ [لله] وصفَ بها نفسَه في مُحكم تنزيله ، أو على لسانِ نبيه ﷺ ؛ لجهلهم بالعلم .

وذلك أنهم وجدوا في القرآنِ أن الله قد أوقعَ أسماء من أسماء صفاتِه على بعضِ خلقِهِ ؛ فتوهمُوا لجهلهم بالعلمِ أنَّ من وصفَ الله [بتلك الصفة التي وصفَ الله][1] بها نفسَه قد شبَّهه بخلقه ! .

فاسمعوا ـ يا ذوي الحجا ـ ما أُبيّن من جهلِ هؤلاء المعطلة .

أقولُ : وجدتُ الله وصفَ نفسَه في غير موضعٍ من كتابه ، فأعلم عبادَه المؤمنين أنه سميعٌ بصيرٌ ، فقال : ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾ ، وذكر عزّوجلّ الإنسان ، فقال : ﴿فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [الإنسان : ٢] .

(١) زيادة من «ظ» .

وأعلمنا جل وعلا أنه يرىٰ ، فقال : ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَىٰ اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة : ١٠٥] .

وقال لموسىٰ وهارون : ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه : ٤٦] .

فأعلم عزّ وجلّ أنه يسمع ويرىٰ أعمال بني آدم ؛ وأن رسوله ، وهو بشرٌ يرىٰ أعمالَهم أيضًا .

وقال : ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ﴾ [النحل : ٧٩] ، وبنو آدم يرون أيضًا الطير مسخرات في جو السماء .

وقال عزّ وجلّ : ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [هود : ٣٧] .

وقال : ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر : ١٤] .

وقال : ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور : ٤٨] .

فثبّتَ ربُّنا عزّ وجلّ لنفسه عينًا وثبّت لبني آدم أعينًا ، فقال : ﴿تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ﴾ [المائدة : ٨٣] فقد خبّرنا ربنا أنّ له عينًا وأعلمنا أن لبني آدم أعينًا .

وقال لإبليس ـ عليه لعنة الله ـ : ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص : ٧٥] .

وقال : ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة : ٦٤] .

وقال : ﴿وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر : ٦٧] .

فثبّت ربنا جلّ وعلا لنفسه يَدَيْنِ ، وخبّرنا أن لبني آدم يَدَينِ ، فقال : ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [آل عمران : ١٨٢] .

وقال : ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ﴾ [الحج : ١٠] .

وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠].

وقال: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥].

وخبّرنا أن رُكبان الدَّواب يستوون على ظهورها.

وقال في ذكر سفينة نوح: ﴿وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ﴾ [هود: ٤٤].

أفيلزم ـ [يا][1] ذوي الحجا ـ عند هؤلاء الفسقة أنّ من ثبّت لله ما ثبّت الله في هذه الآي أن يكون مُشبهًا خالقَه بخلقِه! ـ حاشَ لله أن يكون هذا تشبيهًا ـ كما ادَّعوا؛ لجهلهم بالعلم.

نحن نقول: إن اللهَ سميعٌ بصيرٌ، كما أعلَمنا خالقُنا وبارؤنا، ونقولُ: مَن له سمعٌ وبصرٌ من بني آدم، فهو سميعٌ بصيرٌ، ولا نقول: إن هذا تشبيه المخلوق بالخالق.

ونقولُ: إن للهِ عز وجل يدين يمينين لا شمالَ فيهما، قد أعلَمنا اللهُ تبارك وتعالى أنّ له يدين، وخبّرنا نبيُّنا ﷺ أنّهما يمينان، لا شمالَ فيهما.

ونقولُ: إن مَن كان مِن بني آدم سليم الجوارح والأعضاء، فله يدانِ يمينٌ وشمالٌ.

ولا نقولُ: إن يدَ المخلوقين كيدِ الخالق، عزّ ربُّنا عن أن تكون يده كيد خلقِه.

وقد سمَّى الله عزّ وجلّ لنا نفسَه: عزيزًا، وسمى بعضَ الملوك: عزيزًا، فقال: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ﴾ [يوسف: ٣٠].

---

(١) زيادة من «ظ».

وسمى إخوةُ يوسفَ أخاهم يوسفَ عزيزاً، فقالوا: ﴿يَا أَيُّهَا العَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا﴾ [يوسف: ٧٨].

وقال: ﴿قَالُوا يَا أَيُّهَا العَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ﴾ [يوسف: ٨٨].

فليست[١] عزة خالقنا ـ العزة التي هي صفةٌ من صفاتِ ذاته ـ كعزة المخلوقين الذين أعزهم[٢] الله بها.

ولو كان كلُّ اسمٍ سمّى الله لنا به نفسَه، وأوقع ذلك الاسمَ على بعضِ خلقه كانَ ذلك تشبيهُ الخالق بالمخلوقِ على ما توهّم هؤلاء الجهلة من الجهمية، لكان كلّ من قرأ القرآنَ وصدَّقه بقلبِه أنه قرآنٌ ووحيٌ وتنزيلٌ، قد شبَّه خالِقَه بخلقِه.

وقد أعلمنا [ربُّنا][٣] تبارك وتعالى أنه الملك، وسمّى بعضَ عَبيده ملكًا، فقال: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ﴾ [يوسف: ٥٠].

وأعلمنا جلّ وعلا أنه العظيم، وسمّى بعضَ عَبيده عظيمًا، فقال: ﴿وَقَالُوا لَوْلا نُزِّلَ هَذَا القُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ القَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾[الزخرف: ٣١].

وسمّى الله بعضَ خلقه عظيمًا، فقال: ﴿وَهُوَ رَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ﴾ [التوبة: ١٢٩] فالله العظيمُ وأوقع اسمَ العظيمِ على عرشه والعرشُ مخلوقٌ.

وربُّنا الجبّار المتكبّر، فقال: ﴿هُوَ اللهُ.... السَّلامُ الْمُؤمِنُ الْمُهَيْمِنُ العَزِيزُ الجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ﴾ [الحشر: ٢٣].

وسمّى بعض الكفّار متكبّرًا جبّارًا، فقال: ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [غافر: ٣٥].

---

(١) في الأصل: «ليس»، والمثبت من «ظ».

(٢) في الأصل: «الذي عزهم»، والمثبت من «ظ».

(٣) زيادة من «ظ».

وبارؤنا جلّ وعزّ الحفيظُ العليمُ، وخبّرنا أن يوسفَ ـ عليه السلام ـ قال للملك: ﴿اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٥].

وقال: ﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلامٍ عَلِيمٍ﴾ [الذاريات: ٢٨] وقال: ﴿بِغُلامٍ حَلِيمٍ﴾ [الصافات: ١٠١].

[قال][١]: فالحليمُ والعليمُ اسمان لمعبودِنا جلّ وعلا قد سمّىٰ الله بهما بعضَ بني آدم، ولو لزم ـ يا ذوي الحجا ـ أهلَ السنة والآثار إذا أثبتوا لمعبودِهم يدين، كما ثبّتهما اللهُ لنفسِه، وثبّتوا له نفسًا عزّ ربنا وجلّ، وأنَّه سميعٌ بصيرٌ، يسمع ويرىٰ ما ادعىٰ هؤلاء الجهلة عليهم أنَّهم مُشبهة، للزم كلّ مَن سمّىٰ الله ملكًا، وعزيزًا، وعظيمًا، ورؤوفًا، ورحيمًا، وجبّارًا، ومتكبرًا، أنَّه قد شبّه خالقَه عزّ وجلّ بخلقِه.

حاش لله أن يكون مَن وصفَ الله جل وعلا بما وصفَ الله به نفسَه [في كتابه][٢]، أو علىٰ لسان نبيه المصطفىٰ ﷺ مُشبهًا خالقَه بخلْقِه.

فأمَّا احتجاجُ الجهميّة علىٰ أهلِ السنة والآثار في هذا النحو، بقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورىٰ: ١١].

فمَن القائل إنّ لخالقنا مثالاً[٣]، أو إن له شبهًا؟!!

وهذا من التمويه علىٰ الرِّعاع والسِّفْل، يموهُون بمثل هذا علىٰ الجهَّال، يوهمونهم أنّ من وصفَ الله بما وصفَ به نفسَه في مُحكم تنزيله أو علىٰ لسانِ نبيه ﷺ، فقد شبّه الخالقَ بالمخلوقِ، وكيف يكون يا ذوي الحجا خلقه مثله؟!

---

(١) زيادة من «ظ».

(٢) زيادة من «ظ».

(٣) وفي «ظ»: «مثلاً».

نقولُ : الله القديمُ لم يزل ، والخلقُ مُحْدَثٌ مربوبٌ؟ والله الرازق ، والخلق مرزوقون ، والله الدائمُ الباقي ، وخلقُه هالكٌ غير باقٍ ، والله الغنيّ عن جميعِ خلقه ، والخلقُ [كلُّهم] فقراء إلى خالقهم .

وليس في تسميتنا بعضَ الخلق ببعضِ أسامي الله يوجب[1] عند العُقلاء ـ الذين يعقلون عن الله خطابَه ـ أن يُقال : إنكم شبهتُم الله بخلقِه إذ أوقعتم [بعض] أسامي الله على بعض خلقه[2] .

وهل[3] يمكن عند هؤلاء الجهّال حك هذه الأسامي من المصاحف ، أو محوها من صدور القُرَّاء[4]؟ أو ترك تلاوتها في المحاريب ، والكتاتيب وفي الجدور[5] ، والبيوت؟ .

أليس قد أعلمنا منزِّلُ القرآن على نبيه ﷺ أنه الملك وسمّى بعض عبيده ملكًا .

وخبّرنا أنه السَّلام ، وسمّى تحية المؤمنين بينهم سلامًا في الدنيا وفي الجنة ، فقال : ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلامٌ﴾ [الأحزاب : ٤٤] .

● ونبينا المصطفى ﷺ قد كان يقولُ بعد فراغه من تسليم الصَّلاة : «اللهم أنت السَّلامُ ، ومنك السَّلامُ . . .»[6] .

---

(١) وفي «ظ» : «بموجب» .

(٢) قال الشيخ هراس ـ رحمه الله ـ : «لا يقتضي تسمية الخلق ببعض أسامي الله عز وجل تشبيهًا أو تمثيلاً ؛ فإن معناها في حق الله عز وجل على ما يليق به ، وفي حق الخلق على ما يليق بهم» .

(٣) وفي «ظ» : «وقد» .

(٤) وفي «ظ» : «من صدور أهل القرآن» .

(٥) جمع «جدار» ، وهو الحائط .

(٦) رواه مسلم (٥٩١) من حديث ثوبان رضي الله عنه .

وقال عزّ وجلّ: ﴿وَلا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ [النساء: ٩٤].

فثبتَ بخبر الله أن الله هو السَّلام، [كما] في قوله: ﴿السَّلامُ الْمُؤمِنُ الْمُهَيْمِنُ﴾، وأوقع هذا الاسمَ على غيرِ الخالق البارئ.

وأعلمنا عز وجل أنه المؤمن، وسمّى بعضَ عباده المؤمنين، فقال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال: ٢]،

وقال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ﴾[الحجرات: ١٥].

وقال: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا﴾ [الحجرات: ٩].

وقال: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥].

وقد ذكرنا قبلُ: أن الله خبّر أنَّه سميعٌ بصيرٌ، وقد أعلمنا أنه جعلَ الإنسانَ سميعًا بصيراً، فقال: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى الإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُوراً. . .﴾، إلى قوله: ﴿فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيراً﴾ [الإنسان: ١-٢].

والله الحكمُ العدلُ، وخبّرنا نبيُّنا ﷺ أن عيسى ابن مريم ينزل قبل قيام السَّاعة حكمًا عدلاً، وإمامًا مقسطًا[1].

والمقسطُ أيضًا اسمٌ من أسامي الله عز وجل في خبرِ أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هُريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ؛ في أسامي الرَّب عز

---

(١) روى البخاري(٣٤٤٨)، ومسلم(١٥٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده، ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكمًا عدلاً (م: حكمًا مقسطًا)، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد، حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدُّنيا وما فيها».

وفي رواية لمسلم: «حكمًا عادلاً». وفي أخرى له: «إمامًا مقسطًا، وحكمًا عدلاً».

وجل فيه[1]: «والمقسط»[2].

وقال في ذكر الشِّقاق بين الزوجين: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٣٥].

فأوقع اسم الحكم على حَكَمَي الشقاق.

والله العدلُ، وأمر عباده بالعدل والإحسانِ، والنبيُّ ﷺ قد خبَّر أن المقسطين في الدنيا على منابرَ من لؤلؤٍ، أو من نورٍ يوم القيامة، فاسم المقسط قد أوقعـ[ـه][3] النبيُّ ﷺ على بعض أوليائه الذين يعدلون في حُكمِهم، وأهلِيهم وما ولُوا[4].

٣٧ ـ وفي خبرِ عِياض بنِ حِمَارٍ[5]؛ أنَّ[6] النبي ﷺ قال: «أَهْلُ الْجَنَّةِ

(١) وفي «ظ»: «منه».

(٢) خبر أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة رواه الترمذي(٣٥٠٧)، والحاكم (١/ ١٦)، والبغوي (١٢٥٧)، وهو حديث ضعيف بذكر هذه الأسامي، انظر «فتح الباري» (١١/ ٢١٤).

وإنما الذي يصح من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «إن لله تسعة وتسعين اسمًا؛ مائة إلا واحدة، من أحصاها دخل الجنة، إنه وتر يحب الوتر».

قلت: وهذا متفق عليه رواه البخاري (٦٤١٠)، ومسلم (٢٦٧٧) من حديث أبي هريرة.

و«المقسط»: العادل.

(٣) زيادة من «ظ».

(٤) يشير المصنف رحمه الله إلى ما رواه مسلم(١٨٢٧) ـ وغيره ـ من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص: «إن المقسطين عند الله على منابرَ من نور، عن يمين الرحمن عز وجلّ، وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم، وأهليهم، وما ولوا».

(٥) هو: الصحابي عياض بن حمار بن أبي حمار بن ناجية التميمي، قال ابن حجر في «الإصابة»: «وأبوه باسم الحيوان المشهور، وقد صحفه بعض المتنطعين من الفقهاء؛ لظنه أن أحدًا لا يسمى بذلك».

قلت: روى أبو داود(٣٠٥٧)، والترمذي(١٥٧٧) بسند صحيح عن عياض بن حمار، قال: أهديت للنبي ﷺ ناقة، فقال: «أسلمتَ؟»، فقلت: لا. فقال النبي ﷺ: «إني نُهيت عن زَبْدِ المشركين».

(٦) في الأصل: «عن»، والمثبت من «ظ».

ثَلاثَةٌ: عَفِيفٌ مُتَصَدِّق، وذُو سُلْطَانٍ مُقْسِطٌ، ورَجُلٌ رَحِيمٌ، رقِيقُ القَلْبِ لكُلِّ ذِي قُرْبَىٰ، ومُسْلِمٍ»[1].

قال أبو بكر: وإن كان المقسط اسمًا من أسامي ربنا[2] جلّ وعلا.

وبارؤنا الحليم جلّ ربُّنا، وسمّىٰ الله إبراهيم ـ عليه السلام ـ حليمًا، فقال: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ﴾ [هود: ٧٥]..

وأعلمنا أنّ نبينا المصطفىٰ محمداً ﷺ رؤوفٌ رحيم، فقال في وصفه: ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٩].

والله الشَّكورُ، وسمّىٰ بعضَ عباده الشكور، فقال: ﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣]، فسمّىٰ اللهُ القليلَ من عبادِه الشكور.

والله العليُّ، وقال في مواضع من كتابِه، يذكرُ نفسَه عزّ وجلّ: ﴿إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ [الشورىٰ: ٥١].

وقد يُسَمِّي بهذا الاسم كثيرٌ من الآدميين لم نسمعْ عالمًا ورعًا زاهدًا فاضلاً فقيهًا، ولا جاهلاً، أنكر علىٰ أحدٍ من الآدميين تسمية ابنه عليًا، ولا كره أحدٌ منهم هذا الاسم للآدميين.

● قد دعا النبيّ المصطفىٰ ﷺ عليّ بنَ أبي طالبٍ باسمه، حين وجَّه إليه، فقال: «ادعُ لي عليًّا»[3].

واللهُ الكبيرُ، وجميعُ المسلمين يوقعون اسمَ الكبيرِ علىٰ أشياء ذوات عددٍ من المخلوقين؛ يوقعون اسمَ الكبير علىٰ الشيخ الكبير وعلىٰ الرئيسِ وعلىٰ كلِّ

---

(١) صحيح. رواه مسلم (٢٨٦٥).

(٢) وفي «ظ»: «الله».

(٣) جاء ذلك في أحاديث منها ما رواه مسلم (٢٤٠٤).

عظيمٍ، وكثير من الحيوانِ وغيرها.

ذكـر الله قـولَ إخـوة يوسف للملكِ : ﴿إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا﴾ [يوسف: ٧٨].

● وقالت الخثعمية للنبيِّ ﷺ: إنّ فريضةَ الله على عبادِه أدركتْ أبي شيخًا كبيراً[1].

فلم ينكر النبيُّ ﷺ عليها تسميتها أباها كَبيراً، ولا قالَ لها: إن الكبيرَ اسمٌ [من أسامي][2] الله تعالى.

وفي قصة شعيب: ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾[القصص: ٢٣].

● وربنا عزّ وجلّ الكريم، والنبيُّ ﷺ قد أوقع اسمَ الكريم على جماعةٍ من الأنبياء، فقال: «إن الكريمَ ابنَ الكريمِ ابنِ الكريم ابنِ الكريم: يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم»[3].

وقال عز وجل: ﴿فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ [لقمان: ١٠]، فسمَّى النبي ﷺ كل واحد من هؤلاء الأنبياء كريمًا.

والله الحكيمُ، وسمّى كتابَه حكيمًا، فقال: ﴿الم تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ [لقمان: ١].

وأهلُ القبلة يسمون لُقمانَ الحكيمَ، إذ الله أعلم أنه آتاه الحكمة، فقال: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾ [لقمان: ١٢]. وكذلك العلماءُ يقولون: قال حكيمٌ من الحكماء، ويقولون: فلانٌ حكيمٌ من الحكماء.

(١) رواه البخاري (١٥١٣)، ومسلم(١٣٣٤) من حديث عبد الله بن عباس.

(٢) زيادة من «ظ».

(٣) رواه البخاري(٣٣٨٢) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

والله جلّ وعلا الشهيدُ ، وسمى الشُّهودَ الذين يشهدون على الحقوقِ شُهودًا ، فقال : ﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾ [البقرة : ٢٨٢] .

وقال ـ أيضًا ـ : ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَؤُلاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء : ٤١] .

وسمّى الله عزّ وجلّ، ثم نبيه المصطفى ﷺ، وجميع أهل الصلاة المقتولَ في سبيل الله : شهيداً [١] .

والله الحق ، قال عز وجل : ﴿فَالحَقُّ والحَقَّ أَقُولُ﴾ [ص : ٨٤] .

وقال : ﴿فَتَعَالَىٰ اللهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾ [المؤمنون : ١١٦] .

وقال عز وجل : ﴿وَيَرَىٰ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الذي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ ربِّكَ هُو الحقَّ﴾ [سبأ : ٦] .

وقال : ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾ [الإسراء : ١٠٥] .

وقال : ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ [محمد : ٢] .

وقال : ﴿وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ [محمد : ٣] .

وقال : ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ أَنَّهُ الحقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾[الحج : ٥٤] .

وقال : ﴿الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ﴾ [الفرقان : ٢٦] .

وقال : ﴿ولا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إلا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾ [الفرقان : ٣٣] .

وقال : ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ﴾ [التوبة : ٣٣] .

---

(١) جاء ذلك في أحاديث منها : ما رواه مسلم(١٩١٥) من حديث أبي هريرة قال : قال رسولُ الله ﷺ : «ما تعدون الشهيد فيكم؟» ، قالوا : يا رسول الله ! من قتل في سبيل الله فهو شهيد . قال : «إن شهداء أمتي إذًا لقليل» ، قالوا : فمن هم يا رسول الله؟ قال : «من قُتل في سبيل الله فهو شهيد . . .» . الحديث .

وقال جلّ وعلا لنبيه ﷺ: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللهُ﴾ [النساء: ١٠٥].

فكلُّ صوابٍ وعدلٍ في حُكمٍ وفعلٍ ونُطقٍ فاسمُ الحقّ واقعٌ عليه، وإن كان اسم الحقّ اسمًا من أسامي ربنا عزّ وجلّ، لا يمتنع[1] أحدٌ من أهلِ القبلةِ من العلماء من إيقاعِ اسم الحقّ على كل عدلٍ وصوابٍ.

والله الوكيلُ، كما قال عزّ وجلّ: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾[الأنعام: ١٠٢]. والعربُ لا تَمَانُع بينها من إيقاعِ اسم الوكيلِ على مَن يتوكّل لبعضِ بني آدم.

● وفي أخبار فاطمة بنتِ قيس في مُخاطبتها النبيّ ﷺ، لما أعلمته أن زوجَها طلّقها، قالت: وأمرَ وكيلَه أن يعطيني شيئًا، وأنها استقلّت ما أعطاها وكيلُ زوجِها[2].

والعجمُ أيضًا يوقعون اسمَ الوكيلِ على مَن يتوكّل لبعض الآدميين كإيقاعِ العرب سواء.

وأعلم الله أنه مولى الذين آمنوا، في قوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الكَافِرِينَ لا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ [محمد: ١١].

وقال ـ عز وجل ـ: ﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ﴾ [النساء: ٣٣].

فأوقع اسم الموالي على العصبة.

---

(١) في «ظ»: «لايمنع».

(٢) روىٰ مسلم (١٤٨٠) عن فاطمة بنت قيس؛ أن أبا عمرو بن حفص طلقها البتة ـ وهو غائب ـ فأرسل إليها وكيله بشعيرٍ، فسخطته، فقال: والله مالك علينا من شيء، فجاءت رسول الله ﷺ، فذكرت ذلك له..

● وقال النبيُّ ﷺ: «من كنتُ مولاه فعليٌّ مولاه»[1].

● وقال ﷺ لزيد بنِ حارثةَ لما اشتجرَ جعفرُ، وعليٌّ بنُ أبي طالب، وزيد ابنُ حارثة في ابنةِ حمزةَ، قال لزيدٍ: «أنت أخونا ومولانا»[2].

فأوقع اسم المولى أيضًا على المولى من أسفل، كما يقعُ اسمُ المولى على المولى من أعلى.

فكلُّ مُعتِقٍ قد يقعُ عليه اسمُ مولى، ويقعُ على المعتَقِ اسمُ مولى.

● وقال ﷺ في خبرِ عائشةَ رضي الله عنها: «أيما امرأةٍ نكحتْ بغيرِ إذن وليّها، فنكاحُها باطلٌ»[3].

فقد أوقع الله، ثم رسولُه، ثم جميع العرب والعجم اسم المولى على بعضِ المخلوقين.

والله جلّ وعلا الولي، وقد سمّى الله نبيَّه ﷺ وليًا، فقال: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ الله وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الذين يُقِيمُونَ الصَّلاةَ.....﴾ الآية [المائدة: ٥٥].

فسمى الله هؤلاء المؤمنين أيضًا الذين وصفَهم في هذه الآية أولياء المؤمنين. وأعلَمنا أيضًا ربنا عزّ وجلّ أن بعضَ المؤمنين أولياء بعضٍ، في قوله: ﴿والمؤمِنُونَ والمؤمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٧١].

---

(١) حديث صحيح. ورد عن جمع من الصحابة رضي الله عنهم، فقد ورد من حديث زيد بن أرقم، وسعد بن أبي وقاص، وبريدة بن الحصيب، وعلي بن أبي طالب، وأبي أيوب الأنصاري، والبراء بن عازب، وعبد الله بن عباس، وأنس بن مالك، وأبي سعيد الخدري، وأبي هريرة، وقد صححه شيخنا الألباني، وخرجه في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (١٧٥٠).

(٢) رواه البخاري (٤٢٥١) من حديث البراء بن عازب، وانظر «العمدة في الأحكام» (٣٣٩)، وانظره أيضًا في «عمدة الأحكام الكبرى» ص (٣٨٠)، وكلاهما للحافظ عبد الغني المقدسي ومن تحقيقي.

(٣) صحيح لغيره.

وقال عز وجل: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾[الأحزاب: ٦]

والله عزّ وجلّ الحيّ، واسمُ الحيّ قد يقع أيضًا على كلِّ ذي روحٍ قبل قبضِ النفسِ، وخروجَ الروح منه قبلَ الموت.

قال الله تبارك وتعالىٰ: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ [الروم: ١٩].

واسم الحي قد يقع أيضًا على الموتان، قال الله تعالىٰ: ﴿وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [النحل: ٦٥].

وقال الله تعالىٰ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾[الأنبياء: ٣٠]

- قال النبيُّ ﷺ: «من أحيا أرضًا ميتةً فهي له»[1].

والله الواحدُ، وكلُّ ما له عددٌ من الحيوانِ والموتان فاسمُ الواحد قد يقعُ على كلّ واحدٍ من جنس منه، إذا عُدّ قيل: واحدٌ، واثنان، وثلاثة.. إلىٰ أن ينتهي العددُ إلىٰ ما انتهىٰ إليه.

وإذا كان واحدٌ من ذلك الجنس قيل: هذا واحدٌ، وكذلك يُقال: هذا الواحدُ صفتُه كذا وكذا، لاتَمَانُع بين العربِ في إيقاع اسم الواحد على ما بيّنتُ

وربنا جلّ وعلا الوالي، وكلُّ من له ولايةٌ من أمرِ المسلمين، فاسم الوالي واقعٌ عليه عند جميع أهلِ الصَّلاةِ من العربِ.

وخالقُنا عزّ وجلّ التَّوَّابُ، قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ١٦].

وقد سمّىٰ الله جميعَ مَن تابَ من الذُّنوبِ توابًا، فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

---

(١) صحيح. انظر «بلوغ المرام» (٩١٦) بتحقيقي، و«عمدة الأحكام الكبرىٰ» (٥٦٥) بتحقيقي.

ومعقولٌ عند كلِّ مؤمنٍ أن هذا الاسمَ الذي هو اسمُ الله ليس هو على معنىٰ ما سمّىٰ الله التائبين به؛ لأن الله إنما أخبر أنه يحب التوابين ـ أي: من الذنوب والخطايا ـ وجلّ ربنا وعزّ أن يكون اسم التواب له على المعنىٰ الذي خبّر أنه يحب التوابين من المؤمنين.

ومعبودُنا عزّ وجلّ الغنيّ، قال الله تعالىٰ: ﴿واللهُ الغَنيُّ وأَنْتُمُ الفُقَرَاءُ﴾ [محمد: ٣٨].

واسم الغني قد يقع على كلِّ من قد أغناهُ الله تعالىٰ بالمال.

قال جلّ [وعلا] ذكره: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [النور: ٣٣].

وقال: ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَىٰ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُم أغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الخَوَالِفِ﴾ [التوبة: ٩٣].

● وقال النبيُّ ﷺ ـ عند بعثه مُعاذًا إلىٰ اليمنِ ـ: «أعلِمهُم أنَّ الله افترَضَ عَلَيهِمْ صدقةً، تُؤخَذُ من أغنيائِهِم؛ فتردُّ عَلَىٰ فُقَرَائِهِم»[(١)].

● وقال ضمام بن ثعلبة للنبيِّ ﷺ: آلله أَمَرَكَ أنْ تأخُذَ الصَّدَقَةَ مِنْ أغْنِيَائِنَا، فتردَّها على فُقرائنا؟ قالَ: «نَعَمْ»[(٢)].

وربنا جل وعلا النُّورُ، وقد سمّىٰ الله بعضَ خلقه نُوراً، فقال: ﴿مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ [النور: ٣٥].

وقال: ﴿نورٌ عَلَىٰ نُور يَهْدي اللهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ﴾ [النور: ٣٥].

وقال: ﴿نُورُهُم يَسْعَىٰ بينَ أَيْدِيهِم وبأَيمانِهِم يَقُولُونَ رَبَّنا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا﴾

(١) رواه البخاري (٤٣٤٧)، ومسلم (١٩).

(٢) رواه البخاري (٦٣)، ومسلم (١٢) من حديث أنس بن مالك.

[التحريم: ٨].

وقال: ﴿يَومَ تَرىٰ المؤمنينَ والمؤمنات يَسْعىٰ نُورُهُم بين أيدِيهِم وبأيمانِهِم﴾ [الحديد: ١٢].

قال أبو بكر: قد كنتُ خُبِّرت منذ دهرٍ طويلٍ أن بعضَ من كان يدّعي العلمَ، ممن كان لا يفهمُ هذا البابَ يزعمُ أنه غيرُ جائزٍ أن يقرأ: ﴿الله نُورُ السَّمَاواتِ والأرضِ﴾، وكان يقرأ: ﴿اللهُ نَوَّرَ السَّمَاواتِ وَالأَرْضِ﴾!

فبعثت إليه بعضَ أصحابي، وقلتُ له: قُلْ له: ما الذي تُنكر أن يكون لله عزّ وجلّ اسمٌ، يسمي الله بذلك الاسمَ بعضَ خلقِه؟! فقد وجدنا الله قد سمّىٰ بعضَ خلقِه بأسامي هي له أسامي، وبينتُ له بعضَ ما قد أمليتُه في هذا الفصلِ.

وقلتُ للرسولِ: قُل له: قد رُوي عن النبيِّ ﷺ ـ بالإسنادِ الذي لا يدفعه عالمٌ بالأخبارِ ـ ما يُثبتُ أن الله نُورُ السماوات والأرض.

● في خبر طاوسَ، عن ابن عباسٍ؛ أن النبيَّ ﷺ كان يدعو: «اللهمَّ لكَ الحمدُ، أنْتَ نُورُ السَّماواتِ والأرضِ، ومَنْ فيهنَّ، ولك الحمدُ، أنتَ قيِّمُ السَّمَاواتِ والأرضِ، ومن فيهنَّ...»، الحديث بتمامه[1].

فرجع الرسولُ، وقال: لست أُنكر أن يكونَ الله تعالىٰ نُورًا، كما قد بلغني بعدُ أنه رجعَ.

قال أبو بكر: وكلُّ من فَهِمَ عن الله خطابَه، يعلمُ أن هذه الأسامي، التي هي لله تعالىٰ أسامي، بيّن الله ذلكَ في كتابِهِ، وعلىٰ لسان نبيه ﷺ مما قد أوقع تلك الأسامي علىٰ بعضِ المخلوقين، ليس علىٰ معنىٰ تشبيه المخلوق بالخالقِ؛

(١) رواه البخاري (١١٢٠)، ومسلم (٧٦٩).

لأن الأسامي قد تتفق، وتختلف المعاني .

فالنورُ وإن كان اسمًا لله، فقد يقع اسمُ النورِ على بعضِ المخلوقين، فليس معنى النُّور الذي هو اسمٌ لله في المعنى مثل النورِ الذي هو خلقٌ لله .

قال الله جلّ وعلا: ﴿يَهْدِي اللهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاء﴾ [النور: ٣٥] .

وأعلم أيضًا أن لأهلِ الجنة نورًا يسعى بين أيديهم وبأيمانِهم، وقد أوقع اللهُ اسمَ النُّور على معانٍ .

وربنا جلّ وعلا الهادي، وقد سمّى بعضَ خلقه هاديًا، فقال عزّ وجلّ لنبيه: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد: ٧]، فسمّى نبيه ﷺ هاديًا، وإن كان الهادي اسمًا[1] لله عزّ وجلّ .

والله الوارثُ، قال الله تعالى: ﴿وأنتَ خيرُ الوارثِين﴾ [الأنبياء: ٨٩]، وقد سمّى الله مَن يرث من الميتِ ماله وارثًا، فقال عز وجل: ﴿وَعَلَى الوَارِثِ مثلُ ذَلِك﴾ [البقرة: ٢٣٣] .

فتفهموا ـ يا ذوي الحِجا ـ ما بينتُ في هذا الفصلِ تعلَموا وتستيقِنوا: أن لخالِقنا عزّ وجلّ أسامي، قد تقعُ تلك الأسامي على بعضِ خلقِه في اللفظِ، لا على المعنى، على ما قد بينت في هذا الفصلِ من الكتابِ، والسنة، ولغة العرب .

فإن كان علماءُ الآثار[2]؛ الذين يصفُونَ الله بما وصفَ به نفسَه، وعلى لسانِ نبيه ﷺ مشبهةً ـ على ما تزعمُ الجهميةُ المعطلة ـ فكلُّ أهل القبلة إذا قرأوا كتابَ الله، فآمنوا به بإقرارِ باللسانِ، وتصديقٍ بالقلب، وسَمَّوْا الله بهذه

(١) في «ظ»: «اسمًا من أسماء الله» .

(٢) في الأصل: «الإيمان»، والمثبت من «ظ»، وهامش الأصل، وهو الصواب .

الأسامي التي خبّر الله بها أنها له أسامي، وسمَّوا هؤلاء المخلوقين بهذه الأسامي التي سمَّاهم الله بها ـ هم مُشبهة.

فعودُ مقالتهم هذه توجبُ أن على أهلِ التوحيد الكفرَ بالقرآنِ، وتركَ الإيمان به، وتكذيبَ القرآنِ بالقلوب، والإنكار بالألسُنِ.

فأقذِرْ بهذا من مذهبٍ، وأقبح بهذا الموحّد[1] عندهم ـ عليهم لعائنُ الله ـ وعلى مَن ينكر جميعَ ما وصفَ الله به نفسَه في مُحكم تنزيله، والكفر بجميع ما ثبتَ عن نبينا المصطفى ﷺ ـ بنقلِ أهلِ العدالة موصولاً إليه ـ في صفات الخالقِ جلّ وعلا.

(١) وفي «ظ»: «بهذه الوجوه».



٧ ـ بابُ ذكرِ أخبارٍ رُويت عن النبيِّ ﷺ

تأوّلها بعضُ من لم يتبحّر [في] العلمِ على غيرِ تأويلِها ففتن عالَمًا من أهل الجهل والغباء(١)، حملَهم الجهلُ بمعنى الخبر على القولِ بالتشبيه، جلّ وعلا(٢) عن أن يكون وجهُ خلقٍ من خلقِهِ مثل وجهِهِ، الذي وصفَه الله بالجلالِ والإكرامِ، ونفى الهلاكَ عنه.

٣٨ـ عن أبي هُريرة رضي الله عنه، عن رسُولِ الله ﷺ؛ أنه قال: «[إذا ضَرَبَ (قاتل) أحدُكُمْ فَلْيَجْتَنِبِ الوجهَ]، ولا يَقُولَنَّ أحدُكُم لأحدٍ: قبّحَ اللهُ وجهَكَ، وَوَجْهًا أشْبَهَ وَجْهَكَ؛ فإنَّ الله خلقَ آدمَ عَلَى صُورتِهِ»(٣).

قال أبو بكر: توهم بعضُ من لم يتبحر(٤) العلم أن قولَه: «على صُورته» يريدُ: صورةَ الرحمن، عزّ ربنا وجلّ عن(٥) أن يكون هذا معنى الخبر.

بل معنى قوله: «خَلَقَ آدَمَ على صُورته»، الهاءُ في هذا الموضع كناية عن اسمِ المضروب والمشتوم!

أراد ﷺ أنّ الله خلقَ آدمَ على صُورةِ هذا المضروبِ؛ الذي أُمر الضَّاربُ باجتنابِ وجهه بالضربِ، والذي قُبِّحَ وجهُه. فزجر ﷺ أن يقولَ: ووجهَ من أشبه وجهك؛ لأنه وجهَ آدم شَبِيهُ وجُوه(٦) بنيه.

فإذا قال الشَّاتمُ لبعضِ بني آدمَ: قبّح اللهُ وجهَك ووجهَ مَن أشبه وجهك،

(١) وفي «ظ»: «والغباوة».

(٢) في «ظ»: «وعز».

(٣) صحيح لغيره. رواه ابن أبي عاصم في «السنة» (٥١٩)، وابن منده في «التوحيد» (٨٤).

(٤) في «ظ»: «يتحر».

(٥) بالأصل: «عز ربنا وجل على...»، والمثبت من «ظ».

(٦) وفي «ظ»: «وجه» بالإفراد، وما في الأصل هو الصواب.

كان مُقبِّحًا وجهَ آدم صلواتُ الله عليه وسلامه، الذي وجُوه بنيه شبيهةٌ بوجْهِ أبِيهم.

فتفهموا ـ رحمكم الله ـ معنىٰ الخبرَ، لا تَغلطوا ولا تُغالطوا، فتضلوا[1] عن سواء السبيل، وتحملوا علىٰ القول بالتشبيه؛ الذي هو ضلالٌ[2].

وقد رُويت في نحوِ هذا لفظةٌ أغمضُ من اللفظةِ التي ذكرناها في خبرِ أبي هُريرة. وهي:

٤٤ ـ عن ابن عُمر قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لا تُقَبِّحُوا الوَجْهَ؛ فإنَّ ابنَ آدَمَ خُلِقَ عَلَىٰ صُورَةِ الرَّحْمَنِ»[3].

---

(١) وقع في «الأصل»: «فتصدوا»، والمثبت من «ظ».

(٢) انظر التعليق علىٰ الحديث التالي.

(٣) ضعيف. وقد أعله المصنف بثلاث علل، وهي:

١ـ مخالفة الثوري للأعمش، فبينما أسنده الأعمش أرسله الثوري.

٢ـ تدليس الأعمش.

٣ـ تدليس حبيب ابن أبي ثابت.

قلت: وزاد شيخنا في «الضعيفة» علة رابعة، فقال:

«والعلة الرابعة هي جرير بن عبد الحميد، فإنه وإن كان ثقة، فقد ذكر الذهبي في ترجمته من «الميزان» أن البيهقي ذكر في «سننه» في ثلاثين حديثًا لجرير بن عبد الحميد، قال: «قد نسب في آخر عمره إلىٰ سوء الحفظ»، قلت: وإن مما يؤكد ذلك أنه رواه مرة عند ابن أبي عاصم (رقم٥١٨) بلفظ: «علىٰ صورته»، لم يذكر: «الرحمن»، وهذا الصحيح المحفوظ عن النبي ﷺ من الطرق الصحيحة عن أبي هريرة». أ هـ.

قلت: وللحديث شاهد من حديث أبي هريرة:

رواه عبد الله في «السنة» (١١٧٠)، وابن أبي عاصم(٥٢١)، ورجال إسنادهما ثقات عدا ابن لهيعة، فإنه لا بأس به في الشواهد. ولكن الحديث بهذه الزيادة قال عنه شيخنا في «الضعيفة» (١١٧٥): **«منكر»**

قلت: وما ذهب إليه إمام الأئمة رحمة الله عليه من أن إضافة الصورة إلىٰ الرحمن كإضافة الخلق إليه بعيد، ولذا قال الشيخ هراس معلقًا علىٰ كلام المصنف: «هذا تأويل بعيد جدًا، فالصورة لا تضاف إلىٰ الله كإضافة خلقه إليه، لأنها وصف قائم به». أ هـ. =

قال أبو بكر: وقد افتتنَ بهذه اللفظةِ: «علىٰ صُورةِ الرَّحْمنِ» عالَمٌ ممن لم يتحرّ العلم، وتوهمُوا أنّ إضافة الصورةِ إلىٰ الرحمن في هذا الخبرِ من إضافةِ صفات الذَّاتِ، فغلطوا في هذا غلطًا بينًا، وقالوا مقالةً شنيعةً مُضاهيةً لقولِ المشبّهة، أعاذنا الله وكلَّ المسلمين من قولهم.

=قلت: وليس في هذا تشبيهًا إذا جرىٰ ذلك علىٰ قاعدة السلف من إثبات الصفة دون تكييف أو تشبيه، ودون تعطيل أو تأويل.

«فائدة»: جاء في «فتاوىٰ» العلامة الأثري عبد العزيز بن باز - رحمه الله - (٦/ ٢٧٤ - ٢٧٥).

س ٤: إن الله خلق آدم علىٰ صورته، هل معنىٰ ذلك أن جميع ما لآدم من صفات تكون لله؟

ج: هذا ثبت عن الرسول ﷺ، في «الصحيحين»؛ أنه قال عليه الصلاة والسلام:

«إن الله خلق آدم علىٰ صورته»، وجاء في رواية أحمد وجماعة من أهل الحديث: «علىٰ صورة الرحمن»، فالضمير في الحديث الأول يعود إلىٰ الله، قال أهل العلم؛ كأحمد رحمه الله، وإسحاق بن راهويه، وأئمة السلف: يجب أن نمره كما جاء، علىٰ الوجه الذي يليق بالله من غير تشبيه، ولا تمثيل، ولا تعطيل، ولايلزم من ذلك أن تكون صورته سبحانه مثل صورة الآدمي، كما أنه لايلزم من إثبات الوجه لله سبحانه واليد والأصابع والقدم والرضا والغضب وغيرذلك من صفاته أن تكون مثل صفات بني آدم، فهو سبحانه موصوف بما أخبر به عن نفسه، أوأخبر به رسوله ﷺ علىٰ الوجه اللائق به من دون أن يشابه خلقه في شيء في ذلك، كما قال عزوجل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.

فعلينا أن نمره كما جاء علىٰ الوجه الذي أراده الرسول ﷺ من غير تكييف، ولا تمثيل.

والمعنىٰ والله أعلم أنه خلق آدم علىٰ صورته ذا وجه وسمع وبصر، يسمع ويتكلم ويبصر ويفعل ما يشاء، ولا يلزم أن يكون الوجه كالوجه والسمع كالسمع والبصر كالبصر... وهكذا لايلزم أن تكون الصورة كالصورة

وهذه قاعدة كلية في هذا الباب عند أهل السنة والجماعة، وهي إمرار آيات الصفات وأحاديثها علىٰ ظاهرها من غير تحريف ولا تكييف، ولا تمثيل ولا تعطيل، بل يثبتون أسماءه وصفاته إثباتًا بلا تمثيل، وينزهونه سبحانه عن مشابهة خلقه تنزيهًا بلا تعطيل، خلافًا لأهل البدع من المعطلة والمشبهة.

فليس سمع المخلوق ولا بصر المخلوق ولا علم المخلوق مثل علم الله عز وجل، وإن اتفقا في جنس العلم والسمع والبصر، لكن ما يختص به الله لا يشابهه أحد من خلقه سبحانه وتعالىٰ، وليس كمثله شيء؛ لأن صفاته صفات كاملة، لا يعتريها نقص بوجه من الوجوه. أما أوصاف المخلوقين فيعتريها النقص والزوال في العلم وفي السمع وفي البصر وفي كل شيء. والله ولي التوفيق». اهـ.

فإن في الخبرِ عللاً ثلاثًا[1] .

قال أبو بكر : ومثلُ هذا الخبر لا يَكاد يحتجّ به علماؤُنا من أهلِ الأثرِ .

لا سيما إذا كان الخبرُ في مثلِ هذا الجنس ، فيما يُوجب العلم لو ثبتَ ، لا فيما يُوجب العمل بما قد يُستدل على صحّته وثُبوته بدلائل من نظرٍ ، وتشبيهٍ وتمثيلٍ بغيرهِ من سُنن النبيّ ﷺ من طريقِ الأحكامِ والفقه .

فما أضافَ الله إلىٰ نفسه على مَعْنيين[2] .

أحدهما : إضافة الذات .

والأخر : إضافة الخلق[3] .

فتفهموا هذين المعنيين ، لا تغالطوا .

قال أبو بكر : فصورةُ آدم هي ستونَ ذِراعًا ، التي خبّر النبيُّ ﷺ أن آدمَ عليه السلام خُلِقَ عليها ، لا علىٰ ما توهّم بعضُ من لم يتبحر[4] العلم ، فظنَّ أن قولَه علىٰ صُورته ؛ صورةِ الرحمن صفة من صفات ذاته . جلّ وعلا عن أن يُوصف بالذّرعان والأشبارِ ، قد نزّه اللهُ نفسَه وقدّس عن صفات المخلوقين ، فقال : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ : ١١] .

وهو كما وصفَ نفسَه في كتابه علىٰ لسانِ نبيّه لا كصفات المخلوقين من الحيوانِ ، ولا من الموتان ، كما شبّه الجهميّةُ معبودَهم بالموتان ، ولا كما شبّه الغاليةُ من الروافضِ معبودَهم ببني آدمَ ، قبّح الله هذين القولين وقائلهما .

(١) وقد تقدم ذكرها في الحاشية

(٢) في «ظ» : «مضافين» .

(٣) قال الشيخ هراس : «فما أضافه الله إلىٰ ذاته من المعاني فهو قائم به كعلمه وقدرته وكلامه ، وما أضافه من الذوات فهو مخلوق منفصل عنه كبيت الله وناقة الله» .

(٤) في «ظ» : «يتحر» .

٨ ـ باب ذكر إثبات العين لله عزّ وجلّ
على ما ثبّته الخالقُ الباري لنفسه في مُحكم تنزيله
وعلى لسانِ نبيه [المصطفى](١) ﷺ

قال الله عزّ وجلّ لنبيه نوح ـ صلوات الله عليه ـ : ﴿وَاصْنَعِ الفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾ [هود: ٣٧].

وقال عزّ جلّ: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر: ١٤].

وقال عزّ وجلّ ـ في ذكر موسىٰ ـ: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي﴾ [طه: ٣٩].

وقال: ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨].

فواجبٌ علىٰ كلِّ مؤمنٍ أن يُثْبِتَ لخالقِه وبارئه ما ثبّتَ الخالقُ الباري لنفسِه من العينِ.

وغيرُ مؤمنٍ من ينفي عن الله تبارك وتعالىٰ ما قد ثبّته اللهُ في مُحكمِ تنزيله.

---

(١) زيادة من «ظ».

٩ ـ باب ذكر إثبات العين لله جل وعلا

ببيان النّبي ﷺ، الذي جعلَه الله مبينًا عنه عزّ وجلّ، في قوله: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤].

فبيّن النَّبيّ ﷺ أن لله عينين، فكان بيانهُ موافقًا لبيانِ مُحكمِ التنزيلِ الذي هو مسطورٌ بين الدفتين، مقروءٌ في المحاريب والكتاتيب.

٤٩ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ أنه قال في هذه الآية: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالعَدْلِ إِنَّ اللهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٨] رَأيتُ رسُولَ الله ﷺ يَضَعُ إِبْهَامَهُ عَلَىٰ أُذُنِهِ، وإصبَعهُ التي تَليها عَلَىٰ عَينِهِ، قال أبو هُريرة رضي الله عنه: رأيتُ رَسُول الله ﷺ يَفْعَلُ ذَلكَ[1].

٥١ ـ عن عبد الله بن عُمر؛ أنّ رسولَ الله ﷺ [ذكر المسيح الدّجّال بينَ ظَهرَانَي النَّاس، فَقَال: «يا أيُّها النَّاسُ!] إنَّ اللهَ (ربكم) لَيْسَ بأَعْوَرَ، ألا إنَّ المسيحَ الدَّجَّالَ أعْوَرُ عَينِ (عينه) اليُمنىٰ، كأنَّهَا عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ»[2].

٥٤ ـ عن ابن عباسٍ، عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «الدّجّالُ هو أَعْوَرُ هِجَانٌ»[3]

(١) صحيح. رواه أبو داود (٤٧٢٨)، وابن حبان(١٧٣٢ـ موارد)

قال الحافظ في «الفتح» (١٣/ ٣٧٣): «أخرجه أبو داود بسند قوي علىٰ شرط مسلم».

وقال البيهقي: «المراد بالإشارة المروية في هذا الخبر تحقيق الوصف لله عز وجل بالسمع والبصر، فأشار إلىٰ محلّي السمع والبصر منا لإثبات صفة السمع والبصر لله تعالىٰ... وأفاد هذا الخبر أنه سميع بصير، له سمع وبصر، لا علىٰ معنىٰ أنه عليم».

(٢) صحيح. رواه البخاري(٣٤٣٩)، ومسلم(١٦٩)(٢٧٤).

(٣) الهجان: الأبيض، ويقع علىٰ المذكر والمؤنث، والمفرد والمثنىٰ والجمع بلفظ واحد.

وفي «المسند» لأحمد، و«السنة» لابنه زيادة: «أزهر، كأن رأسه أصلة» بعد قوله: «هجان». والأزهر: الأبيض المستنير. والأصلة: الأفعىٰ.

أشبهُ الناس بِعبد العُزّىٰ بن قَطَنٍ[1]، فإمّا هلك الهُلّكُ[2] فإنّ ربّكم ليس بأعورَ»[3].

٥٥ ـ عن جابرٍ، عن النبي ـ ﷺ ـ قال: «يَخْرُجُ الدجالُ في خفة مِنَ الزَّمَانِ. . .»[4] ـ فذكر الحديث بطوله ـ وقال: «يأتي النَّاسَ، فيقولُ: أنا ربّكُم ـ وهُو أعْوَرُ ـ وإن ربّكُم ليسَ بأعْوَرَ»[5].

٥٧ ـ عن أنس بن مالك قال: قال رسولُ الله ﷺ: «أنذِرُكُمُ[6] الدَّجّالَ: أما إنَّه أعورُ عينِ اليُمنىٰ، وإنَّ ربّكُمْ لَيْسَ بأعْوَرَ، مكتُوبٌ بينَ عينيهِ: ك ف ر، يقرؤُه كُلُّ مُؤمنٍ [يقرأُ، وكُلُّ مُؤْمِنٍ][7] لا يَقْرَأُ»[8].

(١) عبد العزىٰ بن قطن هو رجل من بني المصطلق من خزاعة، هلك في الجاهلية علىٰ ما قال الزهري.

(٢) قوله: «فإما هلك الهلك»، أي: فإن هلك به ناس جاهلون وضلُّوا، فاعلموا أن الله ليس بأعور. كما في «النهاية» لابن الأثير.

(٣) صحيح. ورواه أحمد (١/ ٢٤٠ و٣١٢)، وابنه عبد الله في «السنة» (٨٤١ و٨٥٠)، وابن حبان (١٩٠٠ ـ موارد)، والطيالسي (٢٦٧٨)، والطبراني في «الكبير» (١١٧١١).

(٤) وفي رواية أحمد: «خفقة من الدِّين».

(٥) هذا القدر الذي أورده المصنف هنا صحيح وله شواهد.

والحديث رواه أحمد (٣/ ٣٦٧) مطولا.

(٦) في الأصل: «أنذرتكم»، والمثبت من «ظ».

(٧) زيادة من «ظ».

(٨) صحيح. رواه البخاري (٧١٣١ و٧٤٠٨)، ومسلم (٢٩٣٣).

١٠ ـ بابُ إثباتِ السَّماع والرُّؤيةِ لله جَلَّ وعلا

الذي هو ـ كما وصفَ نفسَه ـ سميعٌ بصيرٌ، ومن قال معبوده غير سميعٍ بصيرٍ فهو كافرٌ بالله السميعِ البصيرِ، يعبدُ غيرَ الخالق البارئ؛ الذي هو سميعٌ بصيرٌ.

قال الله تعالىٰ: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الّذينَ قَالُوا إنَّ اللهَ فَقِيرٌ ونَحْنُ أَغْنِيَاء﴾ [آل عمران: ١٨١].

وقال عزّ وجلّ في قصة المجادلة: ﴿قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وتَشْتَكِي إِلَىٰ الله...﴾ الآية [المجادلة: ١].

قال أبو بكر: قد كنتُ أمليتُ في «كتاب الظهار» خبرَ عائشة رضي الله عنها: سُبحان ربي وبحمدِه، وَسِعَ سمعهُ الأصوات؛ إن المجادلة تشكُو إلىٰ النبيِّ ﷺ فيخفىٰ عليّ بعضُ كلامِها، فأنزل الله: ﴿قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وتَشْتَكِي إِلَىٰ الله...﴾ الآية [المجادلة: ١][(١)].

وقال عزّ وجلّ: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنّا لا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم...﴾ الآية: [الزخرف: ٨٠].

وقد أعلَمنا ربُّنا الخالق الباري أنه يسمع قولَ مَن كذب علىٰ الله، وزعمَ أن الله فقيرٌ، فكذّبهم الله في مقالتِهم تلك، فردّ الله ذلك عليهم وخبّر: أنه الغنيّ، وهم الفقراءُ، وأعلَم عبادَه المؤمنين أنه السميعُ البصيرُ.

فكذلك خبّر المؤمنين أنه قد سَمِعَ قولَ المجادِلة، وتَحاوُرَ النبيّ ﷺ والمجادلة.

---

(١) صحيح. علقه البخاري (١٣/ ٣٧٢/ فتح). ووصله أحمد (٦/ ٤٦)، والنسائي (٦/ ١٦٨)، وابن ماجه (١٨٨)، (٢٠٦٣). وقال الحاكم (٢/ ٤٨١): «صحيح الإسناد». وقال الحافظ في «التغليق» (٥/ ٣٣٩): «هذا حديث صحيح».

وخبّرتِ الصديقةُ بنتُ الصدِّيق رضي الله عنهما، أنه كان يخفىٰ عليها بعض كلامِ المجادلة مع قُربها منها، فسبّحتْ خالقها؛ الذي وسع سمعُه الأصوات.

وقالتْ: سُبحان مَن وسع سمعُه الأصواتَ.

فسمعَ الله جل وعلا كلامَ المجادلة، وهو فوق سبعِ سمواته، مستوٍ علىٰ عرشِه، وقد خفِيَ بعضُ كلامِها علىٰ مَن حضرَها، وقرُبَ منها.

وقال عزّ وجلّ لكليمِه؛ موسىٰ، وأخيه ابن أمّه؛ هارون، يُؤمِّنُهما فرعونَ حين خافَا أن يَفرُط عليهما، أو أن يطغىٰ: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦].

فأعلَم الرحمنُ جلّ وعلا أنه سَمِعَ مُخاطبة كَلِيمه موسىٰ وأخيه هارون - عليهما السلام - وما يُجيبهما به فرعونُ.

وأعلم أنه يرىٰ ما يكون مِن كلٍّ منهم.

وقال جلّ وعلا: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ إلىٰ قوله: ﴿السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١].

[وقال في سورة حم المؤمن: ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [غافر: ٥٦]][(١)].

وقال عزّ وجلّ لكليمه موسىٰ، ولأخيه هارون - صلوات الله عليهما -: ﴿كَلا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ﴾ [الشعراء: ١٥].

فأعلم جلّ وعلا عبادَه المؤمنين أنّه كانَ يسمع ما يقولُ لكَلِيمه؛ موسىٰ، وأخيه.

---

(١) زيادة من «ظ».

وهذا من الجنس الذي أقول: استِمَاعُ الخَالقِ ليس كاستِمَاعِ المخلوقِ.

قد أمرَ الله أيضًا موسىٰ ـ عليه السلام ـ أن يستمع[1] لما يُوحىٰ [إليه]، فقال: ﴿فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ﴾ [طه: ١٣].

فلفظُ الاستماعين واحدٌ، ومعناهما مُختلِفٌ؛ لأن استماعَ الخالق غيرَ استماعِ المخلوقين، عزّ ربُّنا وجلّ عن أن يشبهه شيءٌ من خلقِه، وجلّ عن أن يكون فعل أحدٍ من خلقه شبيهًا بفعلِه عزّ وجلّ.

وقال الله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَىٰ اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُه والمؤْمِنُون﴾ [التوبة: ١٠٥].

وليس رؤية الله ـ أعمال مَن ذكرَ عملَهم في هذه الآية ـ كرؤيةِ رسولِ الله و[رؤية] المؤمنين، وإن كانَ اسمُ الرؤية يقعُ علىٰ رؤيةِ الله أعمالهم، وعلىٰ رُؤية رسولِ الله، ورُؤية المؤمنين.

قال أبو بكر: وتدبروا أيُّها العلماء، ومقتبسو العلم! مُخاطبة خليلِ الرَّحمن أبَاه، وتوبيخه إيّاه لعبادته مَن كان يعبد، تعقِلُوا ـ بتوفيق خالقِنا جلّ وعلا ـ صحّة مذهبِنا، وبُطلان مذهبِ مُخالفينا من الجهميّة المعطّلة.

قال خليلُ الرحمن ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ لأبيه: ﴿لِمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ وَلا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا﴾ [مريم: ٤٢].

أفليس من المحال يا ذوي الْحِجا! أن يقولَ خليلُ الرحمن لأبيه؛ آزر: ﴿لِمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ﴾، ويعيبه بعبادةِ ما لا يسمع ولا يبصر، ثم يدعوه إلىٰ عبادةِ من لا يَسمع ولا يُبصر، كالأصنامِ التي هي من الموتان لا من الحيوان أيضًا.

---

(١) وفي «ظ»: «يسمع».

فكيف يكون ربُّنا الخالقُ البارئ السميعُ البصيرُ كما يصفه هؤلاء الجهّال المعطلة؟!

عزّ ربنا وجلّ عن أن يكون غيرَ سميعٍ ولا بصيرٍ، فهو[1] كعابدِ الأوثان والأصنام لا يسمعُ ولا يُبصر، أو كعابدِ الأنعام.

ألم يسمَعوا قولَ خالِقنا وبارئنا: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلا كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً﴾ الآية [الفرقان: ٤٤].

فأعلَمنا عزّ وجلّ أنّ مَن لا يسمع ولا يعقل كالأنعامِ، بل هُم أضلُّ سبيلاً.

(١) يعني: المعطل.

١١ ـ بابُ البيان من سُنن النبيِّ ﷺ

على تثبيتِ السمعِ والبصرِ لله موافقًا لما تلَونا من كتاب ربِّنا، إذ سُننه ﷺ إذا ثبتتْ بنقلِ العدلِ عن العدلِ موصُولاً إليه لا تكون أبدًا إلا موافقةً لكتابِ الله. حاشَ لله أن يكون شيءٌ منها أبدًا مُخالفًا لكتاب الله، أو لشيءٍ منه.

فمن ادّعىٰ مِن الجهلةِ أن شيئًا من سُنن النبيِّ ﷺ إذا ثبتَ من جهةِ النقلِ مُخالفٌ لشيءٍ من كتابِ الله، فأنا الضَّامنُ بتثبيتِ صحّة مذهبِنا، علىٰ ما أبوحُ به منذ أكثر من أربعين سنة.

٥٨ ـ عن عُروة بن الزبير؛ أنّ عائشةَ رضي الله عنها؛ زوجَ النبيِّ ﷺ حدَّثته، أنها قالتْ لرسولِ الله ﷺ: [يا رسولَ الله](١) هَلْ أَتَىٰ عَلَيكَ يَوْمٌ كانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ؟ فقالَ: «لَقَدْ لَقيتُ مِنْ قَوْمِكِ، وكان أَشَدَّ ما لقيتُ مِنْهُم يوم العقَبَةِ؛ إذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَىٰ ابن عَبْدِ ياليلَ بن عبدِ كُلالٍ، فلمْ يُجبْني إلىٰ مَا أَرَدْتُ، فَانطَلَقتُ وأَنَا مَهْمُومٌ عَلَىٰ وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إلا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعالِبِ، فَرَفَعْتُ رأْسي، فَإِذَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْني، فَنَظَرْتُ، فَإِذَا [فيها](٢) جِبْريلُ عليه السَّلامُ فَنَادَاني(٣) فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ! إنَّ الله عزَّ وجلَّ قَدْ سَمعَ قَوْلَ قَومِكَ لَكَ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وقَدْ بَعَثَ الله مَلَكَ الجَبالِ؛ لِتَأْمُرَهُ بما شِئْتَ فيهم».

قَال: «فَنَادَاني مَلَكُ الجِبَالِ، فَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يا مُحَمَّدُ! إنَّ الله عزَّ وَجَلَّ قَدْ سَمعَ قَوْلَ قَومِكَ [لَكَ](٤)، وَأَنَا مَلَكُ الجِبَال، وقدْ بَعَثَني رَبُّكَ إليكَ؛

(١) زيادة من المطبوع، وهي في رواية مسلم.

(٢) زيادة من «ظ».

(٣) في «ظ»: «فنادىٰ».

(٤) زيادة من «ظ».

لتأمُرَني بِأَمْرِكَ، وبما شئتَ؛ إنْ شِئْتَ أنْ أُطْبِقَ عليهمُ الأخشَبَيْن[1] فَعَلْتُ».

فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «بَلْ أَرْجُو أَنْ يَخْرُجَ مِنْ أَصْلابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ، لا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا»[2].

٦٠ ـ عن أبي موسى الأشعري قال: كُنتُ مع رسولِ الله ﷺ في غَزاةٍ، فَلمَّا أَقْبَلْنَا وأَشْرَفْنَا على المدينةِ، كبَّرَ النَّاسُ تكبيرةً رفَعُوا بِهَا أصواتَهُمْ، فَقَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «[أيُّها النَّاسُ!]إنَّ ربَّكُمْ ليس بأَصَمَّ، ولا غَائِبٍ»[3].

وفي رواية: «إنَّكُمْ لا تَدْعونَ أَصَمَّ، ولا غَائبًا».

قال أبو بكر: فاسمَعُوا يا ذوي الحِجا ما نقولُ في هذا الباب ونذكرُ بَهتَ الجهمية وزُورَهم وكذبَهم على عُلماء أهل الآثار، ورَميهم خيارَ الخلق ـ بعد الأنبياء ـ بما الله قد نزّههم عنه، وبرّأهم منه.

تتزوّر الجهميةُ على علمائنا أنهم مُشبهة!!

فاسمعُوا ما أقولُ وأبيّن من مذاهبِ عُلمائنا، تعلموا وتستيقِنوا ـ بتوفيق خالقنا ـ: أن هؤلاء المعطلة يَبهتُون العلماءَ، ويرمونهم بما الله نزّههم عنه.

نحنُ نقولُ: لربِّنا الخالق عينان، يُبصر بهما ما تحتَ الثرىٰ، وتحت الأرضِ السَّابعة السُّفلىٰ، وما في السَّماواتِ العُلىٰ، وما بَينهما من صغيرٍ وكبيرٍ، لا يَخفىٰ على خالِقنا خافِيةٌ في السماوات السبع، والأرَضِين السبع، ولا مما بينهم ولا فوقهم[4] ولا أسفل منهنّ، ولا يغيبُ عن بصرهِ من ذلك شيءٌ.

---

(١) هما جبلا مكة: أبو قبيس والذي يقابله.

(٢) صحيح. ورواه البخاري(٣٢٣١و٧٣٨٩)، ومسلم(١٧٩٥).

(٣) صحيح. ورواه البخاري(٦٤٠٩)، وفي «خلق أفعال العباد» (٩١)، ومسلم(٢٧٠٤)، وأبو داود (١٥٢٧)، والنسائي في «الكبرىٰ» (١٠٣٧١)، وفي «عمل اليوم والليلة» (٥٣٧)، وأحمد (٤/ ٤٠٧).

(٤) كذا، والجادة: «ولا مما بينهن ولا فوقهن».

يرىٰ ما في جوفِ البحار ولُججِها، كما يرىٰ عرشَه الذي هو مستوٍ عليه.

وبنو آدمَ وإن كانت لهم عيونٌ يُبصرون بها، إنما يرونَ ما قرُبَ من أبصارِهم، مما لا حجابَ ولا سِتْرَ بين المرئي وبين أبصارِهم، [لا تُدرك أبصارُهم][(1)] ما يبعدُ منهم، وإن كان يقعُ اسمُ القربِ عليه في بعض الأحوال؛ لأن العربَ التي خوطبنا بلغتها، قد تقول: قريةُ كذا منا قريبةٌ، وبلدةُ كذا قريبةٌ منّا ومن بلدِنا، ومنزلُ فلانٍ قريبٌ منا، وإن كان بين [البلدين، وبين][(2)] القريتينِ، وبين المنزلينِ فراسخ.

والبصيرُ من بني آدمَ لا يُدرك ببصرِه شَخْصَ أَحَدٍ[(3)] من بني آدم وبينهما فرسخانِ أو أكثر من ذلك، وكذلك لا يرىٰ أحدٌ من الآدميين ما تحتَ الأرضِ إذا كان فوق المرئي من الأرضِ والتراب قدرُ أنملةٍ أو أقل منها بقدرِ ما يُغطّي ويُواري الشيءَ، وكذلك لا يدرُكه بصره إذا كان بينهما حجابٌ من حائطٍ أو ثوبٍ صفيقٍ، أو غيرهما مما يستر الشيءَ عن عينِ الناظر.

فكيف يكون ـ يا ذوي الحجا! ـ مُشبهًا مَن يصفُ عينَ الله بما ذكرْنا وأعينَ بني آدم بما وصَفْنا؟!

ونزيد شرحًا وبيانًا، نقولُ: عينُ الله عزّ وجلّ قديمةٌ، لم تزل باقيةً، ولا يزال محكومٌ لها بالبقاءِ، منفيٌّ عنها الهلاكُ والفناءُ.

وعيونُ بني آدم محدثةٌ مخلوقةٌ، كانتْ عدمًا غير مكوّنةٍ، فكوّنها الله وخلقَها بكلامِه؛ الذي هو صفةٌ من صفاتِ ذاته.

(1) زيادة من «ظ»، ولا يستقيم الكلام بدونها.

(2) زيادة من «ظ».

(3) الشخص: كل جسم له ارتفاع وظهور، وغلب في الإنسان.

وقد قضىٰ الله وقدّر أن عيونَ بني آدم [تصير][1] إلىٰ بلاءٍ عن قليلٍ ـ والله نسألُ خير ذلك المصير ـ وقد يُعمي الله عيونَ كثيرٍ من الآدميين، فيذهبُ بأبصارِها قبلَ نزولِ المنايا بهم.

ولعل كثيراً من أبصارِ الآدميين قد سلَّط خالقُنا عليها ديدانَ الأرضِ، حتىٰ تأكلها وتفنيها بعد نزولِ المنية بهم، ثم ينشئها الله بعدُ فيصيبها ما قد ذكرنا قبلُ في ذكر الوجه.

فما الذي يشبّه ـ يا ذوي الحجا ـ عينَ الله التي هي موصوفةٌ بما ذكرنا عيون بني آدم التي وصفناها بعدُ.

ولستُ أحسب لو قيل لبصيرٍ ـ لا آفةَ ببصرِه، ولا علَّةَ بعينِه، ولا نقصَ، بل هو أعينُ، أكحلُ، أسودُ الحدق، شديدُ بياضِ العين، أهدبُ الأشفار ـ: عينك كعينِ فُلانٍ؛ الذي هو صغيرُ العينِ أزرقُ، أحمرُ بياض العينين، قد تناثرتْ أشفارُه وسقطتْ، أو كان أخفشَ العين أزرق أحمر بياضِ شحمها، يرىٰ الموصوف الأوّل الشخصَ من بعيدٍ، ولا يرىٰ الثاني مثلَ ذلك الشخصِ من قدرِ عُشر ما يرىٰ الأولُ؛ لعِلّةٍ في بصره، أو نقصٍ في عينه إلا غضبَ من هذا أو أنف، فلعلّه يخرج إلىٰ القائل له ذلك إلىٰ المكروه من الشتمِ والأذىٰ.

ولست أحسبُ عاقلاً يسمعُ هذا المشبِّه عيني أحدِهما بعيني الآخر إلا وهو يكذِّبُ هذا المشبِّه عين أحدِهما بعينِ الآخر ويرميه بالعتَه والخبلِ والجنون.

ويقولُ له: لو كنتَ عاقلاً يجري عليك القلمُ لم تشبِّه عيني أحدِهما بعيني الآخرِ، وإن كانا جميعًا يُسميان بَصيرين، إذ ليسا بأعميينِ ويقال لكلِّ واحدٍ منهما عينان يُبصر بهما، فكيفَ لو قِيل له: عينُك كعينِ الخِنزير، أو القرد

(١) زيادة من «ظ».

أو الدُّبِّ ، أو الكلبِ أو غيرها من السباع ، أو هوام الأرضِ ، والبهائم؟!

فتدبّروا يا ذَوي الألباب : أبينَ عيني خالقنا الأول[1] الدَّائم الباقي الذي لم يزلْ ولا يزال ، وبين عيني الإنسانِ من الفرقان أكثر ، أو مما بين أعيُنِ بني آدم وبين عُيون ما ذكرنا؟!

تعلَمُوا وتستيقِنوا أنّ من سمّىٰ علماءَنا مشبهةً ، غير عالمٍ بلغةِ العرب ، ولا يفهم العلمَ ، إذ لم يجز تشبيه أعين بني آدم بعيون المخلوقين من السِّباع والبَهَائِمِ والهوام ، وكلُّها لها عيونٌ يُبْصِرُون بها ، وعيونُ جميعِهم مُحدثةٌ مَخلُوقةٌ ، خلقَها اللهُ بعد أن كانت عَدَمًا ، وكلُّها تصيرُ إلىٰ فناءٍ وبِلَىٰ ، وغيرُ جائزٍ إسقاطُ اسْمِ العيون والأبصارِ عن شيءٍ منها .

فكيف يحلّ لمسلمٍ ـ لو كانت الجهميةُ من المسلمين ـ أن يرموا مَنْ يُثبت لله عينًا بالتشبيهِ؟!

ولو كان كلّ ما وقعَ عليه الاسمُ كانَ مشبهًا لِمَ يقعُ عليه ذلك الاسمُ ، لم يجز قراءةَ كتابِ اللهِ ، ووجبَ محوُ كُلِّ آيةٍ بينَ الدّفتين فيها ذِكْرُ نَفْسِ اللهِ ، أو عينِه ، أو يدِه ، ولوجبَ الكفرُ بكلِّ ما في كتابِ الله عزّ وجلّ ؛ مِن ذكرِ صفاتِ الربِّ ، كما يجبُ الكفرُ بتشبيهِ الخالق بالمخلوقِ .

إلا أنّ القومَ جهلةٌ ، لا يفهمون العِلْمَ ، ولا يُحسِنونَ لُغةَ العَرَبِ ، فَيضِلُّون ويُضِلُّون .

واللهَ نسألُ العصمةَ والتوفِيقَ والرشادَ في كلِّ ما نقولُ وندعو إليهِ .

---

(١) كذا بالأصل ، وفي «ظ» : «الأزلي» .

١٢ ـ باب ذكر إثبات اليد لله الخالق البارئ جلّ وعلا

والبيان أنّ اللهَ تَعَالى له يَدَانِ، كما أعلمنا في مُحكمِ تنزيلِهِ أنّه خَلَقَ آدمَ عليهِ السَّلام بيديهِ.

قال اللهُ عزّ وجلّ ـ لإبليس ـ : ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥].

وقال جلّ وعلا ـ تكذيبًا لليهود حين قالوا ـ : ﴿يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ﴾، فكذَّبهم في مَقالتِهِم، وقالَ: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة: ٦٤].

وأعلمنا أنَّ الأرضَ جَمِيعًا قبضَتُهُ يومَ القِيامَةِ والسَّماواتُ مَطْوِيَّاتٌ بيمينهِ و: ﴿يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠].

وقال: ﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يس: ٨٣].

وقال: ﴿تُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٦].

وقال: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا﴾ [يس: ٧١].

١٣ ـ باب ذِكر البيان من سُنَّة النبيِّ المصطفى ﷺ

على إثباتِ يدِ اللهِ جلّ وعلا مُوافقًا لما تلونا من تنزيلِ ربِّنا ، لا مُخالفًا .

قد نزّه الله نبيَّه ، وأعلا درجتَه ، ورفعَ قَدْرَهُ عن أن يقولَ إلا ما هو موافقٌ لما أَنزل الله عليه من وحيهِ .

٦٢ ـ قال عبد الله بنُ عمر : حدثني عمر بنُ الخطاب ؛ أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : «التقى آدم ومُوسى فقال مُوسى : أنتَ الذي خَلَقَكَ اللهُ بيدهِ ، وأَسْجَدَ لَكَ مَلائكتَهُ ، ونَفَخَ فيكَ من رُوحِهِ ؛ أَمَرَكَ بأمرٍ فعصيتَهُ ، فأَخْرَجْتَنَا منَ الجَنَّةِ . فقالَ لَهُ آدمُ : قدْ آتاكَ اللهُ التوراةَ ؛ فَهَلْ وَجَدْتَ فيها : كَتَبَ عليّ الذَّنْبَ قبلَ أنْ أعمَلَهُ؟ قالَ : نَعَم» . قَالَ : «فَحَجَّ آدمُ مُوسىٰ ، فحجّ آدمُ مُوسىٰ عليهما السَّلام»[١]

٦٣ ـ عن أبي هُرَيرةَ رضي الله عنه ؛ أنَّ النبي ﷺ قَالَ : «احتَجَّ آدمُ ومُوسَىٰ عليهمَا السَّلامُ فقالَ مُوسَىٰ : [أنْتَ آدمُ الذي خلَقَكَ اللهُ بيدِهِ][ونَفَخَ فيكَ مِنْ رُوحِهِ ، وأَسْكَنَكَ جَنَّتَهُ] يا آدمُ! أَنْتَ أَبُونَا خَيَّبْتَنَا ، وأخْرَجْتَنا منَ الجَنَّةِ؟ (أغويت الناس ، وأخرجتهم من الجنة) فقالَ آدمُ : يَا مُوسىٰ! اصْطَفاكَ اللهُ بكلامِهِ ، وخَطَّ لكَ التَّوراةَ بيدِهِ ، أتلُومُني عَلَىٰ أمرٍ قدّرهُ اللهُ عليَّ قَبْلَ أنْ يَخْلُقني بأربَعين سنةً ؟ فحجّ آدمُ مُوسىٰ ، فَحَجّ آدَمُ مُوسىٰ ، فَحَجّ آدَمُ مُوسىٰ ـ عليهما السَّلامُ ـ»[٢] .

قال أبو بكر : فكلِيمُ الله موسىٰ خاطبَ آدمَ ـ عليهما السلام ـ شفاهًا : أن الله خلَقَه بيدِه ، ونفخَ فيه من رُوحه علىٰ ما هو مخطوطٌ بين الدَّفتينِ ؛ من إعلامِ الله جلّ وعلا عباده المؤمنين أنّه خلقَ آدمَ عليه السلام بيديه[٣] .

---

(١) صحيح . ورواه عبد الله بن أحمد في «السنة» (٧٣٥) ، و اللالكائي (١٠٣٧)

(٢) صحيح . رواه البخاري(٦٦١٤ مختصرًا) ، ورواه مسلم(٢٦٥٢) مختصرًا .

(٣) وفي«ظ» : «بيده» ، وكلٌّ صواب .

١٤ ـ بابُ ذكر قصةٍ ثانية في إثباتِ يد الله جلّ ثناؤه بسنةٍ صحيحةٍ عن النبيِّ المصطفى ﷺ ـ بيانًا ـ أن الله خطَّ التَّوراة بيده لكلِيمه موسى، وإن رَغِمَتْ أُنوفُ الجهمية

٧٦ ـ عن أنس بن مالكٍ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «يَجْتَمعُ المؤمِنُون يَومَ القيامَةِ، فيهمُّون بذلِكَ أو يُلْهمُون به، فيقُولونَ: لَو اسْتَشْفَعْنَا إلىٰ ربِّنا، فَأَرَاحَنا من مكانِنَا هَذَا، فَيَأْتُون آدَمَ، فيقُولُون: يا آدمُ! أنتَ أبو النَّاسِ؛ خَلَقَكَ اللهُ بيدِهِ، وأَسْجَدَ لكَ مَلائِكَتَهُ، وعَلَّمَكَ أسْماءَ كُلِّ شيءٍ...»، فذكر الحديثَ بطولِه[١].

---

(١) صحيح. ورواه مسلم (١٩٣).

وانظر حديث أبي هريرة السابق برقم (٦٣).

١٥ ـ باب سنَّة ثالثة في إثبات اليد لله الخالق البارئ

وكتب الله بيده على نفسه : أن رحمته تغلب غضبه .

وفي هذه الأخبارِ التي نذكرها في هذا البابِ إثباتُ صفتين لخالقنا البارئ .

مما ثبتها الله لنفسِه في اللوح المحفوظِ ، والإمام المبين : ذكر النفس واليد جميعًا ، وإن رغمت أنوف الجهمية المعطلة .

٧٩ ـ عن أبي هُريرة رضي الله عنه قال : قال رسولُ الله ﷺ : « لَمَّا خَلَقَ اللهُ الخَلْقَ ، كَتَبَ[كِتَابًا] بِيَدِهِ عَلَىٰ نَفْسِهِ[وَجَعَلَهُ تَحْتَ العرْشِ][١] : إنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبِي »[٢] .

---

(١)وقوله في هذه الرواية : «تحت العرش» ، جاء في «صحيح البخاري»(٧٤٠٤) : « على العرش» ، وفي «صحيح مسلم» (٤/ ٢١٠٧) : «فوق العرش» ، وفي«صحيح ابن حبان»(٦١٤٣) : «مرفوع فوق العرش» ، ثم قال ابن حبان : «قوله ﷺ : «وهو مرفوع فوق العرش» من ألفاظ الأضداد التي تستعمل العرب في لغتها ، يريد به«تحت العرش» ، لا فوقه . . . » ، والله تعالى أعلى وأعلم .

(٢)صحيح . وتقدم برقم (٦) .

١٦ ـ بابُ ذكر سُنَّة رابعة مُبيِّنة ليدي خالقنا عزّ وجلّ

مع البيانِ أنّ لله يدين، كما أعلَمنا في مُحكمِ تنزيله أنه خلقَ آدمَ بيديه وكما أعلَمنا أن له يدين مَبسوطتين، ينفق كيف يشاء.

٨٤ ـ عن عبد الله قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ اللهَ تعَالَىٰ يفْتَحُ أَبْوَابَ السَّمَاءِ في ثُلُثِ اللَّيلِ البَاقي، فَيبْسُطُ يَدَيْهِ (يَدَهُ)، فيقولُ: ألا عَبْدٌ يَسْأَلُني فَأُعْطِيَهُ». قال: «فما يَزالُ كذلكَ حتىٰ يسطعَ الفجرُ»[١].

قال أبو بكر: خرجتُ هذا الحديث[٢] بتمامه بعدُ عند ذِكر نُزول الربِّ عزّ وجلّ كلّ ليلةٍ، بلا صفةِ نزولٍ نذكره؛ لأنا لا نصفُ معبودَنا إلا بما وصفَ به نفسه، إمّا في كتاب الله، أو علىٰ لسان نبيه ﷺ، بنقل العدل عن العدلِ، موصولاً إليه.

لا نحتجّ بالمراسيل، ولا بالأخبار الواهية، ولا نحتجّ أيضًا في صفاتِ معبودِنا بالآراء والمقاييس.

(١)صحيح .ورواه أحمد (١/ ٤٤٦ ـ ٤٤٧)، والآجري في «الشريعة» ص(٣١٢)، واللالكائي (٧٥٧).

(٢)وفي «ظ»: «الباب»، وما في الأصل أصح، وانظر باب رقم (٣٣)، ص (١١٧).

١٧ ـ باب ذكر سنّةٍ خامسة

تُثبت أن لمعبُودِنا يدًا، يقبلُ بها صدقةَ المؤمنين، عزّ ربُّنا وجلّ عن أن تكون يدُه كيدِ المخلوقين

٨٥ ـ عن أبي هُريرة رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ أحَدَكُم لَيتصدَّقُ بالتمرةِ من طيِّبٍ(إذَا كانَتْ مِن الطّيبِ) ولا يقْبَلُ اللهُ إلا طَيِّبًا ـ فَيَجْعَلُهَا اللهُ في يدهِ اليُمنىٰ(في كَفِّه)، ثمَّ يُرَبِّيها كما يُرَبِّي أحَدُكُم فَلُوَّه[(١)] (مُهْرَهُ[(٢)])، أو[(٣)] فَصيله[(٤)]، حتَّىٰ تَصير مِثلَ أُحُدٍ(تَعودَ في يَدِهِ مِثْل الجَبَلِ»)[(٥)].

قال أبو بكر: هذه اللفظةُ ـ يعني: تعود ـ مثل[(٦)] الجنسِ الذِي أقولُ إن العودَ قد يقعُ علىٰ البدءِ. وأقولُ: العرب قد تقول [عاد] علىٰ معنىٰ صار.

وبيقينٍ يُعلم أن تلك التمرة التي تصدّقَ بها المتصدّقُ لم تكن مثلَ الجبلِ قبل أن يتصدَّقَ بها المتصدِّقُ، ثم صغُرَت فصارتْ مثلَ تمرةٍ تحويها يدُ المتصدِّقِ، ثم أعادَها الله إلىٰ حالِها، فيُصيِّرها كالجبلِ. ولكن كانت التمرةُ مثل تمرةٍ تحويها يدُ المتصدّق، فلمّا تصدق بها، صيَّرها الله الخالقُ البارئ مثلَ الجبلِ.

فمعنىٰ قوله: «حتىٰ تعودَ مثل الجبلِ»، أي: تصير مثلَ الجبلِ.

فافهموا سَعَةَ لسانِ العرب، لا تُخدعوا فتُغالطوا.

---

(١) قال الحافظ في «الفتح» (٣/ ٢٧٩): «بفتح الفاء، وضم اللام، وتشديد الواو، وهو: المهر؛ لأنه يفلىٰ أي يفطم، وقيل: هو كل فطيم من ذات حافر، والجمع أفلاء، كعدو وأعداء».

(٢) المهر: ولد الفرس، جمعه: أمهار ومهار ومهارة.

(٣) كذا بالأصل، وفي «ظ»: «و».

(٤) ولد الناقة: إذا فصل عن أمه، والجمع فصلان، وفصال.

(٥) **صحيح لغيره**. ورواه ابن حبان في «الصحيح» (٣٣١٨).

(٦) وفي «ظ»: «من».

٨٨ ـ عن أبي هُريرة رضي الله عنه؛ أنَّ رسُولَ الله ﷺ قالَ: «مَا تَصدَّقَ أَحدٌ بصَدَقةٍ مِنْ كَسبٍ ـ يُريدُ مِن كسبٍ طَيِّبٍ ـ إلا تَقبَّلها اللهُ بيمينه، ثم غَذَّاها، كَما يَغذو أحدُكُم فَلُوَّهُ أو فَصِيلَهُ، حتَّىٰ تكونَ التمرةُ مِثلَ الجَبَلِ»(١) .

٨٩ ـ عن أبي هُريرة رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَنْ تَصَدَّقَ بصدقةٍ مِنْ كَسْبٍ طيِّبٍ ـ ولا يقبَلُ الله إلا طَيِّبًا ـ ولا يَصْعَدُ إلىٰ السَّماء إلا طيِّبٌ فَيَقَعُ في كفِّ الرَّحمنِ، فَيُربِّيه كَما يُربِّي أَحَدُكُم فَصِيلَهُ، حتَّىٰ إنَّ التَّمرةَ لَتَعُودُ (لتكون) مِثلَ الجَبَلِ العظيم»(٢) .

(«إلا وَهُوَ يَضَعُهَا في يدِ الرَّحمن، أو في كَفِّ الرَّحمَن(٣)») .

٩٢ ـ عن سعيد بن يسار؛ أخي أبي مُزَرِّد

أنه سمعَ أبا هُريرة رضي الله عنه يقولُ: قال رسولُ الله ﷺ: «مَا تَصَدَّق أحَدٌ بصَدقةٍ (مَا مِن امرئٍ يَتَصَدَّقُ بِصَدَقةٍ) مِن طيبٍ ـ ولا يقبلُ اللهُ إلا الطيِّبَ ـ إلا أخَذَهَا الله بيَمينهِ، وإن كانَتْ مِثْلَ تمرةٍ، فتَربُو لهُ من كَفِّ الرَّحمَنِ، حَتَّىٰ تَكونَ أَعْظَمَ مِنَ الْجبَلِ، كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُم فُلوَّه أو فَصِيلهُ»(٤) .

٩٦ ـ عن أبي هريرة، إن رسولَ الله ـ ﷺ ـ قال بمثله، وقال: «إنَّمَا يَضَعُهَا

---

(١)صحيح. ورواه البخاري(١٤١٠و٧٤٣٠)، و مسلم(١٠١٤)، وأحمد(٢/ ٣٨١و٤١٩)

(٢)صحيح. رواه أحمد(٢/ ٤٣١)، والنسائي في «الكبرىٰ»(٧٧٥٩) .

ورواه البخاري عن عبد الله بن دينار، عن سعيد بن يسار تعليقًا(١٤١٠و١٤٣٠)، ووصله البيهقي في «السنن»(٤/ ١٧٧)، والحافظ في «التغليق»(٥/ ٣٤٩).

(٣) قال الشيخ هراس ـ رحمة الله عليه ـ : «فتأمل في روايات هذا الحديث ـ المتفق علىٰ صحته ـ تجد أنه قد ورد فيها ذكر (اليمين ـ والكف ـ واليد) مما يدل أعظم دلالة علىٰ ثبوت اليد حقيقةً، ويبطل كل محاولات المعطلة في التأويل» .

(٤)صحيح . رواه مسلم(١٠١٤) (٦٣)، والنسائي(٥/ ٥٧)، والترمذي(٦٦١)، وابن ماجه(١٨٤٢)، وأحمد (٢/ ٥٣٨). وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح». وانظر ما سيأتي برقم(٩٩).

في يد[1] الرَّحْمَن»[2] .

٩٨ ـ عن أبي هُريرة رضي الله عنه ـ وذكر النبي ﷺ ـ فقال : «إذَا تَصَدَّقَ الرَّجُلُ بصَدَقَةٍ مِنْ كَسْبٍ طيِّبٍ ـ ولا يقْبَلُ اللهُ إلا طَيِّبًا ـ أخَذَهَا اللهُ بِيَمينِه ، فَيُرَبِّيهَا لأحَدِكُم ؛ اللقمة والتَّمرةَ ، كَمَا يُرَبِّي أحَدُكُم فَلُوَّه أوْ فَصِيلَهُ ، حتَّىٰ إنَّها لَتَكُونُ أَعْظَمَ مِنْ أُحُدٍ»[3] .

٩٩ ـ عن أبي هُريرة رضي الله عنه قال : قال رسولُ الله ﷺ : «مَا مِنْ عبدٍ مُسْلِمٍ يتَصَدَّقُ مِنْ كَسْبٍ طيِّبٍ ـ ولا يَقْبَلُ اللهُ إلا الطيِّبَ ـ اللهُ[4] يأخُذُها بيمينه ، فيُرَبِّيها له كَمَا يُرَبِّي أحدُكم فَلُوَّهُ ـ أو قالَ : «قَلُوصَه[5] أو فَصِيلهُ» ـ حتَّىٰ تَبْلُغَ التمرةُ مثْلَ أُحُدٍ»[6] .

١٠٠ ـ عن أبي هُريرة رضي الله عنه قال : قال رسولُ الله ﷺ : «إنَّ العبْدَ إذَا تَصَدَّق من طَيِّبٍ ، تقبَّلَها اللهُ منه ، ويأخُذُهَا بيمينه ، فَرَبَّاها كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ مُهْرَه أوْ فَصِيلهُ ، وإنَّ الرَّجُلَ ليتصدَّقَ باللُّقْمَة فَتَربُو في يدِ اللهِ ـ أوْ قالَ : في كفِّ اللهِ ـ حتَّىٰ تكُونَ مثلَ الْجَبلِ ، فَتَصَدَّقُوا»[7] .

---

(١) كذا بالأصل ، وفي غيره : «كف» ، وروايات الحديث جاءت بهذا وبهذا .

(٢) صحيح . وانظر الحديث السابق .

(٣) صحيح . وانظر ما قبله .

(٤) وفي «زوائد الزهد» ، و«الشريعة» وغيرهما : «إلا كان الله . . .»

(٥) القَلُوص : من النُّوق الشابه ، وهي بمنزلة الجارية من النساء ، وجمعها : قُلُص .

(٦) صحيح . ورواه المصنف في «صحيحه» (٢٤٢٥) ، وهو في «زوائد الزهد» للحسين بن الحسن المروزي (٦٤٨) . ورواه الآجري في «الشريعة» ص (٣٢١) ، ورواه النسائي في «التفسير» (٢٤٧) .

(٧) صحيح . وهو عند المصنف في «صحيحه» (٢٤٢٦) .
ورواه الترمذي (٦٦٢) ، ـ وغيره ـ وقال : «هذا حديث حسن صحيح» .

١٨ ـ بابُ ذِكر صفة آدم عليه السلام

والبيان الشَّافي أنه خلَقه بيدِه، لا بنعمتِه علىٰ ما زعمتِ الجهميةُ المعطّلةُ؛ إذ قالتْ: إن الله يقبض بنعمتِه من جميعِ الأرضِ قبضةً فيخلق منها بشراً[١].

وهذه السنة السادسة في إثبات اليد للخالق الباري جلّ وعلا.

١٠١ ـ عن أبي موسىٰ الأشعري قال: سمعت رسول الله ﷺ يقولُ: «إنَّ اللهَ خَلَقَ آدَمَ مِنْ قَبْضَةٍ قَبَضَهَا مِنْ جَمِيعِ الأرْضِ، فَجَاءَ بَنُو آدَمَ عَلَىٰ قَدْرِ الأَرْضِ؛ فجاءَ منهمُ الأحْمَرُ، [والأبيضُ] والأَسْوَدُ، وبيْنَ ذَلكَ، والسَّهلُ، والْحَزْنُ، والخبيثُ، والطيِّبُ»[٢].

١٩ ـ باب ذكر سنة سابعة تثبت يد الله

والبيان أن يدَ الله هي العُليا، كما أخبرنا اللهُ في مُحكم تنزيله: ﴿يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠]. فخبَّر النبيُّ ﷺ أيضًا أن يدَ الله هي العُليا، أي: فوق يد المعطِي والْمُعْطَىٰ جميعًا.

١٠٣ ـ عن حكيم بنِ حزامٍ قال: سألتُ النبيَّ ﷺ [منَ المالِ]، فألحفتُ[٣] [عليه] في المسألةِ! فقال: «يا حَكِيمُ! ما أَنْكَرَ[٤] مسألَتك؛ إنَّ هذا المال خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ، وإنَّما هُو [مع ذلك] أوساخُ أيدي النَّاس، وإنَّ يدَ اللهِ هي العُليا، ويَدَ الْمُعطي التي تَليها، ويدَ السائلِ أسْفَلَ مِنْ ذَلِكَ»[٥].

---

(١) قال الشيخ خليل هراس ـ رحمة الله عليه ـ: «وهذا تأويل باطل، فإن القبض إنما يكون باليد الحقيقية، لا بالنعمة، فإن قالوا: إن الباء هنا للسببية، أي: بسبب إرادة الإنعام. قلنا لهم: وبماذا قبض؟ فإن القبض محتاج إلىٰ آلة، فلا مناص لهم لو أنصفوا من أنفسهم إلا أن يعترفوا بثبوت ما صرح به الكتاب والسنة».

(٢) صحيح. ورواه أبو داود (٤٦٩٣)، والترمذي (٢٩٥٥)، وأحمد (٤/ ٤٠٠ و٤٠٦).

(٣) يعني: «فألححت»، وهي كذلك في بعض النسخ.

(٤) وفي رواية: «أكثر»!، ومعنىٰ «ما أنكر مسألتك» يعني: ما أقبح مسألتك حيث جاوزت حدَّها.

(٥) صحيح. ورواه أحمد (٣/ ٤٠٢)، والطيالسي (٨٤٦ ـ منحة المعبود)، والطبراني في «الكبير»=

■ (وفي رواية: «. . . وَإنَّ يَدَ الله فوقَ يَدِ الْمُعْطِي، وَيَدَ المعطِي فوقَ يَدِ الْمُعْطَىٰ، ويدَ الْمُعْطَىٰ أسفل الأيدي»[1]).

١٠٥ ـ عن عبد الله، عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «الأيدي ثَلاثَةٌ: يدُ الله العُليَا ويدُ المعطِي الَّتي تليها، وَيَدُ السَّائِلِ السُّفلَىٰ إلىٰ يومِ القيامَةِ، فاستَعِفَّ عنِ السُّؤالِ ما استَطَعْتَ»[2].

١٠٦ ـ عن مالك بن نَضْلة قال: قال رسولُ الله ﷺ: «الأيْدي ثَلاثَةٌ: فيدُ الله العُلْيَا، ويَدُ المعطِي التي تَليها، وَيَدُ السَّائِلِ السُّفْلَى، فأَعْطِ الفَضْلَ، ولا تَعْجَزْ عَنْ نَفْسِكَ»[3].

٢٠ ـ باب ذكر سنّة ثامنة

تُبيِّن وتوضّح أن لخالقنا ـ عزّ وجلّ ـ يدين، كلتاهما يمينان، لا يَسار لخالقنا عزّ وجلّ، إذ اليسار من صفة المخلوقين، فجلّ ربُّنا عن أن يكون له يسارٌ، مع الدليلِ علىٰ أن قولَه عزّ وجلّ: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤] أراد عزّ وجلّ باليدين: اليدين، لا النعمتين، كما ادّعت الجهميةُ المعطّلة.

١٠٧ ـ عن أبي هُريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لَمَّا خَلَقَ اللهُ آدَمَ،

=(٣٠٩٥)، والطبري في «تهذيب الآثار» (٣٨مسند عمر)، والحاكم في «المستدرك» (٣/ ٤٨٤).

وقوله: «خضرة حلوة» قال الحافظ في «الفتح» (٣/ ٣٣٦): «شبهه بالرغبة فيه، والميل إليه، وحرص النفوس عليه بالفاكهة الخضراء المستلذة، فإن الأخضر مرغوب فيه علىٰ انفراده بالنسبة إلىٰ اليابس، والحلو مرغوب فيه علىٰ انفراده بالنسبة للحامض، فالإعجاب بهما إذا اجتمعا اشتد».

(١) رواها الطبراني في «الكبير» (٣٠٨١) ـ وهي صحيحة ـ وعنده زيادة: «فمن أخذها بسخاوة بورك له فيها، ومن أخذها بإشراف نفس لم يبارك له فيها، وكان كالآكل ولا يشبع» بعد قوله: «أيدي الناس».

(٢) صحيح لغيره. ورواه أحمد (١/ ٤٤٦)، والطيالسي (٨٥)، والشاشي في «المسند» (٧١٨و٧١٩).

(٣) صحيح. والحديث في «صحيح» المصنف (٢٤٤٠)، وعنه ابن حبان (٨٠٩ ـ موارد).

ورواه أحمد (٣/ ٤٧٣ و ٤/ ١٣٧)، وعنه أبو داود (١٦٤٩).

وَنَفَخَ فِيهِ الرُّوحَ، عَطَس، فقالَ: الحمدُ لله ـ فَحَمَدَ اللهَ عَزّ وجَلّ بإذْنِ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ـ فقالَ لَهُ رَبُّه: رَحِمَكَ ربُّك (الله) يَا آدَمُ، وقَالَ لَه: يا آدَمُ! اذْهب إلىٰ أُولئك الملائكَة ـ إلىٰ ملأٍ منهُم جُلوس ـ فَقُل: السَّلامُ عليكُم، فَقَالُوا: وعَلَيكَ السَّلامُ[1] ثُمَّ رَجَعَ إلىٰ ربِّهِ عَزّ وَجَلَّ، فَقَالَ: هَذه تَحيَّتُكَ وتَحيَّة بَنِيكَ وبَنِيهم

فَقَال اللهُ تَبَارَك وتَعَالىٰ: لَه ـ ويَدَاهُ مَقْبُوضَتَان ـ اخْتَر أيتهما شِئْتَ، قَال: اخترتُ يَمينَ ربِّي ـ وكِلتا يَدي رَبِّي يمينٌ مُبَارَكَةٌ ـ ثمَّ بَسَطها، فَإذا فيها آدمُ وذُريتُه، فَقَال: أي ربِّ! ما هَؤلاءِ؟ قالَ: هَؤلاءِ ذُرِّيَّتُك، فإذا كُلُّ إنسانٍ مكتوبٌ عُمره بينَ عينيهِ، وإذا فيهم رجُلٌ أَضوؤهُم ـ أو مِن أَضوئِهم ـ لم يُكتَب له إلا أربعينَ سنةً. فقَالَ: يَا ربِّ! ما هذا[2] قال: هذا ابنك داود ـ وقد كتب الله له عمراً أربعين سنة ـ قال: أي رب! زِدهُ في عُمُره، قالَ: ذاكَ الذي كَتبتُ، قالَ: فإنِّي قد جَعَلْتُ لَهُ مِنْ عُمُري ستِّينَ سَنَة[3] قالَ: أَنْتَ وَذَاكَ!

قالَ: ثُم أسكَنَه الجنَّةَ ما شَاءَ، ثم أهبِط منها، وكَانَ آدَمُ يَعُدُّ لنَفْسِه، فَأَتَاهُ مَلَكُ الموْتِ، فَقَالَ له آدَمُ: قَد عَجَّلْتَ قَدْ كُتِبَ لِي (أليس كَتَبَ اللهُ لي) ألفُ سَنَةٍ، قَال: بَلىٰ. ولَكنَّكَ جَعَلتَ لابنكَ دَاودَ منها ستِّينَ سنةً، [قالَ: ما فعلتُ] فَجَحَدَ فَجحدَت ذُرِّيتُه، ونَسِيَ فنسيَتْ ذُرِّيَّتُهُ، فيومئذٍ أُمر بالكتابِ والشُّهودِ»[4].

١٠٨ ـ عن همام بن منبه قال: هذا ما حدَّثنا أبو هُريرة رضي الله عنه ـ

---

(١) كذا بالأصل، وفي المطبوع: «وعليك السلام ورحمة الله وبركاته»، وهو في «صحيح ابن حبان» من طريق المصنف بلفظ: «وعليك السلام ورحمة الله».

(٢) كذا بالأصل، ولعل الصواب: «من هذا».

(٣) في هذه الرواية شذوذ، فإن الروايات الصحيحة الأخرىٰ تثبت أنه زاده أربعين سنة، وأنه رأىٰ داود عمره ستين سنة.

(٤) صحيح. ورواه ابن حبان في «صحيحه» (٦١٦٧) عن ابن خزيمة به.

فذكر أخبارًا عن النبيِّ ﷺ ـ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «يمينُ الله مَلأىٰ (ملآن[1]) لا يَغيضُها نفقةٌ، سَحّاء[2] بالليلِ والنهارِ؛ أرأيتُم ما أنفقَ منذُ خلقَ السماواتِ والأرضَ، فإنه لم يَغِضْ (ينقصْ) مَا فِي يَمينِه». قال: «وعَرشُه على الماء، وبيمينه (وبيده) الأخرىٰ القبضُ، يرفعُ ويخفضُ»[3].

٢١ ـ باب ذكر سنة تاسعة تثبت يد الله جلّ وعلا

وهي إعلامُ النبيِّ ﷺ: أنّ الله غرسَ كرامةَ أهلِ الجنة بيدِه، وختمَ عليها.

١٠٩ ـ عن الشعبي قال:

سمعت المغيرة بن شُعبة ـ علىٰ منبره ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ مُوسىٰ سألَ ربَّهُ عزّ وجلّ، فقالَ: يا ربِّ! أخْبِرني بأَدْنَىٰ أهلِ الْجَنَّةِ مَنزلةً؟ قال: هو عَبدٌ يأتي بعدَما يَدخلُ أَهْلُ الجنَّةِ الجنةَ، فيقالُ له: ادخُلِ الجنَّة، فيقولُ: كَيْفَ أَدخُلُ وقَد سكَن أَهلُ الجنةِ الجنةَ، وأَخذُوا منازِلَهم، وأَخَذُوا أخذاتِهِم[4]؟ فيقالُ له: أما تَرضَىٰ أَنْ يكونَ لكَ مثلُ ما كانَ لملكٍ من مُلوكِ الدُّنيا؟ قال:

---

(١) أكثر الروايات: «ملأىٰ»، وهذه الرواية: «ملآن» تذكير «ملأىٰ»، وقد وقعت في «صحيح مسلم» من رواية ابن نمير كما وقعت في رواية محمد بن يحيىٰ، وقد وجهها بعضهم بإرادة «اليمين»؛ فإنها تذكر وتؤنث، وردها آخرون وعدُّوها غلطًا. انظر «فتح الباري»(١٣/ ٣٩٥)، و«شرح النووي» (٧/ ٨٣ ـ ٨٤).

(٢) وقوله: «سحّاء»، قال ابنُ الأثير في «النهاية»(٢/ ٣٤٥): «أي: دائمة الصب والهطل بالعطاء، يقال: سَحَّ يَسُحُّ سحًّا فهو ساحٌّ، والمؤنثة سحّاء، وهي فعلاء لا أفعل لها كهطلاء، وفي رواية: (يمين الله ملأىٰ سحًّا) بالتنوين علىٰ المصدر».

وجاءت هذه اللفظة كما قال النووي (٧/ ٨٤): «علىٰ وجهين أحدهما (سحًّا) بالتنوين علىٰ المصدر، وهذا هو الأصح الأشهر. والثاني: (سحاء) بالمد علىٰ الوصف، ووزنه فعلاء».

(٣) صحيح. رواه البخاري (٧٤١٩)، ومسلم(٩٩٣) (٣٧)، وأحمد (٢/ ٣١٣)

(٤) قال ابن الأثير في «النهاية» (١/ ٢٩): «أي: نزلوا منازلهم».

قلت: ولا يبدو لي ذلك في هذا الحديث إذ هو منصوص عليه ثم رأيت قول القاضي عياض ـ رحمه الله ـ: «هو ما أخذوه من كرامة مولاهم وحصلوه».

فيقول: نَعم، قال: أفترضى أن يكونَ لك مثلُ ما كان لملكَين من مُلُوكِ الدُّنيا؟ أترضى أن يكونَ لك مثلُ ما كانَ لثلاثةِ مُلُوكٍ [من مُلُوك] الدُّنيا؟ قال: ربِّ رَضِيتُ، قال: لكَ مثلُه ومثلُه وعشرةُ أضعافِ ذلك، ولَكَ فيها ما اشْتَهَتْ نفسُكَ، ولذَّت عينُكَ، قال: يا رَبِّ! فأخبرني بأَعْلاهُم منزلةً، قال: هذا أردت، فَسَوْفَ أخبِرُكَ؛ قال: غرستُ كرامَتَهم بيدي، وخَتمتُ عليه، لَم تَره عينٌ، ولا تَسمع به أُذُنٌ، ولا يخطُرُ على قلبِ بَشَرٍ، ومصداقُ ذلكَ في كتابِ الله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧][(١)].

٢٢ ـ باب ذكر سنة عاشرة

تُثبت يدَ الله، وهي: إعلامُ النبيِّ ﷺ أمتَه قبض الله الأرضَ يوم القيامة، وطيّه جلّ وعلا سماواته بيمينِه، مثل المعنى الذي هو مسطورٌ في المصاحفِ متلو في المحاريب، والكتاتيب، والجدور.

١١٠ ـ عن سعيد بن المسيّب؛ أنّ أبا هريرة كان يقولُ: قال رسولُ الله ﷺ: «يقبضُ اللهُ الأَرْضَ يومَ القيامَةِ، ويَطوي السَّماءَ بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يقُول: أنا الملكُ، فأَيْنَ مُلُوكُ الأَرْضِ»[(٢)].

قال أبو بكر: أنا[(٣)] قلتُ في ترجمة الباب: مثل المعنى الذي هو مسطورٌ في المصاحفِ؛ لأن الله عز وجل قال: ﴿وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يومَ القِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر: ٦٧].

---

(١) صحيح. رواه مسلم في(١٨٩)، والترمذي(٣١٦٧)، وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح».

(٢) صحيح . ورواه البخاري (٧٣٨٢)، ومسلم(٢٧٨٧)(٢٣).

(٣) كذا بالأصل، وفي المطبوع: «إنما».

٢٣ ـ باب تمجيد الربِّ عزّ وجلّ نفسَه

عند قبضِه الأرضَ بإحدىٰ يمينيه[١]، وطيِّه السماء بالأخرىٰ، وهما يمينان لربِّنا لا شمالَ له، تعالىٰ ربُّنا عن صفاتِ المخلوقين.

وهي السنة الحادية عشرة في تثبيتِ يدي خالقنا عزّ وجلّ.

١١٥ ـ عن ابن عُـمر؛ أنَّ رسـولَ الله ﷺ قـرأ هذه الآيات يومًـا ـ [وهو] علىٰ المنبر ـ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ والأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ القِيامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ...﴾ [الزمر: ٦٧] الآية، ورسول الله ﷺ يقـولُ هكذا بأَصـابعه يُحركُها؛ «يُمجِّدُ الربُّ نفسَه، أنا الْجَبَّارُ، أنا المتكبِّر، [أينَ الْجَبَّارُون، أين المتكبِّرون؟]. أنا الملكُ، أنا العزيزُ، أنا الكَريمُ»، فَرَجَفَ برسولِ الله ﷺ الْمِنْبَرُ، حتَّىٰ قلنا: لَيَخرّنّ بِهِ[٢].

١١٧ ـ عن عُبيدِ الله بن مِقْسَم؛ أنه نظرَ إلىٰ عبد الله بنِ عمر كيف يحكي النبيَّ ﷺ، قال: يأخذُ ـ يريدُ: الربَّ جلّ وعلا ـ سَماواتِهِ وأَرْضَهُ[٣] بِيَدَيْهِ ـ وجعل يَقْبِضُ يديه ويَبسطُها ـ

٢٤ ـ باب ذكر السنة الثانية عشرة

في إثبـات يدي ربنا عـزّ وجلّ، وهي البيـانُ أن الله تعـالىٰ إنما يقـبضُ الأرضَ بيدِه يومَ القيامةِ بعدما يُبدّلها، فتصير الأرضُ خُبزةً لأهل الجنة؛ لأن الله يقبضها وهي طينٌ، وحِجارةٌ، ورضراض[٤]، وحمأةٌ، ورملٌ وترابٌ.

---

(١) كذا الأصل، وفي غيره: «يديه».

(٢) صحيح. ورواه النسائي في «الكبرىٰ» (٧٦٩٥و٧٦٩٦)، وأحمد (٢/ ٧٢).

(٣) كذا بالأصل، وفي بعض روايات الحديث: «أراضيه»، كما عند مسلم.

(٤) كذا بالأصل، وفي غيره «رصاص»، والرضراض: الحصىٰ الصغار، أوالحجارة تتحرك علىٰ وجه الأرض وتترجرج. «المعجم الوسيط». والحمأ: الطين الأسود المنتن.

۱۱۹ ـ عن أبي سعيد الخدري، عن رسول الله ﷺ قال: «تَكُونُ الأَرضُ يَومَ القيامةِ خُبزةً واحدةً، يكفؤهَا الجبَّارُ بيدِه ـ كما يكفأُ أحدُكُم بيدِه خُبزَتَه في السَّفر ـ نُزُلاً لأهلِ الجنَّة». فَأَتىٰ رَجُلٌ منَ اليَهُود، فقالَ: بَارَكَ الرَّحمنُ عليكَ يَا أبَا القَاسِمِ! ألا أُخبِرُكَ بنُزُلِ أهلِ الجنَّة يومَ القيَامة؟ قَالَ: «بلىٰ»، قالَ: تكونُ الأرضُ خُبْزَةً واحدةً، [كما][1] قالَ رَسُول الله ﷺ، [قال: فنظر النبيُّ ﷺ إلينا][2] ثُمَّ ضَحِكَ، حَتَّىٰ بَدَتْ نَوَاجِذُهُ. ثُمَّ قَالَ[3]: ألا أُخبِرُكَ بإدَامِهِم؟ قالَ: «بَلَىٰ». قَالَ: إدامُهم بَالامُ[4] ونُون، قالُوا: وما هَذا؟ قال: ثورٌ ونُون، يأكُلُ من زيادةِ كبدِهِما سَبْعُونَ ألفًا[5].

٢٥ ـ باب السُّنَّة الثالثة عشرة

في إثبات يدي الله عزّ وجلّ، وهي إعلامُ النبيِّ ﷺ: أن يدي الله يُبسطان لِمُسيءِ الليلِ، ليتوبَ بالنهارِ، ولمسيءِ النهارِ؛ ليتوبَ بالليلِ، حتىٰ تطلعَ الشمسُ من مغربِها.

۱۲۰ ـ عن أبي موسىٰ، عن النبيِّ ﷺ قال: «إنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبسُطُ يَدَهُ

---

(١) زيادة من «ظ».

(٢) الزيادة من صحيح البخاري، وهي في المصادر الأخرىٰ أيضًا.

(٣) يعني: اليهودي.

(٤) هذه اللفظة قيل في تفسيرها أقوال كثيرة ردها القاضي عياض لما فيها من التكلف والتعسف، ثم قال: وأولىٰ ما يقال في هذا أن تبقىٰ الكلمة علىٰ ما وقع في الرواية، ويحمل علىٰ أنها عبرانية.
وقال النووي (١٧/ ١٤١ ـ ١٤٢):
«أما (النون) فهو الحوت باتفاق العلماء، وأما (بالام) بباء موحدة مفتوحة، وبتخفيف اللام، وميم مرفوعة غير منونة، وفي معناها أقوال مضطربة، الصحيح منها الذي اختاره القاضي ـ وغيره من المحققين ـ أنها لفظة عبرانية، معناها بالعبرانية: ثور».

(٥) صحيح. رواه البخاري (٦٥٢٠)، و مسلم (٢٧٩٢).

بِاللَّيْلِ ؛ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ ـ يعني : بالنهار[1] ـ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ ، حَتَّىٰ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا»[2] .

فاسمع الدليل على معنى[3] هذا الخبر : «أن الله تعالىٰ يبسط يدَه» على لفظ الخبر ، لتعلمَ وتتيقن أن عمل الليل يُرفع إلىٰ الله قبلَ النهارِ ، وعملَ النهار قبل الليلِ .

١٢١ ـ عن أبي موسىٰ قال : قَامَ فينا رَسولُ اللهِ ﷺ بخمسِ (بأربع) كلماتٍ قال : «إِنَّ اللهَ لا يَنامُ ، ولا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ ، ولكِنْ يَخْفِضُ القِسْطَ وَيَرْفَعُه ، يُرفَعُ إليهِ عَمَلُ الليلِ قَبْلَ النَّهارِ ، وعَمَلُ النَّهَارِ قبلَ الليلِ ، حِجَابُهُ النُّورُ ؛ لو كَشَفَهَا[4] لأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَىٰ إليهِ بَصَرُه مِن خَلْقِهِ»[5] .

٢٦ ـ باب ذكر إمساك الله تبارك وتعالى اسمُه، وجلّ ثناؤه السماوات والأرض وما عليها على أصابعه

جلّ ربُّنا عن أن تكون أصابعه كأصابعِ خلقه ، وعن أن يُشبه شيءٌ من صفات ذاتِه صفات خلقه .

وقد أجلّ الله قدر نبيه ﷺ عن أن يُوصف الخالقُ الباري بحضرتِه بما ليس من صِفاته ، فيسمعُه فيضحك عندَه ، ويجعل بدلَ وجوبِ النكير والغضب علىٰ المتكلِّم به ضَحِكًا تبدو نواجذُه تصديقًا وتعجبًا لقائله .

لا يصف النبيَّ ﷺ بهذه الصفةِ مؤمنٌ مصدقٌ برسالته .

(١) هذه العبارة لابن خزيمة رحمه الله .

(٢) صحيح . رواه مسلم (١٧٩)، وأحمد (٤/ ٣٩٥) .

(٣) في «الأصل» : «لفظ»، والمثبت من «ظ» وغيره .

(٤) كذا، وفي «صحيح مسلم» و«سنن ابن ماجه» : «لو كشفه» .

(٥) صحيح . ورواه مسلم (١٧٩) (٢٩٣)، وابن ماجه (١٩٥) . وتقدم برقم (٢٨) .

١٢٣ ـ عن عبد الله قال: أتى النبيَّ ﷺ رَجلٌ منْ أَهْلِ الكتابِ (حَبْرٌ مِنَ اليَهُودِ)، فقَالَ: يَا أَبَا القَاسِمِ! أَبَلَغَكَ أَنَّ اللهَ ـ عزّ وجلّ ـ يحمِلُ الخلائقَ عَلَىٰ إِصْبَعٍ، والسماواتِ علىٰ إصبعٍ، والأرضينَ علىٰ إصبعٍ، [والجبالَ] والشجرَ علىٰ إصبعٍ، [والماءَ] والثَّرىٰ عَلَى إِصْبعٍ؟[ثم يَهُزُّهنَّ، ثم يقولُ: أنا الملكُ. أنا الملكُ].

قالَ: فَضَحِكَ النبيُّ ﷺ، حتَّىٰ بَدَتْ نواجِذُه. [تَعَجُّبًا له، وتَصْدِيقًا لَهُ].

قال: فأنزل الله تعالىٰ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ [وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ]...﴾ [الزمر: ٦٧][1].

١٢٩ ـ عن ابن عباس قال: مَرَّ يهوديٌّ بالنبيِّ ﷺ، فقال: يا أَبا القاسِمِ! ما تَقُولُ إذَا وَضَعَ اللهُ السَّمَاءَ عَلَىٰ ذه، والأرضينَ عَلَىٰ ذه، والماءَ علىٰ ذهْ، والْجِبَالَ عَلَىٰ ذِه، وسَائِرَ الخَلْقِ عَلَىٰ ذِه، فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾[2].

قال أبو بكر: فلعل متوهمًا يتوهم ممن لم يتبحر العلم، ولا يُحسن صناعتنا في التأليفِ بين الأخبار، فيتوهّم أن خبرَ ابنِ مسعودٍ يُضادُّ خبرَ ابنِ عُمر، وخبر أبي سعيدٍ يُضاد خبرهما!

وليس كذلك هو عندنا بحمدِ الله ونعمته.

أما خبرُ ابنِ مسعودٍ، فمعناه: أن الله جلّ وعلا يُمسك ما ذكرَ في الخبرِ علىٰ أصابِعِهِ ـ علىٰ ما في الخبر ـ سواء قبل تبديلِ الله الأرضَ غير الأرضِ؛ لأن الإمساكَ علىٰ الأصابعِ غير القبضِ علىٰ الشيء، وهو مفهوم في اللغة التي

(١) صحيح. ورواه البخاري (٤٨١١)، ومسلم (٢٧٨٦)، والنسائي في «التفسير» (٤٧٢).

(٢) صحيح. ورواه الترمذي (٣٢٤٠)، وأحمد (١/ ٢٥١ و٣٢٤)، وقال الترمذي: «حسن صحيح».

خُوطبنا بها؛ لأن الإمساك على الشيء بالأصابع غير القبض على الشيء.

ونقول: ثم يبدل الله الأرضَ غير الأرضِ كما خبّر مُنزِّلُ الكتاب على نبيه المصطفى ﷺ في مُحكمِ تنزيلِه، في قوله: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ﴾.

وبيّن على لسانِ نبيه المصطفى ﷺ صفةَ تبديل الأرضِ غير الأرض.

فأعلم ﷺ: أن الله تعالى يبدّلها، فيجمعها خبزةً واحدةً، فيقبض عليها حينئذٍ، كما خبّر في خبرِ ابنِ عُمر رضي الله عنه.

ويكفؤها كما أعلمَ في خبرِ أبي سعيدٍ الخدري.

فالأخبارُ الثلاثة كلُّها ثابتةٌ صحيحةُ المعاني على ما بيناه.

قال أبو بكر:

١٣٠ ـ وعن أبي سعيدٍ قال: قال رسولُ الله ﷺ في القَبْضتينِ: «هَذِهِ في الْجَنَّةِ وَلا أُبَالي، وَهَذِهِ في النَّارِ وَلا أُبَالي»[1].

١٣١ ـ عن أنس بنِ مالكٍ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ اللهَ تعَالى قَبَضَ قَبْضَةً، فقالَ: إلى الجنَّةِ برَحْمَتي، وقَبَضَ قَبْضَةً، فقالَ: إلى النَّار ولا أُبالي»[2].

---

(١) صحيح لغيره. ورواه البزار (٢١٤٢) من حديث أبي سعيد.

ورواه الطبراني في «الصغير» (٣٦٢) بإسناد رجاله ثقات من حديث ابن عمر، ولفظ حديثه:

أن رسول الله ﷺ قال: «هؤلاء لهذه، وهؤلاء لهذه»، فتفرق الناس، وهم لا يختلفون في القدر.

وله شاهد آخر من حديث أبي نضرة، عن رجلٍ من أصحاب النبي ﷺ ـ يقال له: عبد الله ـ رواه أحمد (٤/ ١٧٦ و١٧٧ و٥/ ٦٨)، وإسناده صحيح.

وله شاهد من حديث أنس كما عند المصنف في الحديث التالي.

(٢) صحيح لغيره. ورواه أبو يعلى (٣٤٢٢ و٣٤٥٣)، والعقيلي في «الضعفاء» (١/ ٢٥٧)، وابن عدي في «الكامل» (٢/ ٦٢٤).

٢٧ ـ باب إثبات الأصابع لله عز وجلّ

من سُنّة النبيّ ﷺ قيلاً له، لا حكايةً عن غيرِه، كما زعم بعضُ أهل الغباء والجهل، أن خبرَ ابنِ مسعودٍ ليس هو مِن قول النبيّ ﷺ وإنما هو من قول اليهودي، وأنكرَ أن يكون ضَحِكَ النبيّ ﷺ تصديقًا لليهودي[١].

١٣٢ ـ قال أبو إدريس الخولاني: حدثني النّواس بنُ سِمْعان الكلابيّ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «مَا مِنْ قلبٍ إلا وَهُوَ بينَ إصْبَعَيْنِ منْ أصَابعِ الرحمن[فإذا شاءَ أن يُقيمه أقامَه، وإذا شاءَ أن يُزيغَه أزاغَه] وكَانَ يقولُ: «يا مُقَلِّبَ القُلوب! ثَبِّتْ قَلبي علىٰ دينِكَ» «والميزَانُ بِيَدِ الرَّحْمنِ يَخفِضُ ويَرْفَعُ»[٢].

قال أبو بكر: بهذا الخبر أستدلُّ أن معنىٰ قوله: «يرفعُ القِسْطَ ويخفضه» ـ أراد بالقسطِ: الميزان، كما أعلم في هذا [الخبر أن] الميزانَ بيد الرحمن، يرفع ويخفض، فقال الله: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

١٣٣ ـ عن شَهْر بن حَوشَب قال: سمعتُ أمَّ سلَمة تحدّث؛ أن رسولَ الله ﷺ كان يُكثر في دُعائه: «اللهمَّ يا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَىٰ دِينِكَ»، قالت[٣]: فقلتُ: يا رسُول الله: وإنَّ القُلوبَ لَتتقلَّبُ؟ قالَ: «نَعمْ؛ ما مِنْ خَلْقِ الله مِنْ بَنِي آدَمَ، إلا وَقَلْبُهُ بينَ إِصْبَعَينِ مِنْ أصابعِ اللهِ؛ فإنْ شاءَ أَقَامَه، وإنْ شَاءَ أَزَاغَهُ»[٤].

---

(١) قال الشيخ خليل هراس ـ رحمة الله عليه ـ: «وهذا جهل من هذا القائل؛ فإن السنة كل ما أثر عن رسول الله ﷺ من قولٍ، أو فعلٍ، أو تقريرٍ، وفي هذا الحديث أقرّ عليه السلام كلام اليهودي، ورضيه، وإلا لما سكت عليه، بل كان يكذبه فيه».

(٢) صحيح. رواه أحمد (٤/ ١٨٢)، و النسائي في «الكبرىٰ» (٧٧٣٨)، وابن ماجه (١٩٩).

(٣) في الأصل: «قال»، والصواب ما أثبته.

(٤) صحيح لغيره. ورواه الترمذي (٣٥٢٢) وحسنه، وأحمد (٦/ ٣١٥).

فنسأل الله أن لا يزيغ قلوبَنا بعد إذ هدانا، ونسأله أن يهبَ لنا من لدنه رحمةً؛ إنه هو الوهّاب.

فتدبَّروا يا أُولي الألباب ما نقولُ في هذا البابِ؛ في ذكر اليدين، كنحو قولِنا في ذكر الوجه والعينين، تستيقنوا ـ بهدايةِ الله إياكم، وشرحه جلّ وعلا صدوركَم للإيمان ـ بما قَصَّهُ اللهُ جلّ وعلا في مُحكم تنزيله، وبيَّنه على لسان نبيِّه ﷺ من صفاتِ خالقنا عزّ وجلّ.

وتعلموا ـ بتوفيق الله إياكم ـ أن الحقَّ والصوابَ والعدلَ في هذا الجنس مذهبُنا؛ مذهبُ أهلِ الآثارِ ومُتبعي السُّنن، وتقفُوا على جهلِ مَنْ يُسميهم مشبهة؛ إذ الجهميةُ المعطلة جاهلون بالتشبيه.

نحن نقولُ: لله جلّ وعلا يدان، كما أعلَمنا الخالقُ البارئ في مُحكم تنزيله، وعلى لسان نبيّه المصطفى ﷺ.

ونقولُ: كلتا يدي ربنا عزّ وجلّ يمينٌ على ما أخبرَ النبيُّ ﷺ.

ونقولُ: إن الله عزّ وجلّ يقبضُ الأرضَ جميعًا بإحدى يديه، ويطوي السماءَ بيدِه الأُخرى، وكلتا يديه يمينان، لا شمالَ فيهما.

ونقول: مَن كان مِن بني آدم سلِيم الأعضاء والأركان، مستوي التركيب لا نقصَ في يديه أقوى بني آدم وأشدّهم بطشًا له يدان، عاجزٌ عن أن يقبض على أقلّ من شعرةٍ واحدةٍ من جُزْءٍ من أجزاء كثيرة على أرضٍ واحدةٍ من سبع أرضين.

ولو أن جميعَ مَن خلقهم اللهُ من بني آدم إلى وقتنا هذا، وقضى خلقَهم إلى قيامِ السَّاعة، لو اجتمعُوا على مَعُونة بعضِهم بعضًا، وحاولوا على قبضِ أرضٍ واحدةٍ من الأرضين السبع بأيديهم، كانوا عاجزين عن ذلك، غير مُستطيعين له.

وكذلك لو اجتمعوا جميعًا علىٰ طيّ جزءٍ من أجزاء سماءٍ واحدةٍ لم يقدروا علىٰ ذلك، ولم يستطيعوه، وكانوا عاجزين عنه.

فكيف يكونُ - يا ذوي الحجا - مَن وصفَ يدَ خالقنا بما بيّنا من القوّة والأيدِ ووصفَ يد المخلوقين بالضعفِ والعجز مُشبهًا يدَ الخالق بيدِ المخلوق؟!!

أم كيف يكون مُشبهًا مَن يُثبت لله أصابعَ علىٰ ما بيّنه النبيُّ المصطفىٰ ﷺ للخالقِ البارئ، ويقول: «إن الله جل وعلا يُمسِكُ السماواتِ علىٰ إصبعٍ والأرضينَ علىٰ إصبعٍ...» تمام الحديث.

ويقول: إن جميعَ بني آدم مُنذ خلق الله آدمَ إلىٰ أن يُنفخ في الصُّورِ لو اجتمعُوا علىٰ إمساكِ جزءٍ من أجزاء كثيرةٍ من سماءٍ من سَماواته، أو أرضٍ من أراضيه السبع بجميعِ أيديهم كانوا غير قادرين علىٰ ذلك، ولا مُستطيعين له، بل عاجزين عنه. فكيف يكونُ مَن يُثبت لله عزّ وجلّ يدين علىٰ ما ثبّته الله لنفسِه، وثبّته له نبيّه ﷺ مشبهًا يدي ربّه بيدي بني آدم؟!!

نقول: لله يدان باسطتان[1] ينفق كيف يشاءُ، بهما خلقَ الله آدمَ عليه السلام، وبيدِه كتب التوراةَ لموسىٰ عليه السلام، ويداه قديمتان لم تزالا باقيتين وأيدي المخلوقين مخلوقة مُحدثة غير قديمةٍ، فانية غير باقيةٍ، بالية تصير ميتةً ثم رميمًا، ثم ينشئه الله خلقًا آخرَ، تبارك الله أحسن الخالقين.

فأيّ تشبيه يلزم أصحابنا أيّها العقلاء إذا ثَبّتوا للخالقِ ما ثبّته الخالقُ لنفسه وثبته له نبيّه المصطفىٰ ﷺ.

وقودُ مقالةِ[2] هؤُلاءِ المعطّلة يوجب أنّ كلَّ مؤمنٍ يقرأُ كتابَ الله ويؤمنُ

---

(١) كذا بالأصل، والمراد: مبسوطتان.

(٢) أي: مؤدىٰ قولهم ولازمه.

به، إقراراً باللسانِ، وتصديقًا بالقلبِ فهو مشبّهٌ، لأنّ الله ما وصفَ نفسَه في مُحكم تنزيلِه بزعم هذه الفرقة، ومن وصف ـ ما وصف الله ـ يدَ خالِقه فهو يشبّه الخالقَ بالمخلوقِ[1].

فيجب على قود مَقالتهم أن يُكْفَر بكل ما وصفَ اللهُ بهِ نفسَهُ في كتابه وعلى لسان نبيه المصطفى ﷺ.

عليهم لعائنُ الله؛ إذ هم كُفّارٌ منكرون لجميعِ ما وصفَ الله به نفسَه في كِتَابِهِ وعلى لِسَانِ نبيه ﷺ، غير مقرّين بشيءٍ منه، ولا مصدّقين بشيءٍ منه.

نقول: لو شبّه بعضُ الناس يدَ قويّ الساعدين شديدَ البطشِ، عالم بكثيرٍ من الصناعات، جيّد الخط، سريع الكتابة، بيدِ ضعيفِ البطش من الآدميين، خلو من الصناعاتِ والمكاسب، أخرق، لا يُحْسِن أنْ يخطّ بيدِه كلمةً واحدةً، لو شبّه يدَ من ذكرنا أولاً بالقوّةِ والبطشِ الشديدِ بيدِ صبيٍّ في المهدِ، أو كبيرٍ هَرِمٍ يَرعش، لا يقدر على قبضٍ ولا بسطٍ ولا بطشٍ.

أويقول له: يدك شبيهةٌ بيدِ قردٍ، أو خنزيرٍ، أو دبٍّ، أو كلبٍ، أو غيرها من السباع، أَمَا يقولُ له سامعُ هذه المقالة ـ إن كان من ذوي الحجا والنُّهى ـ: أخطأتَ ـ يا جاهل! ـ التمثيل، ونكستَ التشبيه، ونطقت بالمحالِ من المقالِ.

ليس كل ما وقع عليه اسم اليد جاز أن يشبه ويمثل إحدى اليدين بالأخرى.

وكلُّ عالمٍ بِلُغَةِ العرب، فالعلم عنده محيطٌ أن اسم الواحدِ قد يقعُ على الشيئين مُختلفي الصفة متبايني المعاني.

---

(١) قال الشيخ هراس ـ رحمه الله ـ: «لأنهم يزعمون أن آيات الصفات من المتشابه الذي استأثر الله بعلمه».

وإذا لم يجز إطلاق اسم التشبيه إذا قال المرءُ: لابن آدم يدان، وللقردِ يدان، وأيديهما مخلوقتان.

فكيف يجوزُ أن يسمَّىٰ مشبهًا من يقول: لله يدان ـ على ما أعلمَ الله في كتابِهِ، وعلىٰ لسان نبيّه ﷺ.

ونقول: لبني آدم يدان، ونقول: ويدا الله بهما خلق آدم، وبيدِهِ كتبَ التوراةَ لموسىٰ عليه الصلاة والسلام، ويداه مبسوطتان، ينفقُ كيف يشاء وأيدي بني آدم مخلُوقة علىٰ ما ثبت[1] وشرحتُ قبلُ في بابِ الوجه والعينين، وفي هذا الباب؟!!

وزعمت الجهميةُ المعطّلة أن معنىٰ قوله: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]، أي: نعمتاه! وهذا تبديلٌ، لا تأويل[2].

والدليلُ علىٰ نقضِ دعواهم هذه: أن نِعَمَ الله كثيرةٌ، لا يُحصيها إلا الخالق البارئ، ولله يدانِ لا أكثرَ منهما، كما قال لإبليسَ ـ عليه لعنةُ اللهِ ـ: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾[3] [ص: ٧٥].

فأعلَمنا عزّ وجلّ أنه خلقَ آدم بيديه، فمن زعمَ أنه خلقَ آدم بنعمتِهِ، كان مبدّلاً لكلامِ الله.

وقال عزّ وجلّ: ﴿وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر: ٦٧].

---

(١) كذا بالأصل، وفي غيره: «بينت».

(٢) قال الشيخ هراس ـ رحمه الله ـ: «لأن اليد بمعنىٰ النعمة أو القدرة لا تثنىٰ، ولا يصح كذلك وصفها بالانبساط والسعة». قلت: ومراد ابن خزيمة بالتأويل التفسير والبيان.

(٣) قال الشيخ هراس ـ رحمه الله ـ: «ولو كانت اليد بمعنىٰ القدرة هنا لاستطاع إبليس أن يرد بقوله: وأنا أيضًا خلقتني بيدك، يعني: بقدرتك، فأي امتياز لآدم عليّ؟ ولكن إبليس كان أفقه من هؤلاء المعطلة؛ وأدرك أن هذه خصوصية لآدم، ليست لغيره من الخليقة».

أفلا يعقل أهل الإيمان : أن الأرضَ جميعًا لا تكون قبضةَ إحدىٰ نعمتيه يوم القيامة، ولا أنّ السماوات مطويّات بالنعمةِ الأخرىٰ.

ألا يعقل ذوو الْحِجَا من المؤمنين أنّ هذه الدعوىٰ التي يدّعيها الجهميةُ جهلٌ، أو تجاهلٌ شرّ من الجهلِ.

بل الأرضُ جميعًا قبضةُ ربنا جلّ وعلا بإحدىٰ يديه يومَ القيامةِ، والسماوات مطويات بيمينه؛ وهي اليدُ الأخرىٰ، وكلتا يدي ربِّنا يمينان، لا شِمال فيهما. جلّ ربُّنا وعزّ عن أن يكون له يسارٌ؛ إذ إحدىٰ اليدين يسارًا إنما يكونُ من علامات المخلوقين، جلّ ربنا وعزّ عن شبيه خلقه.

وافهم ما أقولُ من جهة اللغة تفهم وتستيقن أن الجهميةَ مبدّلة لكتابِ الله، لا متأوِّلة قوله : ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾.

لو كان معنىٰ اليد النعمة كما ادَّعت الجهميةُ لقُرئت : بل يداه مبسوطة أو مُنبسطة لأن نعم الله أكثر من أن تُحصىٰ ومُحال أن تكون نِعَمُهُ نعمتين لا أكثر.

فلما قال عزّ وجلّ : ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ كان العلمُ محيطًا أنه ثبّت لنفسهِ يدين، لا أكثرَ منهما، وأعلَم أنهما مبسوطتانِ ينفقُ كيف يشاء.

والآية دالّة أيضًا علىٰ أن ذِكر اليدِ في هذه الآية ليس معناه النعمة.

حكىٰ الله جلّ وعلا قولَ اليهود، فقال : ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ﴾ فقال عزّ وجلّ ردًا عليهم : ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾، وقال : ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾.

وبيقين يعلمُ كلُّ مؤمنٍ أن الله لم يُردْ بقوله : ﴿غُلَّتْ أيدِيهم﴾، أي : غُلت نعمُهم. لا. ولا أراد اليهودُ أن نعمَ الله مغلولة، وإنما ردّ الله عليهم مقالَتهم، وكذّبهم في قولِهِم : ﴿يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ﴾.

وأعلمَ المؤمنين أن يديه مبسوطتان، يُنفق كيف يشاء، وقد قدَّمنا ذكر إنفاقِ الله عز وجل بيديه في خبر همّام بن مُنبّه، عن أبي هُريرة، عن النبيِّ ﷺ: «يمينُ الله ملآىٰ سحّاء، لا يغيضُها نفقة. . .»[1].

فأعلَمَ النبيُّ ﷺ أن الله يُنفق بيمينِه؛ وهما يداه؛ التي أعلَم الله أنه يُنفق بهما كيف يشاءُ.

وزعم بعضُ الجهمية أن معنىٰ قوله: «خلقَ الله آدمَ بيدِه»، أي: بقوّته، فزعم أن اليد هي القوة!

وهذا من التبديلِ أيضًا، وهو جهلٌ بلغة العربِ، والقوّة إنما تُسمىٰ: الأيد في لُغة العربِ، لا اليد، فمَن لا يفرّق بين اليدِ والأيدِ فهو إلىٰ التعليمِ والتسليم إلىٰ الكتَاتيبِ أحوجُ منه إلىٰ الترأسِ والمناظرةِ.

قد أعلمنا الله عزّ وجلّ أنه خلق السماء بأيدٍ، فاليدان غير الأيد، إذ لو كان الله عزّ وجلّ خلقَ آدمَ بأيدٍ كخلْقِهِ السماء، دون أن يكون الله خصَّ [خلق] آدم بيديه لما قالَ لإبليس: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيّ﴾.

ولا شكَّ ولا ارتياب أن الله عزّ وجلّ قد خلقَ إبليسَ - عليه لعنةُ الله - أيضًا بقوّته؛ أي: إذا كان قويًا علىٰ خلقِه، فما معنىٰ قوله: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيّ﴾ عند هؤلاءِ المعطّلة؟

والبعوضُ والنملُ وكلُّ مخلوقٍ، فالله خلقَهم عنده بأيدٍ وقوّةٍ.

وزعم بعضُ مَن كان يُضاهي بعضُ مذهبه مذهبَ الجهمية في بعضِ عُمُرهِ - لما لم يقبله أهلُ الآثارِ، فترك أصلَ مذهبِهِ عصبيةً! - زعمَ أنّ خبرَ ابنِ مسعودٍ الذي ذكرناهُ، إنما ذكر اليهوديُّ أن الله يُمسك السماواتِ علىٰ إصبعٍ . .

---

(١) تقدم. انظر الحديث رقم (١٠٨).

الحديث بتمامه[1]. وأنكر أن يكونَ النبيُّ ﷺ ضحكَ تعجبًا وتصديقًا لليهوديّ!

وقد كثر تعجبي من إنكارهِ ودفعه هذا الخبر، وقد كانَ يُثبت الأخبارَ في ذكرِ الأصبُعينِ، قد احتجّ في غيرِ كتابٍ من كُتبه بإخبارِ النبيّ ﷺ: «مَا مِن قلبٍ إلا وهُو بين إصبعين من أصابع الرحمن»[2].

فإذا كان هذا عنده ثابتًا، يحتجّ به، فقد أقرّ وشَهِدَ أن لله أصابعَ؛ لأن مفهومًا في اللغة إذا قيل: بين إصبعين من أصابعٍ، أن الأصابعَ أكثر من إصبعين فكيف ينفي الأصابعَ مرةً ويثبتها أخرىٰ فهذا تخليطٌ في المذهبِ والله المستعان.

وقد حكيتُ مراراً عن بعضِ مَن كان يُطيل مجالستَه أنه قد انتقلَ في التوحيدِ منذ قدم نيسابور ثلاث مراتٍ! قد وصفتُ أقاويله التي انتقلَ من قولٍ إلىٰ قولٍ.

وقد رأيتُه في بعضِ كتبه يحتجّ بخبر: ليث ابنِ أبي سُليم، عن عبد الرحمن بن سابط، عن أبي أُمامة، عن النبيِّ ﷺ، وبخبر خالد بنِ اللجلاج عن عبد الرحمن بن عائش عن النبيِّ ﷺ قال: «رأيتُ ربِّي في أحسن صورةٍ».

فيحتجّ مرةً بمثلِ هذه الأسانيد الضِّعاف الوَاهِية التي لا تثبت عندَ أحدٍ له معرفةٌ بصناعةِ الحديثِ. ثم يعمدُ إلىٰ أخبارِ ثابتةٍ صحيحةٍ من جهة النقلِ، مما هو أقلّ شناعةً عند الجهمية المعطلة من قوله: «رأيتُ ربِّي في أحسن صورةٍ»، فيقول: هذا كفرٌ بإسنادٍ، ويُشنّع علىٰ عُلماء الحديثِ؛ بروايتهم تلك الأخبار الثابتةِ الصَّحيحةِ، والقولُ بها قلةُ رغبةٍ، وجهل بالعلمِ، وعناد. والله المستعان.

وإن كان قد رجعَ عن قولِهِ، فالله يرحمُنا وإيّاه.

---

(١) تقدم. انظر الحديث (١٢٣)، وما بعده.

(٢) تقدم. انظر الحديث (١٣٢).

٢٨ ـ باب ذكر إثبات الرِّجْل لله عز وجلّ

وإن رغمت أنوف المعطلة الجهمية؛ الذين يَكفُرون بصفات خالقنا عزّ وجلّ، التي أثبتها الله لنفسه في مُحْكَم تنزيله، وعلى لسان نبيّه المصطفى ﷺ.

قال الله ـ عزّ وجلّ وعلا ـ يذكر ما يدعو بعض الكفار من دون الله: ﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ﴾ [الأعراف: ١٩٥].

فأعلمنا ربُّنا جلّ وعلا أن من لا رِجل له، ولا يد، ولا عين، ولا سمع، فهو كالأنعامِ، بل هو أضلّ.

فالمعطّلة الجهمية الذين هم شرٌّ من اليهودِ والنَّصارىٰ والمجوسِ كالأنعامِ، بل أضلّ من اليهود. فالمعطلة الجهمية عندهم كالأنعام، بل هم أضل(١).

١٣٥ ـ عن ابن عباسٍ؛ أنّ رسولَ الله ﷺ أُنْشِدَ قولُ أُمية بن أبي الصلت الثقفي:

رَجُلٌ وثورٌ تحت رِجْلِ يمينه والنسر للأخرىٰ وليثٌ مرصدُ
والشمسُ تُصبح كلَّ آخر ليلةٍ حمراء يصبح لونُها يتورّدُ
تأبىٰ فما تطلع لنا في رسلها إلا مُعذبةً وإلا تُجْلَدُ

فقال رسولُ الله ﷺ: «صَدَقَ»(٢).

(١) في الأصل: «فالمعطلة الجهمية لا الذين هم شر من اليهود والنصارىٰ والمجوس عندهم كالأنعام بل هم أضل»، ثم وضع الناسخ علامة بعد لفظ: «الجهمية» وكتب في الحاشية: «هنا نقص فليحرر».

(٢) صحيح. ورواه أحمد (١/ ٢٥٦)، وولده في «الزوائد»، وفي «السنة» (٩٨٩)، والدارمي (٢/ ٩٦).
ورواه الرافضي المحترق في «الأغاني» (٤/ ١٢٨).
وأمية بن أبي الصلت هو الثقفي الشاعر المعروف، ترجم له الحافظ ابن حجر في «الإصابة» القسم الرابع من حرف الألف، وقال عنه ابن قتيبة في «الشعراء» ص (٣٢٩): «كان أمية يُخبر أن نبيًا يخرج، قد أظل زمانه، وكان يؤمل أن يكون ذلك النبي، فلما بلغه خروج النبي ﷺ كفر به حسدًا»، ولم يختلف أصحاب=

■ (وفي رواية: إن النبي ﷺ صدَّق أميةَ بن أبي الصلت في بيتين من شعره).

قال أبو بكر: معنىٰ قوله: وإلا تجلد، معناه: اطلعي، كما قال ابنُ عباسٍ.

١٣٨ـ عن ابن عباسٍ... فذكر القصةَ. قال عكرمةُ: فقلتُ لابن عباسٍ: وتُجلدُ الشمسُ؟ فقال: عضضتَ بهنِ أبيك! وإنما اضطره الرويّ إلىٰ أن قال: تجلدُ[١].

١٣٩ـ عن هشام بن عُروة قال: حملةُ العرش؛ أحدُهم علىٰ صورة إنسانٍ والثاني علىٰ صورة ثور، والثالثُ علىٰ صورة نَسْر، والرابع علىٰ صورة أسدٍ[٢].

قال أبو بكر: سأذكرُ قولَه: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾ في موضعه من هذا الكتاب إن شاء اللهُ ذلك وقدَّره.

١٤٠ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسولِ الله ﷺ قال: «اختصمتِ

=الأخبار أنه مات كافرًا، وصح أنه عاش حتىٰ رثىٰ أهل بدر. انظر «الإصابة» (١/ ١٣٣).

قلت: ولا تعارض بين هذا الحديث الصحيح وبين الآية الكريمة: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾، وذلك لما يلي:

أولاً: أن الآية قيدت ذلك بيوم القيامة، والحديث لم يقيده.

ثانيًا: ما ذكره البيهقي في «الأسماء والصفات» علىٰ الحديث، قال: فكأنه ـ إن صح ـ بين أن الملك الذي في صورة رجل، والملك الذي في صورة ثور يحملان من الكرسي موضع الرجل اليمنىٰ، والملك الذي في صورة نسر، والذي في صورة الأسد، وهو الليث يحملان من الكرسي موضع الرجل الأخرىٰ.

قلت: يعني: أنه ذكر الذين هم عند موضع القدمين لا كل الحملة.

قال محمد بن حبيب في شرح ديوان أمية كما في «الخزانة»(١/ ٢٤٨): «يقال: إن حملة العرش ثمانية، رجل، وثور، ونسر، وأسد، هذه أربعة وأربعة أخرىٰ، فأما اليوم فهم أربعة، فإذا كان يوم القيامة أيدوا بأربعة أخرىٰ، فذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾ كذلك بلغني، والله أعلم».

(١) صحيح. قلت: وانظر «الأغاني» كتاب الرافضي(٣/ ١٨٤)، و«خزانة الأدب» (١/ ٢٥٠).

(٢) حسن. ورواه الدارمي ـ موقوفًا علىٰ عروة ـ في «الرد علىٰ بشر المريسي» ٩١ عن موسىٰ بن إسماعيل عن حماد بن سلمة، عن هشام بن عروة، عن عروة به.

(افتخرت) الجنَّةُ والنَّارُ إلىٰ ربِّهمَا، قالت الجَنَّةُ: أي ربِّ! مَالها ؟ إنما يَدخُلها ضُعفاءُ النَّاسِ، وسَقَاطُهم[1]، وقَالَتِ النَّارُ: أي ربِّ! إنَّما يَدْخُلُها الْجَبَّارُون والمتكبِّرون، فقال: أنتِ رحمَتِي أُصيبُ بِك مَنْ أشاءُ، وأَنْتِ عَذَابِي أُصيبُ بكِ مَنْ أشاءُ، ولكُلِّ واحِدَةٍ منكُما ملؤها. فأَمَّا الْجَنَّة فإن الله لا يظلمُ مِنْ خَلْقه أحداً وإنَّه يُنشيءُ لها ما يَشاءُ[2] («وإنَّه يُنشئُ لها مَنْ يَشَاءُ»). وأمَّا النَّارُ، فيُلقونَ فيها وتقولُ: هَلْ مِنْ مزيد؟ ويُلْقَوْنَ فيها، وتَقُولُ: هَل مِنْ مزيدٍ؟ حتىٰ يَضَع الجبَّارُ فيها قَدَمَهُ، هُنالكَ تَمتلئ، ويَدْنُو بَعضُها إلىٰ بَعْضٍ، وتقُولُ: قَطْ قَطْ»[3].

١٤٣ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «اخْتَصَمَتِ الجَنَّةُ والنَّارُ، فَقَالَتِ النَّارُ: أُوثرت[4] بالمتكبِّرين والمتجبِّرين، قال: وقالتِ الجَنَّةُ: مَالي لا يَدخُلُنِي إلا سَفَلَةُ النَّاسِ وسقَاطُهم ـ أو كما قال ـ قال: فقالَ الله لهما، قال للجنة: أنْتِ رَحْمَتِي أسكُنُكَ[5] من شِئْتُ مِنْ خَلْقِي، ولِكُلِّ واحِدَةٍ منكما ملؤها، فأمَّا النَّارُ[6] فإنَّها لا تَمتَلئ، حتَّىٰ يَضَعَ اللهُ قَدَمَهُ فيها، فَهُنَالكَ تمتلئ، وينزوي بعضُها إلىٰ بَعْضٍ، وتَقُولُ: قد، وأمَّا الجنَّةُ فإنَّ الله

(١) كذا في الأصل، وفي غيره: «وسقطهم»، «وهم المحتقرون بينهم، الساقطون من أعينهم، هذا بالنسبة إلىٰ ما عند الأكثر من الناس، وبالنسبة إلىٰ ما عند الله هم عظماء، رفعاء الدرجات، لكن بالنسبة إلىٰ ما عند أنفسهم لعظمة الله عندهم وخضوعهم له في غاية التواضع لله، والذلة في عباده، فوصفهم بالضعف والسقط بهذا المعنىٰ صحيح». قاله ابن حجر (٨/ ٥٩٧).

(٢) كذا بالأصل، وفي غيره: «نشئًا»، وكلاهما صحيح.

(٣) حسن صحيح. رواه أحمد (٢/ ٥٠٧)، والطبري (٢٦/ ١٧٠)، وابن طهمان في «مشيخته» (١٠٩).

(٤) يعني: خُصصت وتميزت.

(٥) كذا الأصل، وفي غيره: «أرحم بك».

(٦) كذا الأصل، وفي غيره: «جهنم».

يُنشيءُ لها خَلْقًا»[١].

١٤٦ ـ عن أبي هريرة عن النبي ﷺ بمثله غير أنه قال: قَطٍ قَطٍ قَطٍ[٢].

١٤٧ ـ عن همام بن منبه قال: هذا ما حدثنا أبو هُريرة رضي الله عنه، عن محمدٍ رسول الله ﷺ، فذكر أحاديث. قال: قال رسولُ الله ﷺ «تحَاجت[٣] الجنَّةُ والنَّارُ، فقَالتِ النَّارُ: أوثرت بِالمستكبرين والمتَجَبِّرين، وقالتِ الْجَنَّةُ: فمالِي لا يَدْخُلُني إلا ضُعَفَاءُ النَّاسِ وسَقَطُهم وعَجزُهم[٤]، قالَ اللهُ للجنَّة: إنَّمَا أنتِ رحمتي[٥]؛ أرحَمُ بكِ منْ أشَاءُ مِنْ عِبَادِي، وقالَ للنَّار: إنَّما أنت عذابٌ، أُعَذِّبُ بكِ من أشَاءُ من عِبادي، ولِكُلٍّ واحدةٍ منكُما مِلْؤهَا، فأمَّا النَّارُ فلا تمتلئُ حَتَّىٰ يضعَ اللهُ رجْلَهُ فيها، فتقول: قط قط قط، فهنالِك تمتليء، ويزْوىٰ[٦] بعضُها إلىٰ بعْض، ولا يظلمُ اللهُ عزّ وجلّ منْ خلقهِ أحدًا، وأمَّا الجنَّة فإنَّ اللهَ عزّ وَجَلّ يُنشيء لها خَلْقًا»[٧].

---

(١) صحيح. ورواه البخاري (٤٨٤٩)، و مسلم (٢٨٤٦)، وأحمد (٢/ ٢٧٦).

(٢) صحيح.

(٣) قال النووي (١٧/ ١٨٦): «هذا الحديث علىٰ ظاهره، وأن الله تعالىٰ جعل في النار والجنة تمييزًا تدركان به، فتحاجتا، ولا يلزم من هذا أن يكون ذلك التمييز فيهما دائمًا».

(٤) بفتح العين والجيم جمع عاجز، أي: العاجزون عن طلب الدنيا، والتمكن فيها، والثروة، والشوكة. قاله النووي.

قلت: وفي هذه اللفظة روايات أخرىٰ انظرها وانظر توجيهها في «شرح مسلم» (١٧/ ١٨٧).

(٥) قال البغوي في «شرح السنة» (١٥/ ٢٥٧): «سمّىٰ الجنة رحمة أن بها تظهر رحمة الله علىٰ خلقه كما قال: «أرحم بك من أشاء»، وإلا فرحمة الله تعالىٰ من صفاته التي لم يزل بها موصوفًا، ليس لله سبحانه وتعالىٰ صفة حادثة، ولا اسم حادث، فهو قديم بجميع أسمائه وصفاته جل جلاله، وتقدست أسماؤه».

(٦) بمعنىٰ: يجمع ويضم ويقبض.

(٧) صحيح. رواه أحمد (٢/ ٣١٤)، و البخاري (٤٨٥٠)، و في «الأدب المفرد» (٥٨٩ بتحقيقي)، ومسلم (٢٨٤٦).

١٤٨ ـ عن أبي سعيدٍ الخدري، عن النبي ﷺ قال: «افتَخَرتِ الْجَنَّةُ والنَّارُ فقالتِ النَّارُ: أي ربِّ! يَدْخُلُني الْجَبَابِرَةُ والْمُلوكُ والأَشرافُ، وقالتِ الجنَّةُ: أي ربِّ! يدخُلُني الفُقَرَاء والضُّعَفَاءُ والمساكينُ، فَقَالَ اللهُ للنَّار: أنْتِ عَذَابِي؛ أصيبُ بكِ مَنْ أشَاءُ، وقالَ للجنَّة: أنتِ رحمَتِي؛ وَسِعتِ كلَّ شيءٍ، ولكُلِّ واحِدَةٍ منكُما ملؤُها، فأمَّا النَّار فيُلقى فيها أهلُها، فتقولُ: هل من مزيدٍ؟ ويُلقى فيها أهلُها، فتقُولُ: هلْ مِنْ مَزيدٍ؟ حتَّى يأْتيها تَبارَكَ وتَعَالَى، فيضعُ قَدَمَيْهِ عليها، فتنزوي وتقُولُ: قَدْني قَدْني[1]، وأمَّا الجنَّة فيبقى منْها ما شاء اللهُ أن يَبْقى، فَيُنْشِيء الله لها خَلْقًا مِمَّنْ يَشَاءُ»[2].

١٥٠ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ قال: «يَجْمَعُ اللهُ النَّاسَ يَوْمَ القِيَامَةِ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، ثمَّ يطلعُ عليهم ربُّ العالمينَ.

فيقولُ: ألا ليتبع كُلُّ أمة[3] ما كانوا يعبدون، فيُمثَّلُ لصاحب الصليبِ صليبُهُ، ولِصَاحِبِ التصوير تصويرُه، ولِصاحب النَّارِ نارُه، فيتَّبِعون ما كانوا يعبدون، ويَبْقَى المسلمُون، فيطلُعُ عليهم ربُّ العالمين.

فيقُولُ: ألا تتبعُون النَّاسَ؟

فيقُولُونَ: نَعُوذ باللهِ مِنْكَ، اللهُ رَبُّنا، وهَذَا مَكَانُنَا حَتَّى نَرَى رَبَّنا ـ وهو يَأْمُرُهُمْ ويُثَبِّتهم ـ ثمَّ يَتَوارى، ثُمَّ يطلعُ. فيقُولُ: ألا تَتَّبعون النَّاسَ؟

فيقُولونَ: نعُوذُ باللهِ مِنْكَ، اللهُ ربّنا، وَهَذَا مَكَانُنَا حَتَّى نَرَى رَبَّنا ـ وهو يَأْمُرُهم ويُثَبِّتهم ـ».

---

(١) في هذه اللفظة روايات كثيرة كما في أحاديث هذا الباب، وبعد أن ذكر الحافظ في «الفتح» (٨/ ٥٩٥) هذه الروايات، قال: «وكلها بمعنى: يكفي»، وانظر «النهاية» (٤/ ١٩) لابن الأثير.

(٢) صحيح. ورواه أحمد (٣/ ١٣ و٧٨)، و مسلم (٢٨٤٧).

(٣) كذا بالأصل، وفي غيره: «أناس».

ثم قالُوا: وَهَلْ نَرَاهُ يَا رسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «وهَلْ تَتَمارُون في رُؤْيَةِ القمرِ ليلةَ البَـدْرِ؟» قـالُوا: لا. يَا رَسُـول اللهِ. قَـالَ: «فـإنَّكُم لا تَتَـمـارُون في رُؤيتِـه تِلكَ السَّاعة».

«ثُم يتوارَىٰ ثُمَّ يطلعُ عليهمْ فَيُعرِّفُهُم بنفسِهِ، ثُمَّ يقُولُ: أنَا ربُّكُم فَاتَّبِعُوني فَيَقُومُ المسْلِمُونَ، فَيَمُرُّعليه مثل جيادِ الخيلِ والرِّكَابِ، وقَوْلُهُمْ عليه: سلِّم سلِّم ويَبْقَىٰ أهْلُ النَّارِ، فيُطرحُ مِنهم فيها فَوْجٌ، ثُمَّ يُقَالُ: هَلْ امتَلأتِ؟ فَتَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ؟ ثُمَّ يُطْرَحُ فيها فَوْجٌ آخَر، فَيُقَالُ: هل امتلأتِ؟ فَتَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ؟ حتَّىٰ إذا أوعبُوا فيها[1] وَضَعَ الرَّحْمنُ قدمهُ فيها، فانزَوىٰ بعضُها إلىٰ بَعْضٍ، ثمَّ قَالَ: قطْ؟ قَالت: قطْ قطْ، فإذا صير أهلُ الجنَّةِ في الجَنَّةِ، وأَهْلُ النَّارِ في النَّار، أُتِي بالْمَوتِ مُلبَّبًا[2]، فَيُوقَفُ علىٰ السُّور الذي بَينَ أهل الْجَنَّةِ وأهلِ النَّارِ.

ثُمَّ يقـالُ: يـا أَهْلَ الجنَّـةِ! فـيطلعُـون خـائفينَ، ثُـم يقـالُ: يَا أَهْلَ النَّار: فيطلعُونَ مُستبشرين فرحين؛ للشَّفاعة، فيُقال لأهلِ الجنّةِ ولأهلِ النَّار: هلْ تعرفُون هَذا؟ فيقُولون هؤلاء وهؤلاءِ: قَدْ عَرَفْنَاهُ؛ هَذَا [الْمَوْتُ] الذي وُكِّلَ بِنا [فيُضجَع] فيُذْبَحُ ذَبْحًا عَلَىٰ السُّورِ. ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ! خُلُودٌ فلا مَوْتَ، ويَا أَهْلَ النَّارِ! خُلودٌ فلا موتَ»[3].

١٥١ ـ عن أنسٍ؛ أنَّ رسولَ الله ﷺ قَالَ: «لا تَزالُ جَهَنَّمُ تقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ؟ فينزلُ[4] ربُّ العَالمينَ، فيضَعُ قَدَمَه فيها، فيزوي بعضُها إلىٰ بَعْضٍ فتقولُ: بعزَّتِكَ قطْ قطْ، ومَا يَزَالُ في الجنَّةِ فَضْلٌ، حتَّىٰ يُنْشِيءَ اللهُ لَهَا خَلْقًا

(١) يعني: اكتملوا ودخلوا جميعًا.

(٢) يعني مأخوذًا بتلابيبه.

(٣) حسن. ورواه الترمذي (٢٥٥٧)، وعبد الله في «السنة» (٢٤٥)، وقال الترمذي: «حسن صحيح».

(٤) كذا الأصل، وجاء في غيره: «فيقوم».

آخرَ، فَيُسْكِنَه الجنَّة؛ في فَضْلِ الجنَّةِ»[1].

١٥٣ ـ عن أنس بنِ مالكٍ، عن رسول الله ﷺ، قال: «يُلقَىٰ في النَّار، وتقُولُ: هلْ من مَزِيدٍ؟ [ويُلْقَىٰ في النارِ، وتقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ][2]؟ حتَّىٰ يَضعَ رِجْلَهُ أو قَدَمَهُ، فَتقُولُ: قطْ قطْ»[3].

١٥٤ ـ عن أنس؛ أن نبي الله ﷺ كان يقول: «لا تزالُ جهنَّمُ يُلْقَىٰ فيها، وَتَقُول: هَلْ من مزيد؟ حتىٰ يُدلي فيها ربُّ العالمينَ قَدَمَهُ، فَيَنْزَوِي بَعْضُها إلىٰ بَعْضٍ، وتَقُولُ: قطْ قطْ بعزَّتكَ، ومَا يَزَالُ فِي الجَنَّةِ فضلٌ، حَتَّىٰ يُنشِيءَ اللهُ خَلْقًا، فَيُسْكِنَهُ في فُضُولِ الجَنَّةِ»[4].

١٥٧ ـ عن أنس، عن النبي ﷺ قال: «احْتَجَّتِ الجنَّةُ والنَّارُ، فقالتِ النَّارُ: يدخُلُني الجبَّارُون والمتكبِّرون، وقالتِ الجنَّةُ: يَدخُلُنِي الفُقراءُ والْمَساكِينُ فَأَوْحَىٰ اللهُ إلىٰ الجنَّة: أَنْتِ رَحْمَتِي أُسْكِنُكِ مَنْ شِئْتُ، وأَوْحَىٰ إلىٰ النَّارِ: أَنْتِ عَذَابِي أَنْتَقِمُ بكِ مِمَّنْ شِئْتُ، ولِكُلٍّ واحدةٍ منكُما ملؤُها، فَتَقُولُ ـ يعني النار ـ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ؟ حتَّىٰ يضعَ فِيها قَدَمَهُ، فتقُولُ: قَطْ قَطْ»[5].

١٥٨ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ أنَّ رسُولَ الله ﷺ قالَ: «يُلْقَىٰ في النَّارِ أَهْلُهَا، وتَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ؟ حَتَّىٰ يَأْتِيها ربُّها، فَيَضعُ قَدَمَهُ عَلَيْها، فَينزَوِي بَعضُها إلىٰ بعض، وتَقُولُ: قَطْ قَطْ، حتَّىٰ يأتِيها ربُّها»[6].

---

(١) صحيح. ورواه مسلم (٢٨٤٨)، وأحمد (٣/ ١٣٤)،

(٢) زيادة من «ظ».

(٣) صحيح. ورواه البخاري (٤٨٤٨ و٧٣٨٤).

(٤) صحيح.

(٥) صحيح. ورواه البخاري (٧٣٨٤)، ومسلم (٢٨٤٨).

(٦) صحيح. ورواه الدارمي (٢/ ٣١٠)، و ابن أبي عاصم في «السنة» (٥٢٥).

١٦١ ـ عن أبي سعيد الخدري، عن النبيّ ﷺ قال: «افْتَخَرَتِ الْجَنَّةُ والنَّارُ» وقالَ: «حتَّىٰ يأتيهَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فيضَعُ قَدَمَهُ علَيها فتنزوي، وَتَقُولُ: قِدْنِي قِدْنِي، وأَمَّا الْجَنَّةُ فيبقَىٰ مِنْهَا ما شَاءَ اللهُ، فينشيء الله لها خَلْقًا ماشَاءَ»[١].

قال أبو بكر: اختلف رواةُ هذه الأخبار في هذه اللفظة في قوله: قَط أو قِط، فروىٰ بعضُهم [بنصب القاف، وبعضُهم] بخفضها[٢] وهم أهل اللغة، ومنهم يُقتبس هذا الشأن.

ومحال أن يكون أهل الشعر أعلم بلفظ الحديث من عُلماء الآثار، الذين يعنون بهذه الصناعة يروونها[٣]، ويسمعُونها من ألفاظ العلماء ويحفظونها. وأكثرُ طلاب العربية، إنما يتعلَّمون العربيةَ من الكتب المشتراة ـ أو المستعارة ـ من غير سماعٍ! ولسنا نُنكر أن العرب تنصب بعضَ حروف الشيء، وبعضَها يخفضُ ذلك الحرف؛ لسعة لسانها.

قال المطَّلبيُّ ـ رحمهُ الله ـ: لا يحيطُ أحدٌ علمًا بألسنةِ العربِ جميعًا غيرُ نبيٍّ[٤].

(١) صحيح. ورواه أحمد (٣/ ١٣)، وعبد بن حميد في «المنتخب» (٩٠٨).

(٢) قال القاضي عياض ـ رحمه الله تعالىٰ ـ في كتابه «المشارق»: «قط بتشديد الطاء إذا كانت ظرفًا زمانيًا بمعنىٰ الدهر، وبفتح قافها هذا الأشهر، وقيل: بتخفيف الطاء، وفي صفة جهنم، فتقول: قط قط، بسكون الطاء وكسرها، وفتح القاف، وفي أخرىٰ: قطني قطني. كلُّه بمعنىٰ: حسبي وكفاني، إذا خففت الطاء فتحت القاف، وهو بمعنىٰ التثقيل في الأولىٰ الزمانية تخفيف الطاء أيضًا.

وحكىٰ فيها تخفيف الطاء وضم القاف ثلاث لغات، وحكاها يعقوب، أجاز الكسائي مع فتح القاف فتح الطاء وكسرها، وحكىٰ أيضًا «قط» بالضم والتشديد، ورويت عن أبي ذر قط قط، بكسر القاف والسكون».

(٣) كذا بالأصل، وهو الصواب، وفي غيره: «يدونونها»!

(٤) المطلبي هو: الإمام محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد ابن هاشم بن المطلب المطلبي، أبو عبد الله الشافعي، المكي، نزيل مصر، رأس الطبقة التاسعةَ، وهو المجدد لأمر الدين علىٰ رأس المائتين، مات سنة أربع ومائتين، وله أربع وخمسون سنة. «التقريب». =

فمن ينكر من طُلاب العربية هذه اللفظة بخفض القاف وعلى رواة الأخبار مغفلٌ ساهٍ؛ لأن علماء الآثار لم يأخذوا هذه اللفظة من الكتب غيرِ المسموعة، بل سمعوها بآذانِهم من أفواه العُلماء.

فأما دعواهم أن قط إنها الكتاب، فعلماء التفسير قد اختلَفوا في تأويلِ هذه اللفظة، ولسنا نحفظ عن أحدٍ منهم أنهم تأولوا: قط: الكتاب.

١٦٥ ـ عن مجاهدٍ في قوله: ﴿عَجِّلْ لَنَا قِطَّنَا﴾ قال: عقوبتنا[١].

١٦٦ ـ عن الحسن في قوله: ﴿رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطَّنَا﴾ قال: عقوبتنا.

١٦٧ ـ عن قتادة قال: نصيبنا من النار.

١٦٨ ـ عن سعيد بن جُبير، في قوله: ﴿عَجِّلْ لَنَا قِطَّنَا﴾ قال: نصيبنا من الجنة[٢].

١٦٩ ـ عن سعيد بنِ جُبير: ﴿عَجِّلْ لَنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ﴾ قال: نصيبنا من الآخرة[٣].

١٧٠ ـ عن عطاء الخراساني في قوله: ﴿قطنا﴾، قال: قضاءنا[٤].

١٧١ ـ عن إسماعيل بنِ أبي خالدٍ، في قوله: ﴿عَجِّلْ لَنَا قِطَّنَا﴾، قال: رزقنا[٥].

=ونص عبارته في «الرسالة»(١٣٨): «ولسانُ العرب أوسعُ الألسنةِ مَذهبًا وأكثرها ألفاظًا، ولا نَعلمه يُحيط بجميع علمه إنسانٌ غيرُ نَبيّ، ولكنه لا يَذْهب منه شيءٌ على عامّتها، حتى لا يكونَ موجودًا فيها مَنْ يَعرفه».

(١) كذا بالأصل، وفي غيره: «عذابنا»، وهما بمعنى.

(٢) حسن. ورواه الطبري (٢٢/ ١٣٥).

(٣) حسن. وانظر ما قبله.

(٤) هو في «مصنف» عبد الرزاق (٢/ ١٦١).

(٥) صحيح. رواه الطبري(٢٢/ ١٣٥).

٢٩ ـ باب ذكر استواء خالِقنا العليّ الأعلى

الفعَّال لما يَشاءُ على عرشه، فكان فوقه وفوق كلِّ شيء عاليًا كما خبّرنا الله ـ جلّ وعلا ـ في قوله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَىٰ الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥].

وقال ربنا عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَىٰ الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤].

وقال في تنزيل السجدة: ﴿اللهُ الّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَىٰ العَرْشِ﴾ [السجدة: ٤].

وقال: ﴿هُوَ الّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَىٰ الْمَاءِ﴾ [هود: ٦].

فنحن نؤمنُ بخبرِ الله جلّ وعلا أن خالِقنا مستوٍ على عرشِه لا نبدّل كلامَ الله، ولا نقول قولاً غير الذي قِيل لنا، كما قالتِ الجهميةُ المعطلة: أنه استولى على عرشه لا استوى! فبدَّلوا قولاً غير الذي قِيل لهم، كفعل اليهود لما أُمروا أن يقولُوا: حِطّة. فقالوا: حِنْطة، مُخالفين لأمرِ الله جلّ وعلا، كذلك الجهميةُ.

قال أبو بكر: في خبرٍ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذَا سألتُم اللهَ فاسألُوه الفردوسَ؛ فإنَّهُ وَسَطُ الجنَّةِ[1]، وأعلا الجنة، وفوقه عرشُ الرحمن، ومنه تَفَجَّرُ أنهارُ الجنَّة»[2].

قال أبو بكر: فالخبر يصرّح أن عرش ربِّنا جلّ وعلا فوق جنَّته، وقد

---

(١) يعني: أعدلها وأفضلها.

(٢) صحيح. ورواه البخاري(٢٧٩٠و٧٤٢٣)، وأحمد (٢/ ٣٣٥).

أعلَمنا جلّ وعلا أنه مُستوٍ علىٰ عرشِهِ ، فخالِقُنا عالٍ فوق عرشه الذي هو فوقَ جنته .

١٧٧ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : «لما قضىٰ اللهُ الخلقَ كتبَ في كتابِهِ ، فهو عندَه فوقَ عَرْشِهِ : إنَّ رحمَتِي غَلَبَتْ غَضَبِي»(١) .

قال أبو بكر : الخبرُ دالٌّ علىٰ أنَّ ربنا جلّ وعلا فوقَ عرشِه ؛ الذي كتابُه ـ إن رحمته غلبت غضبه ـ عنده .

١٧٨ ـ عن عبد الله قال : ما بَيْنَ السَّمَاءِ والأرضِ مسيرةُ خمسمائةِ عامٍ ، وما بين كُلِّ سماءٍ إلىٰ الأُخرىٰ مسيرةُ خمسمائةِ عامٍ ، وما بين السَّماء السابعةِ إلىٰ الكُرسي مسيرة خمسمائةِ عامٍ ، وما بين الكُرسي إلىٰ الماء مسيرةُ خمسمائةِ عامٍ ، والعرشُ علىٰ الماءِ ، والله علىٰ العَرْشِ ، ويَعْلَمُ أعْمَالَكُم(٢) .

١٨٣ ـ عن أسماء بنت عُميس قالت : كنتُ مع جعفر بأرض الحبشة ، فرأيتُ امرأةً علىٰ رأسها مِكْتَلٌ من دقيقٍ ، فمرّت برجلٍ منَ الحبشة ، فطرحه عن رأسها ، فسفَتِ الريحُ الدقيقَ ، فقالتْ : أَكِلُكَ إلىٰ الملِك يومَ يقعُدُ علىٰ الكُرسي ، ويأخذ للمظلومِ من الظَّالِمِ(٣) .

١٨٤ ـ عن عُبادة بن الصَّامت ؛ أن النبيَّ ﷺ قال : «الجَنَّةُ مائةُ درجةٍ ، بين كلِّ درجتين كما بين السَّماء والأرضِ ، ومِن فوقِها يكون العَرْشُ ، وإنَّ

---

(١) صحيح . ورواه البخاري(٧٥٥٤)، ومسلم(٢٧٥١)، وأحمد (٢/ ٢٤٢و٢٥٨و٢٥٩و٢٦٠و٣٥٨) .

(٢) حسن .
رواه الطبراني في «الكبير»(٨٩٨٦)، والبيهقي في «الأسماء والصفات»ص(٥٠٧) . وانظر رقم (٧٨٧) .

(٣) حسن لغيره .

الفِـرْدَوْسَ مِنْ أَعْـلاهَـا درجةً ، ومِنهـا تَفَـجَّـرُ أنهـارُ الجَنَّةِ الأَربعـةُ ، فـسلوهُ الفردوسَ»[١] .

١٨٥ ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : الكرسيُّ مَوضعُ قدميه ، والعَرْشُ لا يقدر أَحَدٌ قدرَه[٢] .

فلا يكون أحدُ الخبرين مخالفًا للخبرِ الآخر ، وهذا مذهبُنا في جميعِ العلوم ؛ أن كل خبرين يجوز أن يُؤلّف بينهما في المعنىٰ ، لم يجزْ أن يُقال : هما متضادان مُتهاتران ، علىٰ ما قد بيّناه في كُتبنا[٣] .

١٩٠ ـ عن أبي هريرة ، عن النبيِّ ﷺ قال : «قال الله : سبقتْ رحمتي غضَبي» . وقال : «يمينُ الله ملأىٰ سحّاءَ ، لا يغيضُها شيءٌ ، بالليلِ والنَّهار»[٤] .

١٩١ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبيِّ ﷺ قال : «احتجّ آدمُ وموسىٰ ، فقال موسىٰ : يا آدم! أنتَ الذي خلقكَ اللهُ بيدِه ، ونفخَ فيك من رُوحه ، أغويتَ الناسَ ، وأخرجتَهم من الجنَّة؟ فقال آدمُ : وأنتَ موسىٰ ؛ الذي اصطفاكَ اللهُ بكلامِه تلومُني علىٰ عملٍ أعمله كَتَبَه الله عليّ قبلَ أنْ يخلقَ السَّمَاواتِ والأَرْضَ؟ قال : فحجّ آدمُ مُوسىٰ»[٥] .

---

(١) صحيح . وروواه الترمذي(٢٥٣١)، وأحمد (٥/٣١٦و٣٢١).

(٢) حسن . رواه ابن منده في «الرد علىٰ الجهمية» (١٥).

(٣) في الأصل : «علىٰ ما قدمنا في كتبنا»، والمثبت من«ظ».

(٤) صحيح. رواه البخاري(٧٤١١)، ومسلم(٢٧٥١).

(٥) صحيح . رواه أحمد (٢/٣٩٨) ، و الترمذي(٢١٣٤) وقال : «حسن صحيح».

٣٠ ـ باب ذكر البيان أنَّ الله عزّ وجل في السَّماءِ

كما خبّرنا في مُحكم تنزيله ، وعلىٰ لسان نبيّه عليه السلام ، وكما هو مفهومٌ في فطرة المسلمين[١] علمائِهم وجهّالِهم ، أحرارِهم ومماليكهم ذكرانِهم وإناثِهم ، بالغِيهم وأطفالِهم ؛ كل من دعا الله جلّ وعلا فإنما يرفع رأْسَهُ إلىٰ السَّمَاءِ ، ويمد يديه إلىٰ اللهِ ؛ إلىٰ أعلىٰ لا إلىٰ أسفل .

قال أبو بكر : قد ذكرنا استواء ربنا علىٰ العرش في الباب قبلُ .

فاسمعوا الآن ما أتلو عليكم من كتابِ ربنا ؛ الذي هو مسطورٌ بين الدفتين مقروءٌ في المحاريب والكتاتيب ، مما هو مُصرّح في التنزيل : أن الرب جلّ وعلا في السماءِ ، لا كما قالتِ الجهميةُ المعطِّلة : أنه في أسفل الأرضين ـ كهو في السماء[٢] ـ عليهم لعائنُ الله المتتابعة .

قال الله تعالىٰ : ﴿أَأَمِنْتُم مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ﴾[الملك : ١٦] . وقال ـ عزّ وجلّ ـ : ﴿أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ [الملك : ١٧] .

أفليس قد أعلمنا ـ يا ذوي الحجا ـ خالقُ السماوات والأرضِ وما بينهما في هاتين الآيتين : أنه في السَّماء؟!

---

(١) بل هي فطرة في جميع الكائنات ـ وليس الإنسان فقط ، بله المسلم ـ ففي الحديث ، قال ﷺ : «خرج سليمان ـ عليه السلام ـ يستسقي ، فرأىٰ نملة مستلقية علىٰ ظهرها ، رافعة قوائمها إلىٰ السماء ، تقول : اللهم إنا خلق من خلقك ، ليس بنا غنىً عن سقياك ، فقال : ارجعوا ، فقد سقيتم بدعوة غيركم» . قال الحافظ ابن حجر : «رواه أحمد ، وصححه الحاكم» .

قلت : وهو حديث حسن ، انظر «البلوغ» (٥٢٢ بتحقيقي) .

(٢) كذا بالأصل ، وهو قول الجهمية ؛ الذين يقولون : بأن الله في السماء كما أنه في الأرض .

وجاء في «ظ» : «فهو في السماء» ، وعلىٰ هذا تكون هذه الجملة اعتراضية من كلام ابن خزيمة رحمه الله ، لا من كلام الجهمية .

وقال ـ عزّ وجلّ ـ : ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر : ١٠] .

أفليس العلم محيطًا ـ يا ذوي الحجا والألبابِ ـ أن الربَّ جلّ وعلا فوق مَن يتكلّم بالكلمةِ الطيّبةِ ، فتصعد إلىٰ الله كلمتُه ، لا كما زعمتِ الجهميةُ المعطلة : أَنَّه تهبط إلىٰ الله الكلمةُ الطيبة ، كما تصعدُ إليه .

ألم تسمعوا ـ يا طلاب العلم ـ : قول الله تبارك وتعالىٰ لعيسىٰ ابن مريم : ﴿يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران : ٥٥] .

أليس إنما يُرفع الشيءُ من أسفل إلىٰ أعلىٰ ، لا مِن أعلىٰ إلىٰ أسفل؟

وقال الله عزّ وجلّ : ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء : ١٥٨] .

ومُحال أن يهبطَ الإنسانُ من ظهرِ الأرض إلىٰ بطنِها ، أو إلىٰ موضعٍ أخفض منه وأسفل ، فيُقال : رفعه الله إليه ؛ لأن الرفعة في لغة العرب ؛ الذين بلغتهم خُوطبنا لا تكون إلا من أسفل إلىٰ أعلىٰ وفوق .

ألم تسمعوا قولَ خالِقنا جلّ وعلا يصفُ نفسَه : ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ [الأنعام : ١٨] .

أو ليس العلم محيطًا أن الله فوق جميع خَلْقِهِ[1] ؛ من الجن ، والإنس والملائكة ؛ الذين هم سكان السماوات جميعًا .

أو لم تسمعوا قولَ الخالق الباري : ﴿وَلِلهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلائِكَةُ وَهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [النحل : ٤٩ ـ ٥٠] .

فأعلَمنا الجليلُ عز وجل في هذه الآية أيضًا : أن ربنا فوقَ ملائكته ، وفوق ما في السماوات ، و[ما في] الأرض من دابةٍ ؛ وأعلَمنا أن ملائكته

(١) كذا الأصل ، وفي «ظ» : «عباده» .

يخافون ربَّهم؛ الذي فوقهم.

والمعطلة تزعمُ أن معبودهم تحت الملائكة، [كما هو فوقَهم][1]!

ألم تسمعوا قولَ خالِقنا: ﴿يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ [السجدة: ٥].

أليس مفهومًا[2] في اللغة السائرة بين العرب التي خوطبنا[بها] وبلسانهم نزل الكتاب أن تدبير الأمر من السماء إلى الأرض، إنما يُدبّره المدبِّر وهو في السماء لا في الأرض؟ وكذلك مفهومٌ عندهم: أن المعارج: المصاعد.

قال الله تعالى: ﴿تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤].

وإنما يعرجُ الشيءُ من أسفل إلى أعلى وفوق، لا من أعلى إلى دُون وأسفل، فتفهّموا لغةَ العرب، لا تُغالطوا.

وقال جلّ وعلا: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١].

والأعلى مفهومٌ في اللغةِ: أنه أعلى كلّ شيءٍ، وفوق كل شيء، والله قد وصف نفسَه في غير موضعٍ من تنزيله ووحيه ـ وأعلَمنا ـ أنه العليّ العظيم.

أفليس العليّ ـ يا ذوي الحِجا ـ ما يكون عاليًا، لا كما تزعمُ الجهمية المعطلة أنه أعلى وأسفل ووسط! ومع كلِّ شيءٍ، وفي كلّ موضعٍ من أرضٍ وسماءٍ، وفي أجوافِ جميع الحيوان!

ولو تدبروا آيةً من كتابِ الله ووفقهم الله لِفَهْمِهَا؛ لعقِلوا أنهم جُهَّال، لا يفهمون ما يقولون، وبانَ لهم جهلُ أنفسِهم، وخطأُ مقالتهم.

وقال الله تعالى ـ لَمَّا سأله كليمُه موسى عليه السلام، أن يريه ينظر إليه ـ

(١) زيادة من «ظ».

(٢) وفي «ظ»: «معلومًا».

قال: ﴿لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ...﴾ إلى قوله: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾ [الأعراف: ١٤٣].

أفليس العلم محيطًا - يا ذوي الألباب[١] - أن الله عزّ وجلّ لو كان في كلِّ موضعٍ، ومع كلِّ بشرٍ وخلقٍ - كما زعمتِ المعطلةُ - لكان مُتجليًا لكلِّ شيءٍ.

وكذاك جميع ما في الأرضِ، لو كان مُتجليًا لجميع أرضِه؛ سهلها [ووعرِها][٢] وجبلها، براريها ومفاوزها، ومُدنها وقُراها، وعمرانها وخرابها وجميع ما فيها من نباتٍ وبناء [لجعلها دكًّا][٣] كما جعل الله الجبلَ الذي تجلّى له دكًّا، قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾.

١٩٤ - عن ثابتٍ، عن أنس بنِ مالك، عن النبيِّ ﷺ في قوله: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾ قال: بإصْبعِهِ هكذا - وأشار بالخِنصر[٤] من الظُّفر يُمسكه بالإبهامِ (ووضعَ إبهامَه اليُسرىٰ علىٰ طرفِ خِنْصره الأيسر علىٰ العقد الأوّل) [فساخ الجبل، فتقطع] - قال: فقال حميدٌ لثابتٍ: يا أبا محمد! دع هذا ما تريد إلىٰ هذا؟! قال: فضرب ثابتٌ منكبَ حُميدٍ (صدرَه) [ضربةً شديدةً]، وقال: ومن أنتَ يا حُميد؟ [وما أنت يا حميد؟][٥] يحدثني به أنس بنُ مالكٍ، عن رسولِ الله ﷺ، وتقولُ أنت: دع هذا[٦]؟!.

فاسمعوا - يا ذوي الحجا - دليلاً آخرَ من كتابِ الله: أنَّ اللهَ جلّ وعلا في

---

(١) وفي «ظ»: «يا ذوي الحجا».

(٢) زيادة من «ظ».

(٣) زيادة من «ظ».

(٤) الخِنصر: هو الإصبع الصغرىٰ، والجمع خناصر.

(٥) زيادة من «ظ».

(٦) صحيح. ورواه الترمذي (٣٠٧٤) - وحسنه -، وأحمد (٣/ ١٢٥).

السَّمَاءِ، مع الدليلِ على أن فرعونَ مع كُفره وطُغيانه، قد أعلَمه موسى عليه السلام بذلك .

وكأنه قد عَلِمَ أن خالقَ البشرِ في السماء؛ ألا تسمع قول الله يحكي عن فرعون قوله : ﴿يَا هامَانُ ابنِ لي صَرْحًا لعلّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ أسبابَ السماواتِ فأطَّلعَ إلى إلَهِ مُوسى﴾ [غافر : ٣٦ ـ ٣٧] .

ففرعون ـ عليه لعنةُ الله ـ أمر ببناء صرحٍ يحسب أنه يطَّلع إلى إله موسى .

وفي قوله : ﴿وإنِّي لأَظُنُّهُ مِنَ الكَاذِبين﴾ [القصص : ٣٨]، دلالة على أن موسى قد كان أعلَمه أن ربَّه جلّ وعلا أعلى وفوق .

وأحسبُ أن فرعونَ إنما قال لقومه : ﴿وَإِنِّي لأَظُنُّه مِنَ الكَاذِبِين﴾ ، استدراجًا منه لهم، كما خبّرنا جلّ وعلا في قوله : ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل : ١٤] .

فأخبر الله تعالى أن هذه الفِرْقة جحدتْ ـ يُريد : بألسنتهم ـ لما استيقنتها قلوبُهم ، فشبه أن يكون فرعون إنما قال لقومه : ﴿وَإِنِّي لأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِين﴾ وقلبُه مستيقنٌ أن كَلِيم الله من الصَّادقين، لا من الكاذبين .

والله أعلمُ أكانَ فرعونُ مستيقنًا بقلبِه على ما أوَّلتُ، أم مكذبًا بقلبه ظانًا أنه غير صادق .

وخليلُ الله إبراهيم ـ عليه السلام ـ عالمٌ في ابتداءِ النَّظر إلى الكوكبِ والقمر والشمس، أن خالقَه عالٍ فوقَ خلقه، حين نظر إلى الكوكب والقمر والشمس، ألا تسمع قولَه : ﴿هَذَا رَبِّي﴾ [الأنعام : ٧٦] .

ولم يطلبْ معرفة خالِقه من أسفل، إنما طلبه من أعْلى، مستيقنًا عند نفسه أن ربّه في السماء، لا في الأرضِ .

٣١ ـ باب ذكر سنن النبي ﷺ المبينة[١]

أنَّ الله جلّ وعلا فوق كل شيء وأنه في السماء

كما أعلَمنا في وحيه علىٰ لسانِ نبيه، إذ لا تكون سُنته ـ أبدًا ـ المنقولة عنه بنقلِ العدلِ عن العدل موصولاً إليه إلا موافقةً لكتابِ الله لا مخالِفةً له.

٢٠١ ـ عن أبي هريرة قال: أتتْ فاطمةُ رسُولَ اللهِ ﷺ، فسألَته خادمًا؟ فقال لها: قولي: «اللهمَّ ربَّ السماواتِ السَّبْعِ، وربَّ العرشِ العظيم ربّنا وربَّ كلّ شيء، مُنزّل التوراة والإنجيل».

وقال مرةً: «والقرآن العظيم، فالق الحبِّ والنّوىٰ، أعوذُ بكَ من كلِّ ذي شرٍّ أنتَ آخذٌ بناصيتِه، أنتَ الأوّلُ فليسَ قبلَكَ شيءٌ، وأنتَ الآخرُ فليسَ بعدَكَ شيءٌ، وأَنْتَ الظَّاهِرُ فليسَ فَوْقَكَ شيءٌ، وأَنْتَ الباطنُ فليس دُونَكَ شيءٌ، اقضِ عنَّا الدَّيْنَ، وأغْنِنَا مِنَ الفقْرِ»[٢].

٢٠٣ ـ عن أبي هُريرة قال: كان رسولُ الله ﷺ يأمُرنا إذا أخذ أحدُنا مضجعه أن يقول: «اللهمَّ ربَّ السَّماواتِ، ورَبَّ الأَرْضِ، ربَّنا وَرَبَّ كُلِّ شيءٍ فَالِقَ الحبِّ والنَّوَىٰ، ومُنْزِلَ التَّوراةِ والإنجيلِ والقرآنِ، أعوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ ذي شرٍّ أنتَ آخِذٌ بناصِيَتِهِ، أَنْتَ الأَوْلُ فليسَ قبلَكَ شيءٌ، وأَنْتَ الآخرُ فليسَ بَعْدَكَ

---

(١) في المطبوع: «المثبتة».

(٢) صحيح. ورواه مسلم(٢٧١٣)، والترمذي(٣٤٨١).

وقال الترمذي: «حسن صحيح».

«والشاهد في الحديث قوله:

«وأنت الظاهر، فليس فوقك شيء»، يعني: أنت العالي علىٰ جميع خلقِكَ، فإن الظهور معناه العلو، كقولِه تَعالىٰ: ﴿ومعارج عليها يظهرون﴾، وإذا كان هو العالي فلا يكون فوقه شيء»، قاله الشيخ هراس رحمه الله.

شيءٌ، و[أنتَ] الظَّاهِرُ فليسَ فوقَكَ شَيءٌ، و[أنتَ] الباطِنُ فليسَ دُونك شيءٌ اقضِ عنِّي الدَّينَ، وأَغْنِني مِنَ الْفَقْرِ»[١].

٢٠٤ ـ عن أبي هُريرة رضي الله عنه قال: كانَ رسولُ الله ﷺ إذا أوىٰ إلىٰ فِراشه قال: «اللهمَّ ربَّ السَّماوات، وربَّ الأَرْضِ، وربَّ كُلِّ شيءٍ، فَالِقَ الحبِّ والنَّوَىٰ، مُنْزِلَ التَّوراةِ والإنجيلِ، أَعِذْني مِنْ شَرِّ كُلِّ ذي شَرٍّ أَنْتَ آخِذٌ بناصيتِهِ، أنتَ الأوَّلُ فليسَ قبْلَكَ[٢] شيءٌ، وأَنْتَ البَاطِنُ فليسَ دُونَكَ شيءٌ وأَنْتَ الظَّاهِرُ فليسَ فَوْقَكَ شيءٌ، اقضِ عَنِّي الدَّيْنَ، وأغْنِني من الفقْرِ»[٣].

٢٠٧ ـ عن أبي هُريرة رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ لله ـ عزّ وجلّ ـ ملائِكَةً يتعاقبُون فِيكم، فإذَا كَانَتْ صَلاةُ الفجرِ نزلَتْ مَلائِكَةُ النَّهار، فَشَهِدُوا معكم الصَّلاةَ جَمِيعًا، ثمَّ صعدَتْ ملائِكَةُ الليلِ، ومكَثَتْ مَعكُم ملائِكَةُ النهارِ، فسأَلهُم ربُّهم ـ وهو أعلَمُ بِهِم ـ ما تركتُم عبادي يَصْنَعُونَ؟».

قَالَ: «فيَقُولون: جئناهُم وَهُمْ يُصَلُّون، وتركنَاهُم وهُمْ يُصلُّون، فإذا كانَت صلاةُ العصرِ نزلَتْ ملائكةُ الليلِ، فشهِدُوا مَعَكُمُ الصَّلاة جميعًا، ثم صعَدَت ملائكةُ النَّهَارِ، ومَكَثَتْ مَلائِكَةُ الليلِ»

قال: «فيسألهم ربُّهم ـ وهُو أعلمُ بهم ـ فيقول: ما تركتم عبادي يصنَعُون»

(١) صحيح. ورواه مسلم (٦٢و٢٧١٣)

ورواه النسائي في «الكبرىٰ» (٧٩٠ عمل اليوم)، وابن ماجه (٣٨٧٣)، وأبو داود (٥٠٥١)، والترمذي (٣٤٠٠)، وأحمد (٢/٥٣٦).

وقال الترمذي: «حديث حسن صحيح».

(٢) في الأصل: «يفوتك»، والمثبت من «ظ».

(٣) صحيح. رواه أبو داود (٥٠٥١) إلا أنه في هذه الرواية كان رسول الله ﷺ إذا أوىٰ إلىٰ فراشه قال: الحديث. وفي الرواية السابقة: كان رسول الله ﷺ يأمرنا إذا أخذ أحدنا مضجعه، أن يقول: . . الحديث.

ورواه البخاري في «الأدب المفرد» (١٢١٢ بتحقيقي)، والنسائي في «الكبرىٰ» (٧٦٦٨)

قال: «فيقولون: جِئْنَاهُم وهُم يُصَلُّون، وتركنَاهُم وهُم يُصَلُّون، فاغفِرْ لهم يومَ الدينِ»[1].

٢٠٩ ـ وفي خبر أبي سعيدٍ، عن النبي ﷺ في قسمة الذَّهب التي بعثَ بها عليٌّ بن أبي طالب من اليمن، قال النبيُّ ﷺ: «أنا أمينُ مَنْ في السَّمَاءِ»[2].

قال أبو بكر: قد أمليتُ أخبارَ المعراج في غير هذا الكتاب؛ أن النبيَّ ﷺ أُتي بالبُراق، قال: «فحُملتُ عليه، ثم انطلقتُ حتىٰ أتينا السَّماءَ الدنيا...». الحديث بطوله[3].

وفي الأخبارِ دلالةٌ واضحةٌ أن النبيَّ ﷺ عُرج به من الدُّنيا إلىٰ السماء السابعة، وأن الله تعالىٰ فرضَ عليه الصلوات [الخمس][4] علىٰ ما جاء في الأخبارِ.

فتلك الأخبارُ كلّها دالّةٌ علىٰ أن الخالقَ الباري فوق سبع سماوات[5]، لا علىٰ ما زعمتِ المعطلةُ: أن معبودهم هو معهم في منازلهم وكُنُفِهم علىٰ ما هو علىٰ عرشه قد استوىٰ[6].

٢١٠ ـ وفي خبر زَاذَان. عن البراء ـ في قصة قبض روح المؤمن وروح الكافر ـ قال: في قصّة قبضِ روحِ المؤمن ـ:

«فيقول: أيّتها النفسُ الطيبة المطمئنة! اخرُجي إلىٰ مَغْفِرَةٍ منَ اللهِ ورضوانٍ

---

(١) صحيح. ورواه البخاري(٥٥٥و٧٤٢٩و٧٤٨٦و٣٢٢٣)، ومسلم(٦٣٢).

(٢)صحيح. ورواه البخاري (٣٣٤٤و٤٧٦٧و٧٤٣٢)، ومسلم(١٠٦٤).

(٣) رواه البخاري ومسلم، وغيرهما.

(٤)زيادة من «ظ».

(٥)وهو معتقد أهل السنة.

(٦)كذا سياق العبارة، وفيه ما فيه، وإن كان مراد المصنف معلوماً.

قال: فتخرُجُ، تسيلُ كما تسيلُ القطرةُ مِنَ السِّقَاءِ، لا يتركُونَها في يده طرفةَ عينٍ، فيصعدُونَ بها إلىٰ السَّمَاءِ، فلا يمرُّون بها علىٰ جُندٍ مِنَ الملائِكَةِ، إلا قالوا: مَا هَذِهِ الرُّوحُ الطيِّبَةُ؟ فيقولون: فلانٌ ـ بأحسنِ أسمائه ـ فإذا انتهىٰ به إلىٰ السَّمَاءِ فُتِحَتْ لهُ أبوابُ السَّماءِ، ثم يُشيّعه مِن كُلِّ سماءٍ مقرَّبُوها إلىٰ السَّماءِ التي تليها، حتىٰ يُنتهىٰ بها إلىٰ السَّمَاءِ السَّابعَة، ثُمَّ يُقال: اكتُبوا كتابَهُ في عِلِّيِّين...». فذكر الحديث بطوله[1].

٢١٤ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ أن النبيّ ﷺ قال:

«إن الميتَ تحضُرُه الملائكةُ، فإذا كانَ الرجلُ صالحًا، قيل: اخرُجي أيَّتها النفسُ الطيبةُ كانت في جسدٍ طيِّبٍ، اخرجي حميدةً، وأبشِري برَوحٍ ورَيحانٍ وربٍّ غير غضبانَ، قال: فيقولُون ذلك حتىٰ تخرج، فإذا خَرَجَتْ عَرجَتْ إلىٰ السَّماءِ، فيُستفتحُ لها، فيقال: مَن هذا؟ فيقال: فلانٌ، فيُقال: مرحبًا بالنفسِ الطيِّبةِ كانت في الجسدِ الطيِّبِ، ادخُلي حميدةً، وأبشري بروحٍ وريحانٍ وربٍّ غير غضبانَ، فيُقال لها كذلك حتىٰ تنتهي إلىٰ السماءِ التي فيها الربّ تباركَ وتعالىٰ...». ثم ذكر الحديث بطوله[2].

---

(١) صحيح. رواه أحمد(٤/ ٢٨٧).

وانظر كتابي«كيف تنجو من عذاب القبر؟».

(٢) صحيح. ورواه النسائي (٤٦٢تفسير)، و ابن ماجه(٤٢٦٢)، وأحمد (٢/ ٣٦٤ـ ٣٦٥).



٣٢ ـ باب ذكر الدَّليل على أنَّ الإقرار بأنَّ الله جل وعلا[١] في السَّمَاءِ من الإيمان

٢١٦ ـ عن معاوية بن الحكم السُّلَمِيِّ قال: وكانت غُنيمةٌ لي ترعاها جاريةٌ لي قِبَل أحُدٍ الجوانية فوجدتُ الذئبَ قد أصاب[٢] منها شاةً، وأنا رجل من بني آدم؛ آسفُ كما يأسفون، فصككتُها صكةً (فلطمتُ وجْهَها)، ثم انصرفتُ إلى رسول الله ﷺ فعظَّم ذلك عليَّ، فقلتُ: يا رسول الله! أفلا أعتِقُها؟ قال: «بل[٣]، ائتني بها»، فجئتُ بها إلى رسولِ الله ﷺ.

فقال لها: «أين الله؟».

قالت: في السماءِ.

قال: «فمنْ أنا؟».

قالت: أنتَ رسولُ الله.

قال: «إنّها مؤمنةٌ، فأَعْتِقها»[٤].

٢١٩ ـ عن أبي هُريرة رضي الله عنه؛ أن محمد بن الشريد جاء بخادمٍ سوداءَ عتماءَ إلى رسولِ الله ﷺ، فقال: يا رسولَ الله! إنَّ أمِّي جَعَلَتْ عليها عتقَ رقبةٍ مؤمنةٍ، فقال: يا رسول الله! هل تجزي أن أعتق هذهِ؟

فقال رسول الله ﷺ للخادم: «أين ربُّكِ؟!».

فرفعتْ برأسِها، فقالت: في السماءِ.

---

(١) في «ظ»: «عز وجل».

(٢) وفي «ظ»: «أخذ».

(٣) وفي «ظ»: «بلى».

(٤) صحيح. ورواه مسلم (٥٣٧)، والنسائي (٣/ ١٤ ـ ١٨)، وابن خزيمة في «صحيحه» (٨٥٩).

فقال: «مَنْ أنا؟».

قالت: أنتَ رسولُ الله.

فقال: «اعتِقْها؛ فإنَّها مؤمنةٌ»[1][2].

٢٢٣ ـ عن رجلٍ من الأنصارِ؛ أنه جاءَ بأمةٍ[3] سوداءَ، فقالَ: يا رسولَ اللهِ! إنَّ عليّ رقبةً مؤمنةً، فإنْ كُنْتَ تَرىٰ هذهِ مؤمنةً أعتقتُها.

فقال: «أتشهدين أن لا إله إلا اللهُ؟».

قالتْ: نَعَم.

قال: «أتشهدين أنِّي رسولُ الله؟».

قالتْ: نَعَمْ.

قال: «أتؤمنين بالبعثِ بعدَ الموتِ؟».

قالت: نَعَمْ.

قال: «اعتقها»[4].

---

(١) حسن. ورواه البيهقي (٧/ ٣٨٨) ولفظه: جاءت امرأة إلىٰ رسول الله ﷺ بأمة سوداء... الحديث، وفيه زيادة في آخره.

(٢) فلا يخفىٰ عليك أن هذه الحادثة تكررت مرات، فمرة حديث معاوية بن الحكم السابق، وأخرىٰ في حديث أبي هريرة هذا، وثالثة من حديث رجل من الأنصار التالي، وفي كلها تصريح الجارية بالكلام في إجابتها.

وبهذا يتبين لك أن ما يلهج به المعطلون أعداء السنة من اضطراب هذا الحديث، ولأن الجارية كانت خرساء دعاوىٰ غير قائمة علىٰ أساس من العلم، فهي ذاهبة مع الريح، قال تعالىٰ: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ﴾ [التوبة: ١٠٩].

(٣) في «ظ»: «بامرأةٍ».

(٤) صحيح. رواه عبد الرزاق في «المصنف» (١٦٨١٤)، وعنه أحمد في «المسند» (٣/ ٤٥١ ـ ٤٥٢).

٣٣ ـ باب ذكر أخبار ثابتة السند، صحيحة القوَام رواها علماء العراق والحجاز[١] عن النبي المصطفى ﷺ في نزول الرب جلّ وعلا إلى سماء الدنيا كل ليلة

نشهدُ شهادةَ مقرٍّ بلسانه، مصدّقٍ بقلبه، مُستيقنٍ بما في هذه الأخبار من ذِكر نُزول الربِّ من غيرِ أن نصفَ الكيفية؛ لأن نبينا المصطفى لم يصفْ لنا كيفيةَ نزُول خالقنا إلى سماء الدنيا، وأعلَمنا أنه ينزل.

والله جلّ وعلا ولّى نبيّه ـ عليه السلام ـ بيانَ ما بالمسلمين إليه الحاجة من أمر دِينهم.

فنحنُ قائلون مصدّقون بما في هذه الأخبارِ؛ من ذكر النُّزول، غير متكلّفين القولَ بصفةِ الكيفية؛ إذ النبيّ ﷺ لم يصف لنا كيفية النزول.

وفي هذه الأخبار ما بانَ وثبتَ وصحَّ أن الله جلّ وعلا فوق سماء الدُّنيا الذي خبَّرنا نبيُّنا ﷺ أنه ينزل إليه.

إذ محالٌ في لغة العرب أن تقول: نزلَ من أسفل إلى أعلى، ومفهومٌ في الخطابِ أن النزول من أعلى إلى أسفل.

٢٢٦ ـ عن الأغرِّ؛ أبي مسلم قال: أشهدُ على أبي هريرة وأبي سعيدٍ الخدريّ؛ أنهما شَهِدَا على رسول الله ﷺ؛ أنه قال: «إن الله يُمهلُ حتَّى يذهبَ ثلثُ الليلِ، فينزلُ [إلى سَماءِ الدُّنيا] فيقولُ: هَلْ مِنْ سائِلٍ؟ [هل مِن دَاعٍ] هل مِنْ تائبٍ؟ هَلْ مِنْ مُستغفرٍ مِنْ ذَنْبٍ؟ حتَّى يطلع الفجرُ»[٢].

---

(١) في «ظ»: «رواها أهل الحجاز والعراق».

(٢) صحيح.

رواه المصنف في «صحيحه» (١١٤٦)، ورواه مسلم (٧٥٨)، وأحمد (٣/ ٤٣).

٢٢٩ ــ عن أبي هريرة قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ اللهَ يُمهلُ حتّىٰ يذْهَبَ شَطْرُ الليلِ الأوّلُ، ثمّ يَنْزِلُ إلىٰ السَّماءِ الدُّنيا، فيقولُ: هَلْ منْ مستغفرٍ فأغفرَ لَهُ؟ هلْ مِنْ سَائِلٍ فأُعطِيَهُ؟ هَلْ مِنْ تائِبٍ فأَتُوبَ عليه؟ حتىٰ ينشقَّ الفجرُ»[١].

٢٣٠ ــ عن جابر أنه قال: ذاكَ في كلِّ ليلةٍ[٢].

٢٣٢ ــ عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال: «ينزلُ اللهُ تبارَكَ وتَعالىٰ كل ليلةٍ إلىٰ سَمَاءِ الدُّنيا، حينَ[٣] يبقَىٰ ثلثُ الليلِ الآخرُ[٤]، فيقولُ: مَنْ يدعُوني فأَستجِيبَ لَهُ؟ ومن يسأَلُني فأُعْطِيَه؟ ومَنْ يَسْتَغْفِرُني فأغفِر له»[٥].

٢٦٠ ــ عن عطاء بن يسار قال: حدثني رفاعة بن عَرَابة الجهنيّ قال: صَدَرْنا مع رسولِ الله ﷺ من مكّة، فجعلُوا يستأذنونَ النبيَّ ﷺ، فجعلَ يأذن لهم، فقال النبيُّ ﷺ: «ما بالُ شقّ الشجرةِ الذي يلي رسولَ الله ﷺ أبغضَ إليكم من الشّقِّ الآخرِ؟»، فلا يُرىٰ من القوم إلا باكيًا.

(١) حسن. ورواه النسائي في «عمل اليوم والليلة» (٤٨٢).

(٢) حسن.

(٣) تحرف في الأصل إلىٰ: «حتىٰ»، والمثبت من «ظ».

(٤) قال الترمذي (٢/ ٣٠٩): «روي عنه ﷺ أنه قال: ينزل الله عز وجل حين يبقىٰ ثلث الليل الآخر. وهو أصح الروايات». وانظر «شرح حديث النزول» لشيخ الإسلام ابن تيمية.

(٥) صحيح. رواه البخاري (١١٤٥ و٦٣٢١ و٧٤٩٤)، وفي «الأدب المفرد» (٧٥٣) بتحقيقي، ومسلم (٧٥٨).

وقال ابن عبد البر في «التمهيد» (٧/ ١٢٨): «فيه دليل علىٰ أن الله عز وجل في السماء علىٰ العرش من فوق سبع سماوات كما قالت الجماعة، وهو من حجتهم علىٰ المعتزلة والجهمية في قولهم: إن الله عز وجل في كل مكان».

قال: يقول أبو بكر [الصديق][1]: إنّ الذي يستأذن بعد هذا ـ في نفسٍ ـ لسفيهٌ. («إن الذي يستأذنُك بعدها في نفسه لسفيهٌ»).

فقامَ النبيُّ ﷺ، فحمِدَ اللهَ وأثنىٰ عليه، وكان إذا حلف قال:

«والذي نفسي بيده، أشهدُ عند الله ما منكم أحدٌ يؤمنُ بالله واليومِ الآخرِ ثم يُسدّد إلا سُلِكَ به في الجنّةِ، ولقد وعدَني ربِّي عزّ وجلّ أن يُدخلَ من أمّتي سبعين ألفًا الجنةَ بغيرِ حسَابٍ ولا عذابٍ، وإني لأرجُو أن تدخلُوها حتىٰ تتبوؤا ـ ومَن صلُحَ من أزواجِكُم وذريّاتكم ـ مساكنكم[2] في الجنة، ثم إذا مضىٰ شطرُ الليل ـ أو قال: ثُلثاه ـ ينزل الله إلىٰ سماءِ الدنيا ثم يقول: لا أسألُ عن عبادي غيري، مَن ذا الذي يسألُني فأُعطيه؟ مَن ذا الذي يدعُوني فأجيبه؟ مَن ذا الذي يستغفِرُني فأغفرَ له؟ حتىٰ ينفجرَ الصبحُ»[3].

٢٦٢ ـ عن نافع بن جُبير بن مطعم، عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «يَنْزِلُ اللهُ ـ تباركَ وتَعَالىٰ ـ كُلَّ ليلةٍ إلىٰ السَّمَاءِ الدُّنيا، فيقُولُ: هَلْ مِنْ سَائِلٍ فأُعطِيه؟ هلْ مِنْ مُستَغفرٍ فأغفِرُ لَه؟». وقال بُندار في حديثه: «ينزل الله تعالىٰ وتبارك كل ليلةٍ إلىٰ سَماء الدُّنيا»[4].

---

(١) زيادة من «ظ».

(٢) وفي «ظ»: «مبوّءكم».

(٣) **صحيح**. رواه أحمد (٤/ ١٦).

(٤) **صحيح**. ورواه النسائي في «عمل اليوم والليلة» (٨٤٧)، والدارمي (١/ ٣٤٧)، وأحمد (٤/ ٨١).

٣٤ ـ باب ذكر تكليم[1] الله كَلِيمه موسى خصوصيةً خصَّه الله بها من بين الرسل بذكر آيٍ مُجملة غير مفسّرة فسرتها آياتٌ مفسرات

قال أبو بكر: نبدأُ بذكر تلاوة الآي المجملَة غير المفسرة، ثُم نُثنِّي ـ بعون الله وتوفيقه ـ بالآياتِ المفسرات.

قال الله جل وعلا: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللهُ . . .﴾ الآية [البقرة: ٢٥٣] فأجمل الله تعالىٰ ذكر مَن كلَّمه الله في هذه الآية فلم يذكره باسمٍ ولا نسبٍ، ولا صفةٍ، فيعرف المخاطبُ بهذه الآية التالي لها أو سامعها من غيره أيّ الرسل الذي كلَّمه الله مِن بين الرسل؟

وكذلك أجملَ الله أيضًا في هذه الآية الجهات التي كلَّم الله عليها من علم أنه كلَّمهم من الرسل، فبيّن في قوله: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ﴾ [الشورى: ٥١] الجهات التي كلّم الله عليها بعضَ البشر.

فأعلَم أنه كلَّم بعضَهم وحيًا، أو مِن وراء حجابٍ، أو يُرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء.

وبيّن في قوله: ﴿وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]، [أن موسىٰ ﷺ كلمه تكليمًا][2].

فبيّن لعباده المؤمنين في هذه الآية ما كان أجملَه في قوله: ﴿مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللهُ﴾، فسمّىٰ في هذه الآية كَلِيمه، وأعلم أنَّه موسىٰ؛ الذي خصَّه الله بكلامه.

وكذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾

---

(١) في الأصل: «كلام»، والمثبت من «ظ».

(٢) زيادة من «ظ».

[الأعراف: ١٤٣] مفسرٌ للآية الأولى: سمّى الله في هذه الآية كَليمه، وأعلَم أنه موسى الذي خصَّه الله بالتسميةِ من بين جميعِ الرُّسل صلوات الله عليهم وأعلم جلّ ثناؤه أن ربَّه الذي كلَّمه.

وأعلم الله - تعالى - في آيةٍ أخرى؛ أنه اصطفى موسى برسالته، وبكلامه، فقال عزّ وجلّ: ﴿يَا مُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاتِي وَبِكَلامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾[الأعراف: ١٤٤]. ففي هذه الآية زيادةُ بيانٍ وهي: إعلام الله في هذه الآية بعض ما به كلّم موسى.

ألا تسمع قوله: ﴿إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاتِي وبِكَلامِي...﴾ إلى قوله: ﴿مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾.

وبين في آيٍ أُخر بعضَ ما كلَّمَهُ الله عزّ وجلّ به، فقال في سورة طه: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ المُقَدَّسِ طُوًى وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ إِنَّنِي أَنَا اللهُ لا إِلَهَ إِلا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي...﴾ [طه: ١١-١٢] إلى آخر القصة.

وقال في - سورة النمل -: ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ...﴾ إلى قوله: ﴿فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا..﴾ إلى قوله: ﴿يَا مُوسَىٰ إِنَّهُ أَنَا اللهُ العَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [النمل: ٧-٨].

وقال في سورة القصص: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللهُ رَبُّ العَالَمِينَ﴾ إلى آخر القصة. فبين الله في الآي الثلاث بعضَ ما كلّم اللهُ به موسى مما لا يجوز أن يكون من ألفاظ ملكٍ مقرَّبٍ، ولا ملك غير مقرب.

غيرُ جائزٍ أن يُخاطب ملكٌ مقرَّب موسى فيقول: ﴿إِنِّي أَنَا اللهُ رَبُّ

﴿الْعَالَمِينَ﴾. أو يقول: ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾.

قال الله عزّوجلّ: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا﴾[الأعراف: ١٣٧].

فأعلم الله في هذه الآية أن له جلّ وعلا كلمة يتكلم بها.

فاسمعوا ـ الآن ـ سُنن النبيّ ﷺ الصَّريحة بنقلِ العدلِ عن العدل، موصولاً إليه، المبينة أن الله اصطفىٰ موسىٰ بكلامِه خُصوصيةً خصّه بها من بين سائر الرسل صلىٰ الله عليهم وسلم.

٢٧٣ ـ عن أبي هُريرة رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ... وذكر الحديث. وقال: «قال آدمُ: أنت مُوسىٰ اصطفاكَ اللهُ بكلامِهِ، وبرسالتِهِ، وكلَّمَكَ تَكْلِيمًا»[(١)].

٢٧٦ ـ عن أبي هُريرة. و حُذيفة قالا: قال رسولُ الله ﷺ: «يَجْمَعُ اللهُ النَّاسَ، فَيَقُوم الْمُؤمنونَ حين تزلفُ الجنةُ، فيأتونَ آدمَ، فيقولون: يا أبانا! استفتحْ لنا الجنَّة، فيقول: هل أخرجَكُم مِنَ الجنَّةِ إلا خطيئةُ أبيكم؟ فيقولُ: لستُ بصاحبِ ذلك، اعمدُوا إلىٰ ابني إبراهيمَ خليلِ ربِّه، فيقولُ إبراهيمُ: لستُ بصاحبِ ذلك؛ إنَّما كُنتُ خليلاً [من][(٢)] وراءَ وراءَ، اعمَدوا إلىٰ ابني مُوسىٰ؛ الذي كلّمه اللهُ تَكْليمًا، فيأتونَ مُوسىٰ...» فذكر الحديث بطوله[(٣)].

وأما الأخبار التي فيها في ذكر الشفاعة الأولىٰ: «فيأتون مُوسىٰ فيقولُون: أنتَ الذي كلَّمك الله تكليمًا»، فأخرجتُها في باب الشفاعات.

---

(١) صحيح.

(٢) زيادة من «ظ».

(٣) سيأتي بتمامه في أبواب الشفاعة.

٣٥ ـ باب ذكر البيان أن الله جل وعلا[١] كلّم موسى عليه السلام من وراء حجاب من غير أن يكون بين الله تبارك وتعالى وبين موسى عليه السلام رسول يبلغه كلام ربِّه، ومن غير أن يكون موسى عليه السلام يرى ربه عزّ وجلّ في وقت كلامه إيَّاه

٢٧٨ ـ عن عُمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ مُوسىٰ عليه الصَّلاة و السَّلامُ قالَ: يا ربِّ! أرنا آدمَ الذي أخرجَنَا ونَفْسَهُ مِنَ الجنَّةِ! فأراهُ اللهُ آدمَ عليه السلام. فقال: أنتَ أبُونا؟ قال له آدمُ: نعم. قال: الذي نَفَخَ اللهُ فيكَ مِنْ رُوحه، وعلّمَكَ الأسماءَ كلّها، وأمرَ الملائكةَ[٢]، فسجدُوا لكَ؟ قال: نَعَم. قال: فما حَمَلَكَ علىٰ أن أخرجتَنا [ونَفْسَكَ][٣] مِنَ الجنَّةِ؟ قال له آدمُ: وَمَنْ أنْتَ؟ قال: أنا مُوسىٰ. قال: نبيُّ بني إسرائيل؛ الذي كلمك الله من وراء حجاب، لم يجعلْ بينَك وبينَه رَسُولاً مِنْ خلقِهِ؟ [قال: نَعَم][٤]. قال: فَمَا وَجَدْتَ في كتابِ اللهِ أنّ ذلكَ كانَ في كتابِ اللهِ عزّ وجلّ قبل أنْ يخلقَ آدمَ؟ قال: نَعَم. قال: فما[٥] تلُومُني في شيءٍ سَبَقَ مِنَ اللهِ عزّ وجلّ فيه القضاءُ قبلي؟!».

قال رسول الله ﷺ ـ عند ذلك ـ: «فحجّ آدمُ مُوسىٰ فحجّ آدمُ مُوسىٰ» عليهما السلام[٦].

(١) وفي «ظ»: «سبحانه وتعالىٰ جل ذكره».

(٢) في «ظ»: «ملائكته».

(٣) زيادة من «ظ».

(٤) زيادة من «ظ».

(٥) وفي «ظ»: «فيم».

(٦) حسن صحيح. ورواه أبو داود (٤٧٠٢).

٣٧ ـ بابٌ من صفة تكلّم الله عزّ وجلّ الوحي

والبيان أنّ كلامَ ربِّنا عزّ وجلّ لا يُشبه كلام المخلوقين؛ لأن كلام الله كلامٌ متواصلٌ، لا سكْتَ بينه ولا سَمْتَ[١]، لا ككلامِ الآدميين؛ الذي يكون بين كلامهم سكتٌ وسمتٌ؛ لانقطاع النفسِ، أو التذاكر، أو العيِّ، منزّه [الله][٢] مقدّسٌ من ذلك أجمع، تبارك وتعالى.

٢٨٠ ـ عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا تكلّم الله بالوحي سَمعَ أهلُ السَّماءِ صلصلةً[٣]؛ كجرِّ السِّلسلةِ عَلى الصَّفا، قال: فيُصعْقُون، فلا يزالون كذلك، حتى يأتِيَهُم جبريلُ، فإذا أتَاهُم جبريلُ فُزِّعَ عن قُلوبِهم، فيقولون! يا جبريلُ! ماذا قالَ ربُّك؟ قال: يقولُ الحقَّ. قال: فينادون: الحقَّ الحقَّ»[٤].

٢٨٧ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ أن النبيَّ ﷺ قال: إذا قَضى الله في السَّماءِ أمراً، ضَرَبَتِ الملائكةُ بأَجنحَتِها؛ خُضعانًا لقولِه، كأنَّها سِلْسِلَةٌ على صَفْوانٍ، فإذا فُزِّعَ عن قُلُوبِهم، قالوا: ماذا قَال ربُّكم؟ قالوا للذي قال: الحقَّ، وهُوَ العليُّ الكبيرُ، فيسمعُها مسترِقُوا السَّمع ـ وهُم هكذا ـ واحدٌ فوقَ الآخر» (ومسترِقُوا السمعَ بعضُهم فوقَ بعضٍ) ـ وأشار سُفيان بأصابِعه ـ

(١) لو ترك إمام الأئمة رحمه الله قوله: «لأن كلام الله كلام متواصل لا سكت بينه ولا سمت» لكان أولى، ولو أسقطت هذه الجملة لاستقام الكلام ولتم مراده رحمه الله وهو إثبات الكلام لله عز وجل مع التنزيه ونفي التشبيه، وأما هذه الجملة ففيها خوض فيما لم نؤت علمه، والله أعلم.

(٢) زيادة من «ظ».

(٣) الصلصلة: صوت الحديد إذا حُرِّك.

(٤) صحيح. علقه البخاري (١٣/ ٤٥٢ ـ ٤٥٣)، ووصله أبو داود (٤٧٣٨).

«وربَّما أدركَ الشِّهابُ المستمعَ فيحرِقُه، [وربَّمَا] لم يُدْرِكْهُ، حتَّىٰ يرمي بها إلىٰ الذي أسفلَ منه، ويرميها الآخرُ علىٰ من هو أسفلَ منه، فيُلقيها علىٰ فمِ السَّاحرِ أو الكاهنِ، فيكذبُ عليها ما يريدُ (فيكذبُ معها مائةَ كذبةٍ)، فيحدّثُ بها النَّاسَ، فيقولونَ: قد أخبرنا بكذا وكذا، فوجدناه حقًّا! فيُصَدّقُ بالكلمةِ التي سُمِعَتْ مِنَ السَّماء».

(أليسَ قد قالَ يومَ كذا وكذا: [كذا وكذا][1]؟ فيُصدّق بتلكَ الكلمة)[2].

٢٩٠ ـ قال الحسن: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ﴾، قال: يجلَّىٰ عن قُلوبِهم[3].

---

(١) زيادة من«ظ».

(٢) صحيح. رواه البخاري(٤٧٠١ و ٤٨٠٠ و ٧٤٨١)، والترمذي (٣٢٢٣)، وابن ماجه (١٩٤)، وأبو داود (٣٩٨٩)، وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح».

(٣) صحيح.

٣٨ ـ صفة نزول الوحي على النبيّ ﷺ والبيان أنه [قد][1] كان يسمع بالوحي في بعضِ الأوقات صوتًا ؛ كصلصلةِ الجرس .

٢٩١ ـ عن عائشةَ رضي الله عنها ؛ أن الحارث بنَ هشام سألَ رسولَ اللهِ ﷺ : كيفَ يأتيكَ الوحيُ؟ فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ : «أحْيَانًا يأتيني في مثلِ صلصلةِ الجرسِ ، فهُو أشدُّه عليَّ ، فيفصمُ عنِّي ، وقد وَعيتُ ما قَالَ ، وأحيانًا يتمثَّلُ ليَ الملكُ رجُلاً ، فيكلِّمُني ، فأَعِي ما يَقُول»

قالت عائشةُ : ولقد رأيتُه ينزلُ عليه[2] في اليومِ الشديدِ البرْدِ فيفْصِمُ[3] عنه ، وإنَّ جبينَهُ ليتفصَّدُ عَرَقًا[4] .

---

(١) زيادة من «ظ» .

(٢) يعني : الوحي ، كما في مصادر التخريج .

(٣) قوله : «فيفصم : بفتح أوله ، وسكون الفاء ، وكسر المهملة ، أي : يقلع ويتجلى ما يغشاني ، ويروى بضم أوله من الرباعي ، وفي رواية لأبي ذر بضم أوله وفتح الصاد على البناء للمجهول ، وأصل الفصم : القطع ، ومنه قوله تعالى : ﴿لا انْفِصَامَ لَهَا﴾ . قاله الحافظ في «الفتح» (١/ ٢٠) .

(٤) صحيح . رواه البخاري(٢) ، (٣٢١٥) ، ومسلم(٢٣٣٣) ،
وقوله : «ليتفصد» : بالفاء وتشديد المهملة ، مأخوذ من الفصد ، وهو : قطع العرق لإسالة الدم ، شبه جبينه بالعرق المفصود مبالغة في كثرة العرق . قاله ابن حجر في «الفتح» .

٣٩ ـ باب البيان أن الله جلّ وعلا يكلّم عبادَه يوم القيامة من غيرِ تَرْجُمَان يكون بين الله عزّ وجلّ وبين عبادهِ بذكر لفظٍ عام مرادُه خاصّ

٢٩٧ ـ عن عدي بن حاتم قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْكُم من أحدٍ إلا سيكلِّمه ربُّه، ليسَ بينهُ وبينه[حَاجِبٌ ولا] تَرْجُمان، ثُمَّ ينظرُ من أيمنَ منهُ، فلا يرىٰ إلا ما قدَّم مِنْ عملِه، ثمَّ ينظرُ أشأَمَ مِنْهُ، فلا يَرىٰ إلا ما قدَّم، ثمَّ ينظرُ بينَ يديهِ، فلا يَرىٰ إلا النَّارَ تِلْقَاءَ وجْهِهِ؛ فاتقوا (فمنِ استطاعَ منكم أن يتقي) النَّارَ ولَوْ بِشِقِّ تَمْرةٍ [فليفعل]»[1].

---

(١) صحيح. ورواه البخاري(٧٤٤٣) و(٦٥٣٩)، و(٦٥٤٠)، ومسلم(١٠١٦).

٤٠ ـ باب ذكر بعض ما يكلِّم به الخالقُ جلّ وعلا عبادَه

مما ذَكر النبيُّ ﷺ أنَّ الله يكلّمهم به، من غيرِ ترجمان يكون بين العزيز العليم وبين عبادِه.

والبيان أن الله عزّ وجلّ يُكلّم الكافرَ والمنافق أيضًا تقريرًا وتوبيخًا.

٣٠٢ ـ عن عديّ بنِ حاتم قال: كنتُ جالسًا عندَ رسولِ الله ﷺ، إذ جاءَه رجلٌ فشكا إليه الحاجةَ، وجَاء(١) آخر فشَكَا قطعَ السَّبيلِ!

فقالَ لي رسولُ الله ﷺ: «هل رأيتَ الحِيرَةَ؟».

[قال: لا](٢)، وقد أُنْبِئْتُ عنها(٣).

فقال: «لئن طالَتْ بك حياةٌ ليفتحنَّ علينا كنوزَ كِسرَىٰ».

قلتُ: يا رسول الله! كسرىٰ بن هُرمز؟!

قال: «كِسرىٰ بن هُرمز، ولئِن طالتْ بك حياةٌ لَتَر أنَّ(٤) الرَّجل يجيءُ بملءِ كفِّه ذهبًا ـ أو فِضةً ـ يلتمسُ من يقبَلُه، فلا يجدُ أحدًا يقبَلُه، ولَيَلْقيَنّ اللهَ أَحَدُكُم يومَ القيامة، وليسَ بينهُ وبينهُ تَرْجُمَانٌ يُتَرْجِمُ له، فيقولُ: أَلَمْ أُرْسِلْ إليكَ

---

(١) في الأصل: «وقال»، والتصحيح من «ظ».

(٢) زيادة من «ظ». وفي «صحيح البخاري»: «قلت: لم أرها».

(٣) زاد البخاري: «قال: فإن طالت بك حياة لترين الظعينة ترتحل من الحيرة حتىٰ تطوف بالكعبة لا تخاف أحدًا إلا الله. قلت ـ فيما بيني وبين نفسي: فأين دُعَّارُ طيءٍ الذين قد سَعَّروا البلاد». وهذه الزيادة هي جواب لشكوىٰ أحد الرجلين.

(٤) كذا في «الأصل»، وفي «ظ»: «لترىٰ أن»، وقال الشيخ هراس ـ رحمة الله عليه ـ: «لعلها: «لترين الرجل»، بنون التوكيد؛ لأن جواب القسم يجب توكيده، إذا كان فعلاً مثبتًا مستقبلاً باللام».

قلت: وهي في «الصحيح» كما قال الشيخ ـ رحمه الله ـ.

رسولاً، فَيُبَلِّغُكَ؟ فيقول: بلىٰ. فيقولُ: ألم أُعْطِكَ مالاً، فأفضلُ عليكَ؟ فيقول: بلىٰ. فينظرُ عن يمينه فلا يرىٰ إلا جهنَّم، وينظرُ عن يساره فلا يرىٰ إلا جهنَّم».

قال رسول الله ﷺ: «فاتَّقوا النَّار ولو بِشِقِّ تمرةٍ، فإنْ[1] لم تجدُوا فبكلمةٍ طيبةٍ».

قال عديٌّ: فلقد رأيتُ الظعينةَ يرتَحِلُون من الْحِيرة حتىٰ يطُوفوا بالكعبة آمِنينَ، لا يخافون إلا الله، ولقد كنتُ فيمَنْ افتتحَ كُنُوزَ كِسرىٰ، ولئن طالتْ بكُم حياةٌ لترونّ ما قال أبو القاسم ﷺ:

«يجيءُ الرجلُ بملءِ كفِّه ذهبًا أو فضةً، لا يجدُ مَنْ يقبلُه منه»[2].

---

(١) وفي «ظ»: «وإن».

(٢) حسن صحيح. ورواه البخاري(٣٥٩٥).



٤١ ـ باب ذكر البيان الشافي لصحة ما ترجمت الباب[١] قبل هذا

أن الله جلّ ذكره يكلّم الكافرَ والمنافقَ يومَ القيامةِ تقريراً وتوبيخًا، وذِكْر إِقرار الكافر في ذلك الوقت بكُفره في الدُّنيا، وهو إقرارُه أنه لم يكن يظن في الدنيا أنه مُلاقٍ ربَّه يوم القيامةِ.

فمن كان غير موقنٍ[٢] في الدنيا غير مصدِّقٍ بأنه ملاقٍ ربه يوم القيامة كافرٌ غيرُ مؤمنٍ.

وذكر دعوىٰ المنافق في ذلك الوقت أنه كان مؤمنًا بربِّه عزّ وجلّ، وبنبيه، وبكتابه، صائمًا مصليًا مزكيًا في الدنيا.

وإنطاق الله عزّ وجلّ فخذ المنافق ولحمه وعظامه بما كان يعملُ في الدنيا؛ تكذيبًا لدعواه بلسانه.

٣٠٤ ـ عن أبي هُريرة رضي الله عنه قال: سألَ الناسُ رسولَ الله ﷺ، فقالوا: يا رسولَ الله! هل نَرىٰ ربَّنا يوم القيامةِ؟ فقال: «هَلْ تُضَارُّون[٣] في رؤيةِ القمر ليلةَ البدْرليسَ في سحابٍ؟». قالوا: لا. يا رسولَ الله. قال «فهل تضارُّونَ في الشَّمسِ عندَ الظهيرة وليست في سحابٍ؟». قالوا: لا. يا رسولَ الله. قال: «فوالذي نفسي بيدِهِ لا تضارُّون في رُؤية ربِّكم، كما لا تضارُّون في رُؤيتهما». قالَ: «فيلقىٰ العبدَ، فيقولُ: أي فُلْ[٤]! أَلَمْ أُكْرِمْك، ألم أُسَوِّدْك، أَلَم

---

(١) كذا بالأصل، وفي «ظ»: «ترجمته للباب».

(٢) وفي «ظ»: «مؤمن».

(٣) تتخالفون أو تتجادلون.

(٤) قال النووي في «شرح مسلم»: «قوله ﷺ: فيقول: أي فل. هو بضم الفاء وإسكان اللام. ومعناه: يا فلان، وهو ترخيم علىٰ خلاف القياس. وقيل: هي لغة بمعنىٰ فلان، حكاها القاضي».

أُزَوِّجْكَ ألم أُسَخِّرْ لك الخيلَ والإبِلَ وأترككَ ترأَسُ وتربعُ؟ قال: بَلَىٰ يَا رَبِّ. قال: فظننتَ أنَّكَ ملاقيّ؟ قال: لا يا ربِّ. قال: فاليومَ أنساكَ كما نَسِيتَني» قال: «ثم يلقَىٰ الثَّاني، فيقولُ: أي فل! ألم أُكْرِمكَ، ألم أسوِّدْكَ ألمْ أزوِّجْكَ ألم أُسَخِّرْ لكَ الخيلَ والإبِلَ وأتركك تَرْأَسُ وتَرْبَعُ؟ قال: بلىٰ يا ربِّ قال: فظننتَ أنَّك ملاقيّ؟ قال: لا. يا ربِّ. قال: فاليومَ أنساكَ كَمَا نَسِيتَنِي». قال: «ثمّ يلقَىٰ الثَّالثَ، فيقولُ: ما أنتَ؟ فيقولُ: أنا عبدُكَ، آمنتُ بك، وبنبيِّك، وبكتابك، وصمتُ، وصليتُ، وتصدّقْتُ، ويُثني بخيرٍ ما استطاعَ! فيقالُ له: أفلا ننصب عليك شاهداً[1]؟ قال: فيفكر في نَفْسِهِ منْ [ذَا][2] الذي يشهدُ عليه؟». قال: «فيختمُ علىٰ فيه ويُقال لفخذه: انطِقي. قال: فتنطقُ فخذُه ولحمُه وعظامُه بما كان يعملُ فذلك المنافقُ وذلك ليُعْذِرَ منْ نَفْسه وذلكَ الذي سَخِطَ اللهُ عليه»[3].

قال: «ثُمَّ يُنادِي مُنادٍ: ألا اتبعتْ كلُّ أمةٍ ما كانت تعبدُ. .»[فيتبعُ الشياطينَ والصليبَ وأولياؤهم إلىٰ جهنَّم. وبقينا أيُّها المؤمنون، فيأتينا ربُّنا، فيقولُ: علىٰ ما هؤلاءِ؟ فنقولُ: نحنُ عبادُ اللهِ المؤمنون آمنا بربِّنا، ولم نُشْرِك بِهِ شيئًا، وهو ربُّنا تَبارك وتعالىٰ، وهو يأتينا وهو يثبِّتنا، وهذا مقامُنا حتىٰ يأتينَا ربُّنا، فيقولُ: أنا ربُّكُم فانطلِقُوا، فننطلِقُ حتىٰ نأتي الجسرَ، وعليه كلاليبٌ مِنْ نارٍ تخطفُ، عند ذلك حلَّت الشَّفاعةُ؛ أي: اللهمَّ سلِّم! اللهمَّ سلِّم! فإذا جاوزوا الجسرَ فكلُّ مَنْ أَنْفَقَ زوجًا مِنَ المالِ في سبيلِ اللهِ مما يملكُ، فكلُّ خزنَة الجنةِ تقولُ: يا عبدَ اللهِ! يا مُسلم! هذا خيرٌ».

---

(١) وفي «ظ»: «نَبعَثُ عليك شاهدًا».

(٢) زيادة من «ظ».

(٣) صحيح. ورواه مسلم (٢٩٦٨).

فقال أبو بكر رضي الله عنه: يا رسُولَ اللهِ! إنَّ هذا عبدٌ لا تَوَىٰ[1] عليه؛ يَدَعُ بابًا، ويلجُ من آخر، فضرب كتِفَه. وقال: «إنِّي لأرجُو أن تكونَ منهم»].

● سُئل سُفيان: عن تفسير: «ترأس وتربَع؟».

فقال: كان الرجلُ إذا كان رأسَ القومِ كان له الْمِرباعُ، وهو: الربع[2].

٣٠٨ ـ عن أبي هريرة، وأبي سعيدٍ قالا: قال رسول الله ﷺ: «يُؤتَىٰ بالعَبْدِ يَوْمَ القِيَامةِ، فيُقَالُ لهُ: أَلَمْ أَجْعَلْ لَكَ سَمْعًا وبَصَرًا، وَمَالاً وَوَلَدًا، وَسَخَّرْتُ لَكَ الأَنْعَامَ والْحَرْثَ، وتُركْتَ ترأسُ وتربعُ؟ فكنتَ تظنُّ أنَّك ملاقيَّ في يومِكَ هَذَا؟ قَالَ: فيقولُ: لا، فيقولُ له: اليومَ أنساكَ، كَمَا نسيتني»[3].

٣١٠ ـ عن أبي سعيد الخدري قال: قُلنا: يا رسولَ اللهِ! هَلْ نَرَىٰ رَبَّنَا يومَ القِيامةِ؟ . . . فذكر الحديث بطوله.

وقالَ: «ثُمَّ يتبدَّىٰ اللهُ لنا في صورةٍ غير صورتِهِ التي رأيناهُ فيها أولَ مرةٍ. فيقولُ: أيُّها النَّاسُ! لحقتْ كُلُّ أمةٍ بما كانتْ تعبدُ وبقيتُم؟ فلا يكلِّمه يومئذٍ إلا الأنبياءُ: فارَقْنا الناسَ في الدُّنيا، ونحن كُنَّا إلىٰ صُحبتهم فيها أحوج؛ لحقَتْ كلُّ أمةٍ بما كانتْ تعبدُ، ونَحْنُ ننتَظِرُ ربَّنا؛ الذي كنَّا نعبدُ. فيقولُ: أنا ربكم، فيقولونَ: نعوذُ باللهِ مِنْكَ، فيقولُ: هل بينكم وبينَ اللهِ من آيةٍ تعرِفونَهَا،

(١) لا ضِياع، ولا خسارة، وهو من التوىٰ: «الهلاك». قاله في «النهاية».

(٢) قال ابن الأثير في «النهاية» (٢/ ١٨٦):

«ألم أذرك تربع وترأس»، أي: تأخذ ربع الغنيمة. . . يريد: ألم أجعلك رئيسًا مطاعًا؛ لأن الملك كان يأخذ الربع من الغنيمة في الجاهلية دون أصحابه، ويسمىٰ ذلك الربع: المرباع.

(٣) حسن صحيح. ورواه الترمذي (٢٤٢٨)

وقال: «هذا حديث صحيح غريب، ومعنىٰ قوله: «اليوم أنساك»، يقول: اليوم أتركك في العذاب ـ هكذا فسروه ـ وقد فسر بعض أهل العلم هذه الآية: ﴿فاليوم ننساهم﴾ قالوا: إنما معناه: نتركهم في العذاب».

والحديث صححه شيخنا ـ رحمه الله ـ في «صحيح سنن الترمذي».

فيقولون: نعم، فَيَكْشِفُ عَنْ سَاقٍ، فيخِرُّونَ سُجَّدًا أَجْمَعُون، وَلا يَبْقَى أحدٌ كَانَ يَسْجُدُ فِي الدُّنيا سُمعةً وَلا رياءً ولا نِفَاقًا، إلا عَلَى ظَهْرِهِ طبقًا واحِدًا، كلَّما أرادَ أن يسجُد خرّ على قَفَاهُ».

قالَ: «ثم يرفع برُّنا ومُسيئنا، وقد عادَ لنا في صورته التي رأيناه فيها أوَّلَ مرةٍ. فيقولُ: أنا ربُّكم، فيقولون: نعم أنتَ ربُّنا»، ثلاث مرات... ثم ذكر باقي الحديث[1].

قد خرجتُه بعد تبيان[2] معناه بيانًا شافيًا، بينتُ فيه جهلَ الجهمية، وافتراءهم على أهل الآثارِ في إنكارهم هذا الخبر لما جهلوا معناه.

٣١٢ - عن عدي بن حاتم قال: كنتُ عندَ رسولِ الله ﷺ، فجاء إليه رجُلان يشكوَان إليه؛ أحدُهما: العَيْلَةَ، ويشكُو الآخرُ قطعَ السَّبيلِ.

فقال رسولُ الله ﷺ: «أمَّا قطعُ السَّبيل: فلا يأتي عليكَ إلا قليلٌ، حتّى تخرجَ العيرُ من الْحِيرَةِ إلى مَكَّةَ بغيرِ خفيرٍ[3].

وأما العيْلة: فإنَّ السَّاعةَ لا تقومُ، حتَّى يُخْرِجَ الرجُلُ صدقةَ مالِهِ، فلا يَجِدُ مَنْ يقبلُها، ثم ليقفنَّ أحدُكم بينَ يدي الله، ليسَ بينَهُ وبينه حجابٌ[4]

(١) صحيح. ورواه بطوله الحاكم(٤/ ٥٨٢-٥٨٤)، وقال:
«هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه بهذه السياقة، إنما اتفقا على حديث الزهري، عن سعيد ابن المسيب وعطاء بن يزيد الليثي، عن أبي هريرة مختصراً.
وأخرج مسلم وحده حديث عبد الرزاق، عن معمر، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد بأقل من نصف هذه السياقة». أ هـ.
قلت: رواه مسلم(١٨٣).

(٢) كذا بالأصل، وفي «ظ»: «بيان».

(٣) الخفير: المجير.

(٤) وفي «ظ»: «حاجب».

يحجُبُه، ولا تَرْجُمَان يترجمُ له، فليقولنَّ له: ألم آتكَ مالاً؟ فليقولنَّ: بَلَىٰ، فليقولنَّ: ألم أُرْسِلْ إليكَ رسُولاً؟ فليقولنَّ: بلىٰ، ثمَّ ينظرُ عن يمينه فلا يَرَىٰ إلا النارَ، ثُمَّ ينظرُ عن شمالِه فلا يَرَىٰ إلا النَّارَ، فليتقِ أحدُكم النَّار ولو بِشِقِّ تمرةٍ، فإنْ لمْ يجدْ فبكلمةٍ طَيِّبةٍ»[1].

قال أبو بكر: فخبرُ أبي سعيد وأبي هريرة يُصرحان أن الله عز وجل يكلّم المؤمنين والمنافقين يوم القيامة بلا تَرْجُمان بين الله وبينهم، إذ غير جائزٍ أن يقول غيرُ الله الخالق البارىء، لبعضِ عباده أو لجميعهم: أنا ربكُم. ولا يقولُ: أنا ربكُم غيرُ الله.

إلا أنّ الله تعالىٰ يكلِّم المنافقين علىٰ غيرِ المعنىٰ الذي يُكلّم المؤمنين.

فيكلم المنافقين علىٰ معنىٰ التوبيخ والتقرير.

ويكلِّم المؤمنين ـ يُبشِّرهم بما لهم عند اللهِ عزّ وجلّ ـ كلامَ أوليائه وأهلِ طاعته.

٣١٥ ـ عن عبد الله بن مسعُود قال: قال رسُول الله ﷺ: «إنِّي لأعلمُ آخر أهلِ النارِ خُروجًا منْها، وآخرَ أهلِ الجنَّة دخولاً الجنة؛ رجلٌ يخرجُ منَ النَّار حبوًا، فيقولُ اللهُ له: اذهبْ، فادخُلِ الجنَّةَ...»، وذكر الحديثَ بتمامه[2].

وسأبيّن ذكر الفرق بين كلام الله أولياءَه، وبين كلامه أعداءه في موضِعه من هذا الكتاب إن الله شاء ذلك وقدّره[3].

---

(١) صحيح. ورواه البخاري (١٤١٣).
وانظر ما تقدم برقم (٣٠٢).

(٢) صحيح. ورواه البخاري (٦٥٧١)، ومسلم (١٨٦). وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح».
وانظر (٦٣٠).

(٣) انظر الباب التالي.

٤٢ ـ باب ذكر الفرق بين كلامِ اللهِ تباركَتْ أَسْمَاؤه، وَجَلَّ ثَنَاؤُهُ الْمُؤْمِنِ الّذي قَد سَتَرَ اللّهُ عليهِ ذنوبَه في الدُّنيا، وهو يريدُ مَغْفرتها له في الآخرة، وبين كلام اللهِ الكافرَ؛ الذي كان في الدّنيا غير مؤمنٍ باللهِ العظيم، كاذبًا على ربِّه، صاداً عن سبيلِه، كافراً بالآخرةِ

٣٢٠ ـ عن صفوان بن مُحْرِزٍ قال: كنتُ آخذًا بيدِ ابنِ عُمَرَ [ونحنُ نطوفُ بالبيتِ]، فأتاه رجلٌ، فقال: كيف سمعتَ رسولَ الله ﷺ يقولُ في النجوىٰ(١)؟ قال: سمعْتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ:

«إنَّ الله عزّ وجلّ يُدني المؤمنَ يومَ القيامةِ، حتَّىٰ يضعَ عليه كَنَفَهُ(٢) ثمّ يقولُ: أي عبدي! تعرفُ ذنبَ كذا وكَذَا؟ فيقولُ: نَعم، أيْ ربِّي، حتَّىٰ إذا قرّره بذنُوبِهِ ـ ورأىٰ في نفسه أنَّه قد هَلَكَ ـ قال: فإنِّي قد سترتُها عليك فِي الدُّنيا، وغفرتُها لك اليومَ، ثمَّ يعطىٰ كتابَ حسناته.

وأما الكفّارُ والمنافقون، فيقولُ الأشهادُ: ﴿هَؤُلاءِ الَّذينَ كَذَبُوا عَلَىٰ ربِّهِمْ أَلا لَعْنَةُ اللهِ عَلَىٰ الظَّالِمينَ﴾(٣).

(وفي رواية: «وأما الكفار فيُنادىٰ بهم(٤) علىٰ رؤوس الأشهادِ: أين الذين كذَبوا علىٰ ربِّهم؟ ألا لعنة اللهِ علىٰ الظّالمين»).

---

(١) أي: مناجاة الله سبحانه وتعالىٰ للعبيد يوم القيامة.

(٢) أي: ستره عن أهل الموقف حتىٰ لا يطلع علىٰ سره غيره.

(٣) صحيح.
ورواه البخاري (٢٤٤١)، وفي «خلق أفعال العباد» (٣٤٤)، ومسلم (٢٧٦٨).

(٤) في «الأصل»: «فيناديهم»، والمثبت من «ظ».

٤٣ ـ باب ذكر البيان من كتاب ربِّنا المنزل على نبيه المصطفى ﷺ، ومن سنّة نبينا [محمدٍ][1] ﷺ على الفرق بين كلام الله عزّ وجلّ؛ الذي به يكوِّن خلقَه، وبين خَلْقِه الذي يُكوِّنُه بكلامِه وقوله، والدليل على ضدِّ[2] قولِ الجهمية الذين يزعمون أنَّ كلامَ الله مخلوقٌ جلّ ربُّنا وعزّ عن ذلك.

قال الله ـ سبحانه [وتعالى][3] ـ: ﴿أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤].

فـفرَّق الله بين الخلق والأمر الذي به يخلق الخلق بواو الاستئناف[4] وأعلمنا الله جلّ وعلا في مُحكم تنزيله: أنه يخلق الخلقَ بكلامه وقوله، فقال: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠].

فأعلمَنا جلّ وعلا أنه يكوِّن كلَّ مكوَّن من خلقه بقولِه: «كن»[5] وقوله: «كُن»، هو كلامُه الذي به يكوِّن الخلق، وكلامه عزّ وجلّ الذي به يكوِّن الخلق غيرَ الخلقِ الذي يكون مُكوَّنًا بكلامِه، فافهمه [ولا تغلط و][6] لا تغالِط.

ومن عَقَلَ عن الله خطابَه عَلِمَ أن الله ـ سُبحانه ـ لما أعلم عبادَه [المؤمنين][7] أنه يُكوِّن الشيء بقوله: «كن»، أن القول الذي هُو: «كُن» غير المكوَّن بـ: «كن» المقول له: «كُنْ».

---

(١) زيادة من «ظ».

(٢) وفي «ظ»: «نبذ».

(٣) زيادة من «ظ».

(٤) قال الشيخ خليل هراس ـ رحمه الله ـ: «لعله يعني واو العطف، وهي تقتضي المغايرة أيضًا بين المعطوف والمعطوف عليه، فتدل على أن الخلق غير الأمر».

(٥) وفي «ظ»: «كن فيكون».

(٦) زيادة من «ظ».

(٧) زيادة من «ظ».

وعَقَلَ عن الله أن قوله : «كُن» لو كان خلقًا على ما زعمتِ الجهميّة المفتريةُ على الله كان الله إنما يخلق الخلقَ ويُكوّنه بخلقٍ، لو كان قولُه : «كن» خلقًا .

فيقال لهم : يا جهلة! فالقولُ الذي يكون به الخلق ـ على زعمكم ـ لو كان خلقًا ثم يكونُه على أصلكم، أليس قود مقالتكم الذي تزعمون أن قوله : «كن» إنما يخلقه بقولٍ قبله، وهو عندكم خلقٌ ؟ وذلك القولُ يخلقه بقولٍ قبلَه، وهو خَلْقٌ؟ حتى يصيرَ إلى مالا غاية له، ولا عَدَدَ، ولا أوَّل .

وفي هذا إبطالُ تكوين[1] الخلق، وإنشاء البرية، وإحداث مالم يكن قبل يحدث[2] الله الشيءَ ويُنشئه ويخلقه .

وهذا قولٌ لا يتوهمه ذو لبٍّ لو تفكّر فيه، ووفّق لإدراك الصواب والرشاد .

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ﴾ [الأعراف : ٥٤]

فهل يتوهم مسلمٌ ـ يا ذوي الحِجا ـ أن الله سخَّر الشمسَ والقمر والنجوم مسخرات بخلقِه؟!

أليس مفهومًا عند من يعقل عن الله خطابه، أنّ الأمر الذي سُخِّر به الْمُسَخَّرُ غير المسخَّر بالأمر، وأنَّ القولَ غير المقولِ له .

فتفهموا ـ يا ذوي الحجا ـ عن الله خطابَه، وعن النبي المصطفى ﷺ بيانَه لا تصدُّوا عن سواءِ السبيل ، فتضلّوا كما ضلَّتِ الجهميةُ ـ عليهم لعائنُ الله ـ .

فاسمعوا الآن الدليلَ الواضح البيّن غيرَ المشكِل، من سُنّة النبيِّ ﷺ، بنقل العدلِ عن العدل، موصولاً إليه، على الفرقِ بين خلق الله وبين كلامِ الله .

(١) وفي «ظ» : «تكوّن» .

(٢) لعل الصواب : «قبل أن يحدث» .

٣٢٣ ـ عن ابن عباسٍ؛ أن النبيَّ ﷺ حين خرَجَ إلى صلاةِ الصُّبح ـ وجُويرية جالسةً في المسجدِ ـ فرجعَ حين تعالى النهارُ، فقال: «لم تزالي جالسةً بعدي؟». قالت: نَعم. قال: «قدْ قُلتُ بعدَكِ أربعَ كلماتٍ لو وُزِنَت بِهِنَّ لَوَزَنَتْهُنَّ: سُبحانَ اللهِ وبحَمْدِه، عددَ خلقِه، ومِدَادَ كلماتِه، ورِضا نفسِه، وزِنة عرشه»[1].

٣٢٥ ـ عن ابن عباسٍ، عن جُويرية؛ أنّ رسولَ الله ﷺ مرّ عليها... فذكر الحديث.

وفي الخبر: «سُبحان الله عددَ خَلْقه، سُبحان الله عددَ خَلْقه، سُبحان الله عدد خلقِه...»، وقال في كلّ صفةٍ ثلاث مرات[2].

قال أبو بكر: فالنبيّ المصطفى ﷺ الذي ولاّه الله بيان[3] ما أنزل الله من وحيه، قد أوضحَ لأمّته وأبانَ لهم أنّ كلامَ الله غير خلقِه، فقال: «سُبحان الله عددَ خلقه، ورِضا نفْسِه، وزِنةَ عرشه، ومِدَادَ كلماته».

ففرّق بين خلق الله وبين كلماته، ولو كانت كلماتُ الله من خلقه لما فرّق بينهما.

ألا تسمعه حين ذكرَ العرشَ ـ الذي هو مخلوقٌ ـ نطقَ ﷺ بلفظةٍ لا تقع على العددِ، فقال: «زِنةَ عرشِه»، والوزن غير العدد.

والله جلّ وعلا قد أعلمَ في مُحكم تنزيله: أن كلماته لا يُعادلها ولا يُحصيها مُحْصٍ من الخلقِ.

---

(١) صحيح. انظر الحديث (٥).

(٢) صحيح.

(٣) وفي «ظ»: «ولي بيان».

ودل ذوي الألباب من عباده المؤمنين على كثرة كلماته، وأن الإحصاء من الخلق لا يأتي عليها، فقال عزّ وجلّ: ﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩].

وهذه الآيةُ من الجنسِ الذي نقولُ: مجملةٌ غيرُ مفسّرةٍ.

معناها: قُل يا محمد لو كان البحرُ مداداً لكلماتِ ربي، فكُتب به كلماتُ ربي، لنفدَ البحرُ قبل أن تنفدَ كلماتُ ربي، ولو جئنا بمثله مدداً.

والآيةُ المفسِّرة لهذه الآية: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [لقمان: ٢٧].

فلما ذكر الله الأقلامَ في هذه الآية دلّ ذوي العقول بذكرِ الأقلام أنه أرادَ؛ لو كان ما في الأرضِ من شجرةٍ أقلامٌ يكتبُ بها كلماتُ الله، وكان البحرُ مداداً، فينفد[1] ماء البحر ـ لو كان مداداً ـ لم تنفد كلمات ربنا[2].

وفي قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ﴾ أيضاً ذكرٌ مجملٌ فسَّره بالآية الأخرى، لم يَرِدْ في هذه الآية: أن لو كُتب بكثرةِ هذه الأقلام بماء البحر كلمات الله، وإنما أراد لو كان ماءُ البحرِ مداداً كما فسّره في الآية الأخرى

وفي قوله جلّ وعلا: ﴿لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا...﴾ الآية، قد أوقعَ اسمَ البحرِ على البحارِ كلِّها.

واسمُ البحر قد يقعُ على البحار كلِّها كقوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ﴾ [يونس: ٢٢] الآية.

وكقوله: ﴿وَالْفُلْكُ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ﴾.

(١) في «الأصل»: «فنفد»، والمثبت من«ظ».

(٢) في «الأصل»: «ربي»، والمثبت من«ظ».

والعلم محيطٌ أنه لم يُرد في هاتين الآيتين بحراً واحداً من البحار ؛ لأن الله يسير مَن أراد من عبادِه في البحار ، وكذلك الفلك تجري في البحارِ بأمر الله لا أنها تجري[1] في بحرٍ واحدٍ.

وقوله : ﴿وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ﴾ يُشبه أن يكونَ من الجنسِ الذي يُقال : إن السكت ليس خلاف النطق ؛ لم يدل الله بهذه الآية أنْ لو زِيد من المدادِ علىٰ ماء سبعة أبحرٍ لنفدت كلماتُ الله ، جلّ الله عن أن تنفد كلماتُه .

والدليل علىٰ صحة ما تأولت هذه الآية ؛ أنّ الله جلّ وعلا قد أعلمَ في هذه الآية الأخرىٰ ، أنْ لو جيء بمثلِ البحر مداداً لم تنفد كلماتُ الله .

معناه : لو جيء بمثلِ البحر مداداً ، فكُتب به أيضًا كلماتُ الله لم تنفد .

واسمُ البحر ـ كما أعلمتُ[2] ـ يقع علىٰ البحار كلِّها ، ولو كان معنىٰ قوله ـ في هذا الموضع ـ : ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا﴾ بحراً واحداً لكان معناهُ في هذا الموضع : أنه لو كتب به ؛ ببحرٍ واحدٍ ، فكان مداداً لكلمات الله ، وجيء بمثله ـ أي : ببحر ثان ـ لم تنفد كلمات الله .

فلم يكن في هذه الآية دلالة أنّ المراد لو كان أكثر من بحرين ، فكُتب بذلك أجمع كلمات الله نفدت كلماتُ الله ؛ لأن الله قد أعلمَ في الآية الأخرىٰ [أن][3] السبعة الأبحر لو كُتب بهن جميعًا كلماتُ الله لا[4] تنفد كلمات الله .

فاسمع الآن الأخبارَ الثَّابتة الصَّحيحة ، بنقل العدلِ عن العدل ، موصولاً

(١) في «الأصل» : «كذا» ، ولا وجه له ـ عندي ـ والمثبت من «ظ» .

(٢) في «ظ» : «علمت» .

(٣) زيادة من «ظ» .

(٤) وفي «ظ» : «لم» .

إلىٰ النبي ﷺ الدّالّة علىٰ أن كلمات ربِّنا ليست مخلوقة[1] علىٰ ما زعمتِ المعطّلة الجهميةُ عليهم لعائنُ الله .

٣٢٦ ـ عن سعد بن أبي وقّاص، عن خَوْلة بنتِ حكيم؛ أنها سمعتْ رسولَ الله ﷺ يقول: «لو نَزَلَ أحدُكم منزلاً، فليقُل : أعُوذُ بكلماتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شرِّ ما خلقَ؛ فإنَّه لا يضرُّه شيءٌ، حتَّىٰ يرتَحِلَ منْهُ»[2] .

٣٢٧ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ أنه قال: جاء رجلٌ إلىٰ النبيِّ ﷺ، فقال: يا رسول الله! ما لقيتُ من عقربٍ لدغتني البارحةَ، فقال له رسولُ الله ﷺ : «أما إنَّكَ لو قلتَ حينَ أمسيتَ: أعوذُ بِكَلماتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ ما خَلَقَ لم تضرَّك»[3] .

قال أبو بكر: أفليس العلم محيطًا ـ يا ذوي الحجا ـ أنه غير جائزٍ أن يأمرَ النبيّ ﷺ بالتعوّذ بخلق الله من شرِّ خلقه .

هل سمعتُم عالِمًا يُجيز أن يقول الدَّاعي: أعوذُ بالكعبة من شرّ خلق الله؟ أو يجيز أن يقول: أعوذُ بالصَّفا والمروة، أو أعوذُ بعرفات ومنىٰ من شرِّ ما خلق الله؟

هذا لا يقولُه ـ ولا يُجيز القولَ به ـ مسلمٌ يعرفُ دينَ الله، مُحالٌ أن يستعيذَ مسلمٌ بخلقِ الله من شرِّ خلقه .

---

(١) وفي «ظ»: «بمخلوقة».

(٢) صحيح. ورواه المصنف في «صحيحه» (٤/ ١٥١/ ٢٥٦٧)، ومسلم في «صحيحه» (٢٧٠٨) (٥٥).

(٣) صحيح. ورواه مسلم (٢٧٠٩)، وأحمد (٢/ ٣٧٥).

٤٤ ـ باب من الأدلّة التي تدل على أن القرآنَ كلامُ [الله][١] الخالق وقوله غير مخلوقٍ، لا كما زعمتِ الكفرةُ من الجهميّة المعطّلة

٣٢٩ ـ عن نِيار بن مُكرَم الأسْلَمي؛ صاحب رسول الله ﷺ، قال: لما نزلت ﴿الم غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾ [الروم: ١ ـ ٣] إلى آخر الآيتين، خرج رسولُ الله ﷺ، فجعلَ يقرأُ[٢]:

«بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿الم غُلِبَتِ الرُّومُ في أدنَى الأرضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بِضْعِ سِنِينَ﴾».

فقال رؤساءُ مُشركي مكةَ: يا ابن أبي قُحافة! هذا مما أتى به صاحبُك.

قال: لا والله، ولكنه كلامُ اللهِ وقولُه.

قالوا: فهذا بينَنا وبينَك، إن ظهرت الرومُ على فارس في بضعِ سنين، فتعال نُناحبك ـ يُريدون: نُراهنك ـ وذلك قبل أن ينزلَ في الرِّهان مانزلَ.

قال: فراهنُوا أبا بكرٍ، ووضَعوا رهانهم[٣] على يدي فلان.

قال: ثم بكّروا فقالُوا: يا أبا بكر! البضعُ: ما بين الثلاثِ إلى التسع[٤]، فاقطعْ بيننا وبينك شيئًا ننتهي إليه[٥].

---

(١) زيادة من «ظ».

(٢) وفي «ظ»: «يقول».

(٣) وفي «ظ»: «رهائنهم».

(٤) باقي النسخ فيها: «السبع»، والمثبت من التيمورية، وهو الموافق لما في السنن.

(٥) حسن صحيح. ورواه الترمذي (٣١٩٤)، وقال: «حسن صحيح».

٤٥ ـ باب ذكر البيان أن الله عزّ وجلّ ينظر إليه جميعُ المؤمنين يوم القيامة برُّهم وفاجرُهم، وإن رغمت أنوف الجهمية المعطلة المنكرة لصفات خالقنا جلّ ذكره

٣٤٠ ـ عن جرير بن عبد الله قال: كنَّا جلوسًا عند النبي ﷺ، إذ نَظَرَ إلىٰ القمر ليلةَ البدْرِ [ليلة أربع عشرة]، فقال: «أمَا إنَّكُم ستَرونَ ربَّكم عزّ وجلّ كما ترون هذا [القمر]، لا تضامُّون[1] في رُؤيته، فإن استطَعْتُم أن لا تُغلبوا علىٰ صلاةٍ قبلَ طلوعِ الشمسِ وقبل غروبها، فافعلُوا، ثم قرأ: ﴿وسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ [طه: ١٣٠]»[2].

٣٤٣ ـ عن أبي سعيدٍ قال: قلنا: يا رسول الله! هل نرىٰ ربَّنا يومَ القِيامة؟

قال: «هل تضارُّون في رُؤية الشمس في الظَّهيرة في[3] غيرِ سحابٍ؟».

قال: قلنا: لا.

قال: «فهلْ تضارُّون في رُؤيةِ القمرِ ليلةَ البدرِ ليسَ في سحابٍ؟».

قال: قلنا: لا.

قال: «فإنَّكم لا تضارُّون في رؤيته، كما لا تضارُّون في رؤيتهما»[4].

---

(١) «لا تضامون»: يجوز ضم التاء وفتحها، وهو بتشديد الميم من الضم، أي: لا ينضم بعضكم إلىٰ بعض، ولا يقول: أرنيه. بل كل ينفرد برؤيته.

وروي بتخفيف الميم من الضيم، وهو الظلم. يعني: لا ينالكم ظلم؛ بأن يرىٰ بعضكم دون بعض، بل تستوون كلكم في رؤيته تعالىٰ.

(٢) صحيح. رواه البخاري(٥٧٣)، ومسلم(٦٣٣).

(٣) وفي «ظ»: «من».

(٤) صحيح. رواه ابن ماجه (١٧٩)، وأحمد(٣/ ١٦)، وعبد الله بن أحمد(٢٣٥).

٣٤٦ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سأل الناسُ رسولَ اللهِ ﷺ.

فقالوا : يا رسول الله! هَلْ نَرَىٰ ربَّنا يومَ القِيَامةِ؟

فقال : «هل تضارُّون في رُؤية القمر ليلةَ البدرِ، ليسَ في سحابٍ ؟» .

قالُوا : لا يا رسول اللهِ .

قال : «فهل تضارُّون في رؤية الشمسِ في الظهيرةِ ليست في سحابٍ؟» .

قالوا : لا يا رسول الله .

قال : «فوالذي نفسي بيده لا تضارُّون في رُؤيةِ ربّكم، كما لا تضارُّون في رؤيتهما . . .»، ثم ذكر الحديث بطوله[1] .

---

(١) صحيح . تقدم برقم (٣٠٤).

٤٦ ـ باب ذِكْرِ البَيَان أنَّ جَمِيعَ أمةِ النبيِّ ﷺ برّهم وفاجرهم مُؤمِنهم ومنافقهم، وبعض أهل الكتابِ يرون الله عزّ وجلّ يومَ القيامةِ

يراه بعضُهم رؤيةَ امتحانٍ، لا رؤية سرورٍ وفرحٍ وتلذذٍ للنظر[١] في وجه ربهم عزّ وجلّ ذي الجلالِ والإكرامِ.

وهذه الرؤية قبل أن يُوضع الجسرُ بين ظهري جهنم، ويخصّ الله عزّ وجلّ أهلَ ولايته من المؤمنين بالنظرِ إلىٰ وجهه؛ نظر فرحٍ وسرورٍ وتلذذٍ.

٣٥٢ ـ عن أبي سعيدٍ الخدري قال: قلنا: يا رسول اللهِ! هل نَرَىٰ ربّنا يومَ القيامةِ؟

قال: «هلْ تُضارُّون (تضامون) في رُؤية الشمس بالظهيرةِ[٢] صحواً ليس في (دونها) سحابٌ؟».

قلنا: لا يا رسول الله.

[قالَ: «فهل تُضارُّون في القمرِ ليلة البدرِ، ليس دُونه سحابٌ؟»]

[قال: قلنا: لا.]

قال: «فإنّكُم ترون ربكُم عزّ وجلّ كذلك يومَ القيامةِ».

«ما تُضارُّون في رؤيتهِ يومَ القِيَامةِ، إلا كما تضارُّون في رؤية أحدِهِمَا».

قال: «يُقال: مَنْ كانَ يعبدُ شَيْئًا فليتَّبِعه، فيتَّبعُ الذينَ كانُوا يعبدُون الشمسَ الشمسَ، فيتساقَطُون في النَّارِ، ويتّبعُ الذين كانوا يعبدُون القمرَ القمرَ فيتساقَطُون في النَّارِ، ويتبعُ الذين كانوا يعبدُون الأوثان الأوثانَ والأصنام

(١) وفي «ظ»: «بالنظر».

(٢) وفي «ظ»: «في الظهيرة».

الأصنامَ ـ وكلُّ مَنْ كَانَ يعبدُ مِنْ دُونِ اللهِ ـ فيتساقَطُونَ في النَّارِ

ويبقىٰ المؤمِنُون ـ ومُنَافِقُوهم بين أظهرهم ـ وبقايا من أهل الكتاب» ـ وقالَ : وقلَّلهم[1] بيدِه ـ

وقال في الخبر :

«فيُكشَفُ عن ساقٍ، فيخرُّون سجَّدًا أجمعون، فلا يبقىٰ أحدٌ كان يسجدُ في الدنيا سمعةً، ولا رياءً، ولا نِفاقًا، إلا علىٰ ظهره طَبَقٌ[2]، كلّما أراد أن يسجدَ خرَّ علىٰ قفاهُ».

قال : «ثمَّ يرفَع برُّنا ومُسيئُنا، وقَدْ عادَ لنا في صُورتِهِ؛ التي رأيناهُ فيها أوَّلَ مرَّةٍ، فيقولُ : أنا ربُّكم فنقول[3] : نَعَمْ. أنتَ ربُّنا، [أنتَ ربُّنا، أنتَ ربُّنا][4] ـ ثلاث مراتٍ ـ ثم يُضربُ الْجِسْرُ علىٰ جهنّم»[5].

٣٥٤ ـ عن سعيد بن المسيب، وعطاء بن يزيد الليثي

أنَّ أبا هريرة رضي الله عنه أخبرهما؛ أنَّ الناسَ قالُوا للنبيِّ ﷺ : يارسول الله! هَلْ نَرىٰ ربَّنا يوْمَ القِيَامةِ ؟

فقالَ النبيُّ ﷺ : «هل تُمَارُونَ في رُؤْيَةِ القمرِ ليلةَ البدرِ، ليسَ دُونَهُ سحابٌ؟».

---

(١) وفي «ظ» : «يقللهم».

(٢) هكذا بالأصول . وفي «صحيح مسلم» : «إلا جعل الله ظهره طبقةً واحدةً».

والطبق : فقار الظهر، أي : صار فقارة واحدة كالصفيحة، فلا يقدر علىٰ السجود لله تعالىٰ. انظر التعليق علىٰ الحديث في صحيح مسلم (١/ ١٦٩).

(٣) وفي «ظ» : «فيقولون».

(٤) زيادة من «ظ».

(٥) صحيح. وقد تقدم تخريجه، انظر رقم (٣١٠).

قالوا: لا يا رسول الله.

قال: «فهلْ تُمَارُونَ في الشَّمْسِ، ليس دونها سحابٌ؟»

قالوا: لا يا رسولَ الله.

قال: «فإنَّكم ترونَه كذلك؛ يُحشرُ النَّاسُ يومَ القيامةِ، فيقالُ: مَنْ كان يعبدُ شيئًا فليتّبعهُ، فمنهم مَنْ يتّبعُ الشمسَ، ومنهم من يتّبعُ القمرَ ومنهم من يتّبعُ الطواغيتَ، وتبقى هذه الأمَّةُ ـ فيها مُنافِقُوها ـ فيأتيهم الله في غيرِ صُورتِهِ، فيقولُ: أنا ربُّكُم، فيقولونَ: نعوذُ باللهِ منكَ، هَذا مكانُنا حتى يأتينا ربُّنا، فإذا جَاءَ ربُّنا عَرَفْنَاه، فيأتيهُم اللهُ في صُورتِهِ التي يعرفونَ فيقولونَ: أنتَ ربُّنا، فيدعُوهم، ويُضربُ الصِّراطُ بين ظهري جهنّم، فأكونُ أوَّلُ مَنْ يُجيز؛ مِنَ الرُّسلِ بأُمّتي[1]، ولا يتكلَّم يومئذٍ أحدٌ إلا الرسُلُ...»، فذكر الحديث[2].

٣٥٨ ـ عن أبي الزّعراء قال:

ذكروا الدّجّالَ عند عبد الله، فقال: تفترقون أيُّها الناسُ! عند خُروجه ثلاثَ فرق... فذكر الحديث بطوله.

وقال: «ثم يتمثّلُ اللهُ للخلقِ، فيلقى اليهودَ[3].

فيقول: من تعبدُون؟

فيقولون: نعبدُ الله، لا نُشركُ به شيئًا.

فيقول: هل تعرفُون ربّكم؟

فيقولُون: سُبحانه! إذا اعترفَ لنا عَرَفْنَاهُ، فعند ذلك يُكْشَفُ عن ساقٍ،

---

(١) وفي «ظ»: «بأمته».

(٢) صحيح.

(٣) في «الأصل»: «فيقال لليهود: من...»، والمثبت من «ظ».

فَلا يَبْقَىٰ مُؤمنٌ ولا مُؤمِنَةٌ إلا خرَّ للهِ ساجداً. . . . »، وذكر باقي الخبر[1].

قال أبو بكر: [في] هذه الأخبار دلالة على أن قوله جل وعلا: ﴿كَلا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥].

إنما أراد الكفَّار؛ الذين كانوا يكذبونَ بيومِ الدين بضمائرهم، ويُنكرون ذلك بألسنتِهِم، دون المنافقين؛ الذين كانوا يكذّبون بضمائرهم، ويقرون[2] بألسنتِهم بيوم الدين؛ رياءً وسُمعةً.

ألا تسمع إلىٰ قوله [عزّ وجلّ][3]: ﴿ألا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ إلىٰ قوله: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾ إلىٰ قوله: ﴿كَلا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾، [أي][4]: المكذّبون بيوم الدين.

ألا ترىٰ النبيَّ ﷺ قد أعلمَ أن مُنافقي هذه الأمة يرونَ الله حين يأتيهم في صُورته التي يعرفُون، هذا في خبر أبي هُريرة.

وفي خبر أبي سعيدٍ: «فيكشِفُ عن سَاقٍ فيخرُّون سجّداً أجمعون».

وفيه ما دلّ علىٰ أن المنافقين يرونَه للاختبارِ والامتحانِ، فيُريدون السجودَ فلا يقدرون علىٰ ذلك.

وفي خبر أبي سعيدٍ: «فلا يبقىٰ مَن كان يعبدُ صنمًا، ولا وثنًا، ولا صورة إلا ذهبوا، حتىٰ يتساقطونَ في النار».

---

(١) صحيح. ورواه عبد الرزاق، ومن طريقه ابن منده في «الرد على الجهمية» (٣٧).

(٢) وفي الأصل: «يقولون»! والمثبت من «ظ».

(٣) زيادة من «ظ».

(٤) زيادة من «ظ».

فالله سبحانه وتعالىٰ يحتجبُ عن هؤلاء الذين يتساقطون في النارِ، ويبقىٰ مَن كانَ يعبدُ الله وحدَه؛ من برٍّ وفاجرٍ وغُبّر[1] أهل الكتاب.

ثم ذكر في الخبر أيضًا: أنّ من كان يعبد غيرَ الله؛ من اليهود والنصارىٰ يتساقطُون في النارِ، ثم يتبدّىٰ الله عزّ وجلّ لنا في صُورةٍ غير الصُّورةِ التي رأيناه فيها.

وفي هذا الخبر ما بانَ وثبتَ وصحّ: أن جميعَ الكفّار قد تساقطوا في النار وجميعَ أهل الكتاب الذين كانوا يعبدون غيرَ الله.

وأن الله جلّ وعلا إنما تراءىٰ[2] لهذه الأمة؛ برّها، وفاجرها، ومُنافقها بعدما تساقط أولئك في النارِ.

فالله جلّ وعلا كان محتجبًا عن جَميعهم، لم يره منهم أحدٌ.

كما قال تعالىٰ: ﴿كَلا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُون ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمْ ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُون﴾ [المطففين: ١٥ ـ ١٧].

فأعلَمنا الله عزّ وجلّ أن مَن حُجِب عنه يومئذٍ، هم المكذبون بذلك في الدنيا. ألا تسمع قوله تعالىٰ: ﴿هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُون﴾.

وأما المنافقون: فإنما كانوا يكذّبون بذلك بقلُوبهم، ويقرون به بألسنتهم رياءً وسُمعةً. فقد تراءىٰ[3] لهم رؤيةَ امتحانٍ واختبارٍ وليكون حجبُه إياهم بعد ذلك[عن رؤيته][4] حسرةً عليهم وندامةً؛ إذ لم يصدّقوا به بقلوبِهم وضَمائرهم

---

(١) وفي «ظ»: «غُبَّرات»، والغُبّر جمع غَابِر، والغُبَّرات جمع غُبَّر، والمراد: بقايا أهل الكتاب.

(٢) وفي «ظ»: «يتراءىٰ».

(٣) وفي «ظ»: «يتراءىٰ».

(٤) زيادة من «ظ».

وبوعدِه ووعيده، وما أمرَ به ونهىٰ [عنه][1]، وبيوم الحسرة والندامة.

■ وفي خبر سُهيلٍ، عن أبيه، عن أبي هُريرة قال: «فيلقىٰ العبدَ، فيقول: أي فُل: ألم أكرِمْكَ؟...»، إلىٰ قوله: «فاليوم أنساكَ كما نسيتني»[2].

فاللقاءُ الذي في هذا الخبر غير التراءي، لا أنَّ[3] الله عز وجل تراءىٰ[4] لمن قال له هذا القول.

وهذا الكلام الذي يكلِّم به الربُّ جلّ ذكره عبدَه الكافر يومَ القيامةِ كلام من وراء حجابٍ[5]، من غير نظر الكافر إلىٰ خالِقِه في الوقت الذي تكلَّم[6] به ربُّه عزّ وجلّ.

وإن كان كلامُ الله إياه كلامَ توبيخٍ، وحسرةٍ، وندامةٍ للعبدِ، لا كلامَ بشْرٍ، وسُرورٍ، وفرحٍ، ونضرةٍ، وبهجةٍ.

ألا تسمعه يقولُ في الخبر بعد ما يتبع أولياء الشيطان، واليهود، والنصارىٰ أولياءهم إلىٰ جهنم، قال:

«ثم نبقىٰ أيها المؤمنون، فيأتينا ربُّنا، فيقولُ: علىٰ ما هؤلاء قيام؟

---

(١) زيادة من «ظ».

(٢) سبق برقم (٣٠٤).

(٣) في الأصول: «لأن»، ولا يستقيم الكلام بذلك، ثم رأيت شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ نقل العبارة عن إمام الأئمة، فقال في «الفتاوىٰ» (٦/ ٤٩١): «قال ابن خزيمة والقاضي أبو يعلىٰ وغيرهما (اللقاء) الذي في الخبر غير الترائي **لا أن** الله تراءىٰ لمن قال له هذا القول»، فلله الحمد من قبل ومن بعد.

(٤) وفي «ظ»: «يتراءىٰ».

(٥) وفي «ظ»: «الحجاب».

(٦) وفي «ظ»: «يُكلِّم».

فيقولون: نحنُ عبادُ الله المؤمنون، وعبدْناه، وهو ربُّنا، وهو آتِينا ويُثبتنا، وهذا مقامُنا، فيقول: أنا ربُّكم»، قال: «فيُوضَع[1] الجسرُ».

أفلا تسمع أن قولَه: «فيأتينا ربُّنا»، إنما ذكرَه بعد تساقط الكفّار واليهود والنَّصارىٰ في جهنمَ؟

فهذا الخبر دالٌّ أنّ قولَه: «فيلقىٰ العبدَ»، وهو لقاءٌ غير رؤيةٍ.

قال الله جل وعلا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا...﴾ [يونس: ٧].

وقال: ﴿فَنَذَرُ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [يونس: ١١].

وقال: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

وقال: ﴿قَالَ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ﴾ [يونس: ١٥].

والعلم محيطٌ أن النبيَّ ﷺ لم يُرد بقوله: «من لقي الله لا يُشرك به شيئًا دخلَ الجنة، ومن لَقِي الله يشركُ شيئًا به دخلَ النار»، لم يُرِدْ مَن يرىٰ الله وهو يُشركُ به شيئًا.

واللقاء هو غَير الرؤيةِ والنظر.

ولا شك ولا ارتياب أن قولَه: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الآخِرَةِ﴾، ليس معناه: ورُؤية الآخرة.

---

(١) في «ظ»: «فيضع».

٤٧ ـ باب ذكر البيان أن جميع المؤمنين يرونَ اللهَ يوم القيامة مخليًّا به عزّ وجلّ، وذكر تشبيه النبيّ ﷺ رؤية القمر خالقهم ذلك اليوم بما يدرك علمه في الدنيا عيانًا ونظرًا ورؤيةً

٣٥٩ ـ عن أبي رَزِين قال: قلتُ: يا رسولَ اللهِ! أَكُلُّنا نَرىٰ (يرىٰ) اللهَ مخليًّا بِهِ [يوم القيامة]؟

قال: «نَعَم».

قال: وَمَا آيةُ ذلك في خلقِ اللهِ؟

قالَ: «أليسَ كلُّكم يرىٰ (ينظر إلىٰ) القمر ليلةَ البدرِ [مخليًّا به]؟

[قلت: بلىٰ] وإنما هُو خلقٌ من خَلْقِ اللهِ.

قال: «فاللهُ أجلُّ وأعظم»[1].

[قلت: يا رسول الله! كيف يُحيي الله الموتىٰ، وما آيةُ ذلك في خَلقِهِ؟

فقال: «يا أبا رَزِين! أما مررْتَ بوادي أهلك مَحْلاً[2]، ثم مررتَ به يهتزُّ خَضِراً، [ثم أتيتَ عليه محْلاً، ثم مررتَ به يهتزُّ خَضِراً؟][3].

قلتُ: بلىٰ.

قال: «فكذلك يُحيِي اللهُ الموتىٰ، وكذلك آيةُ اللهِ في خَلْقِه»[4]].

٣٦٢ ـ عن أبي مُراية

عن أبي موسىٰ الأشعري قال: شخصَ الناسُ بأبصارهم[5] ـ قال: رفعُوا

(١) حسن لغيره. ورواه أبو داود (٤٧٣١)، وأحمد (٤/ ١١).

(٢) الْمَحْل: الجدب، وهو انقطاع المطر، ويبس الأرض من الكلأ.

(٣) زيادة من «ظ».

(٤) انظر «التصديق بالنظر إلى الله تعالىٰ في الآخرة» للآجري (٣٧و٣٨) بتحقيقي.

(٥) وفي «ظ»: «أبصارهم».

أبصارَهُم ـ ينظرون!

قال النبيُّ ﷺ: «ما تنظُرون؟». قالوا: [إلى][1] الهلال.

قالَ: «فوَالله لترونَّ الله يومَ القيامةِ، كما تَرَوْنَ هذا الهلالَ»[2].

قال أبو بكر: ذِكْرُ النبي ـ ﷺ ـ في هذا الخبر بهذا الإسناد ـ عِلْمي ـ وَهَمٌ هذا القول من قِبَلِ أبي موسى الأشعريّ، لا من قولِ النبيِّ ﷺ.

---

(١) زيادة من «ظ».

(٢) رواه الدارمي في «الرد على الجهمية» (١٩٦)، واللالكائي في «أصول الاعتقاد» (٨٦٢)، وعبد الله ابن أحمد في «السنة» (٢٧٨) من طرق عن سليمان التيمي بهذا الإسناد موقوفًا.

وهذا هو الثابت كما ذكر المصنف.

وأبو مراية ذكره الحافظ في «تعجيل المنفعة» (١٣٤٠) في الكنى، ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلاً، وكذا فعل من قبله ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٢/ ٢/ ١١٨)، وذكره ابن سعد في «الطبقات» (٧/ ٢٣٦)، وقال: «كان قليل الحديث».

وهو من التابعين؛ إذ يروي عن الصحابة، فهو كما في «الجرح والتعديل»: «يروي عن سلمان، وأبي موسى الأشعري، وعمران بن حصين».

وذكره أيضًا ابن حبان في «الثقات» (٥/ ٣١)

«تنبيه»: هذا الحديث رواه مرفوعًا الآجري في كتاب «التصديق» (٤١) من طريق المعتمر بن سليمان، عن أبيه، به، إلا أنه وقع عنده: «عن أبي بردة» مكان: «عن أبي مراية»، وهو كذلك في «الشريعة» أيضًا، وبينت هناك أن الصواب «عن أبي مراية»، ثم ترجمت له، فجاء محقق «كتاب الشريعة» الدميجي، وترك الأصل على ما فيه: «عن أبي بردة»، ثم علق في «الحاشية» قائلاً: «عند عبد الله بن أحمد في «السنة»، وابن خزيمة في التوحيد، واللالكائي (أبو مراية) بدل: (أبي بردة)».

ثم قال ـ جازمًا ـ: «إسناده حسن»! ولا أدري كيف تأتى له ذلك! مع أنه لم يقطع في اسم الراوي بشيء، فإن كان «أبو مراية» فلم يترجم له إلا من التعجيل! فكيف يكون الإسناد حسنًا، وفيه: «مجهول»، وإن كان ـ عنده ـ «أبو بردة» فأيضًا كيف يكون الإسناد حسنًا، وهو ثقة من رجال الشيخين؟!

والغريب أنه كان انتقدني في مقدمة الشريعة (١/ ٢٦٠)! وكنت رددت عليه ـ عرضًا ـ في مقدمة الطبعة الثانية من «بلوغ المرام» طبع دار الضياء بالرياض، ولعلي أتعرض لشيء من ذلك في مقدمة «التصديق» في طبعة قادمة إن شاء الله ذلك وقدره.

٤٨ ـ باب ذكر البيان أن رؤية الله التي يختصّ بها أولياءه يوم القيامة؛ التي ذكر الله في قوله: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾

ويفضّل بهذه الفضيلة أولياءَه من المؤمنين، ويحجب جميعَ أعدائه عن النظر إليه؛ من مُشركٍ، ومتهوّدٍ، ومتنصّرٍ، ومتمجّس، ومنافق.

كما أعلمَ في قوله: ﴿ كَلا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ﴾.

وهو نظرُ أولياء الله إلىٰ خالقهم جلّ ثناؤه بعد دخول أهلِ الجنة الجنةَ، وأهلِ النَّار النارَ، فيزيد الله المؤمنين كرامةً وإحسانًا إلىٰ إحسانه ـ تفضُّلاً منه وجُودًا ـ بإِذْنِهِ إيَّاهُم النظرَ إليه، ويحجب عن ذلك جميعَ أعدائه.

٣٦٤ ـ عن صُهيب، عن النبيِّ ﷺ في قوله [تعالىٰ][1]: ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ [يونس: ٢٦]، قال: «إذا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، [وأَهلُ النَّارِ النَّار] نادىٰ منادٍ: يا أهلَ الجنة! إنَّ لَكُمْ عِنْدَ ربِّكُمْ مَوْعِدًا[لم تروه][يريد أنْ يُنْجِزَكُمُوه]. فيقولُونَ: ما هو؟: ألم [تُثقِّلْ مَوازِينَنَا و] تبيّضْ وجُوهَنا، وتنجّنا من النَّارِ، وتدخلْنا الْجَنَّةَ؟». قال: «فيكشِفُ الحجابَ [فينظرون إليه تعالىٰ]».

قال: «فواللهِ ما أعطاهُم[اللهُ] شيئًا [قط] هو أحبّ إليهم من النظرِ إليه»[2].

٣٦٧ ـ عن عبد الرحمن بن أبي ليلىٰ؛ أنه تلا هذه الآية: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، قال: إذا دخلَ أهلُ الجنةِ الجنةَ، أُعطُوا فيها ما شَاءوا وما سألُوا، قال: ثُمَّ يُقالُ لهم: إنه قد بَقِيَ مِنْ حقّكُم شيءٌ لم تُعْطَوه، قال: فيتجلّىٰ لهم [تبارك وتعالىٰ]، فيصغرُ عِندهُم ما أُعْطُوا عند ذلك، ثم تلا:

---

(١) زيادة من «ظ».

(٢) صحيح. ورواه مسلم(١/ ١٦٣/ ١٨١)، والنسائي في «الكبرىٰ»، والترمذي (٢٥٥٥ و ٣١٠٥)، وابن ماجه(١٨٧)، وأحمد (٤/ ٣٣٣). وانظر أيضًا «التصديق بالنظر»(٣٤ و ٣٥ و ٣٦ بتحقيقي).

﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ قال: الحسنى: الجنة، والزيادة: نظرهم إلى ربِّهم، ولا يرهقُ وجُوهَهم قترٌ ولا ذِلَّةٌ بعد نظرهم إلى ربِّهم[1].

٣٧٠ ـ عن عبد الرحمن بن أبي ليلى؛ أنه سُئل عن قول الله تبارك وتعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ قال: إنَّ أهلَ الجنَّةِ إذا دَخلوا الجنَّةَ، وأُعْطُوا فيها من النَّعيم والكرامةِ، نُودوا: يا أهلَ الجنةِ! إنَّ اللهَ قد وعدَكُم الزيادةَ، قال: فيُكْشَفُ الحجابُ، ويتجلَّى لهم تباركَ وتعالى، فما ظنُّك بهم حين ثَقُلَتْ موازينُهم، وحين طارتْ صُحُفُهم في أيمانهم، وحين جازوا جسرَهم[2] فقطعوه، وحينَ دخلُوا الجنَّة، فأُعْطُوا فيها من النَّعيم والكرامةِ، قال: فكأنَّ هذا لم يكُنْ شيئًا فيما أُعْطُوه[3][4].

٣٧٢ ـ عن حُذيفة: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾، قال: النَّظرُ إلى وجهِ اللهِ عزّ وجَلّ[5].

٣٧٧ ـ عن الحسن في قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾، قال الناضرة: حسنة؛ حسَّنَها اللهُ بالنظر إلى ربِّها، وحقّ لها أن تنضرَ وهي تنظرُ إلى ربِّها[6].

٣٨٠ ـ عن قتادةَ في قوله: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ قال: ذُكِر لنا: أنَّ المؤمنينَ إذا دخلُوا الجنةَ، ناداهم منادٍ: إنَّ اللهَ تبارك وتعالى وعدَكم

(١) صحيح مقطوعًا. ورواه الطبري(١١/ ١٠٥). وهذا المقطوع أشار إليه الترمذي.

(٢) في المطبوع: «جسر جهنم».

(٣) قال الشيخ هراس رحمه الله: «يعني أن كل ما أعطوه في الجنة لا يعد شيئًا إذا قيس بما يحصل لهم من اللذة عند النظر إلى وجه الله عز وجل».

(٤) حسن صحيح مقطوعًا. ورواه الطبري(١١/ ١٠٦).

(٥) حسن. ورواه ابن أبي عاصم في «السنة» (٤٧٤)، وعبد الله بن أحمد في «السنة» (٢٨٧).

(٦) ورواه الآجري في «الشريعة» ص(٢٥٦). وانظر «التصديق» (١٥) بتحقيقي.

الحسنَىٰ[1]، وهي الجنة. وأمّا الزيادة: فينظروا[2] إلىٰ وجه الرّحمن. قالَ اللهُ تَبَارَكَ وتَعَالىٰ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[3].

قال أبو بكر: فاسمعوا الآن خبراً ثابتًا صحيحًا من جهة النقل، يدلُّ علىٰ أن المؤمنينَ يرون خالِقَهم جلّ ثناؤه بعدَ الموت، وأنَّهم لا يرونَه قبلَ الممات.

ولو كان معنىٰ قوله: ﴿لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ﴾ علىٰ ما تتوهمه الجهمية المعطّلة؛ الذين يجهلون لُغَةَ العرب، فلا يفرّقون بينَ النظر وبين الإدراكِ، لكان معنىٰ قوله: ﴿لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ﴾، أي: أبصارُ أهلِ الدُّنيا قبل الممات[4].

قال أبو بكر: في قوله: «لنْ تَرَوا ربَّكُم حتَّىٰ تَمُوتوا»[5] دلالةٌ واضحةٌ[6].

---

(١) في «الأصل»: «الحسنة»، والمثبت من «ظ».

(٢) وفي «ظ»: «فينظر».

(٣) صحيح. رواه الطبري (١١/ ١٠٦)، واللالكائي في «أصول الاعتقاد» (٧٩٨).

(٤) قال الشيخ هراس ـ رحمه الله ـ: «يعني: لو كان الإدراك بمعنىٰ الرؤية، لوجب التخصيص في الآية حتىٰ تتفق مع أحاديث الرؤية».

(٥) هذا حديث صحيح روي عن غير واحد من أصحاب النبي ﷺ.

(٦) يعني: «علىٰ أن المؤمنين يرون خالقهم جل ثناؤه بعد الموت، وأنهم لا يرونه قبل الممات»، كما قال المصنف آنفًا.

٤٩ ـ باب ذكر الأخبار المأثورة في إثباتِ رؤيةِ النبيِّ ﷺ خالقه العزيز العليم المحتجب عن أبصار بريته قبل اليوم الذي تجزى فيه كل نفس بما كسبت يوم الحسرة والندامة

وذكر اختصاص الله نبيّه محمداً ﷺ بالرؤية، كما خصّ نبيّه إبراهيم بالخلّة من بين جَميع الرُّسل والأنبياء جميعًا، وكما خصّ نبيّه مُوسىٰ بالكلام خُصوصية خصّه اللهُ بها من بينِ جميعِ الرُّسلِ.

وخصّ الله كل واحدٍ منهم بفضِيلةٍ وبدرجة سَنِيّة ـ كرمًا منه وجودًا ـ كما خبّرنا عزّ وجلّ في مُحكم تنزيله في قولِهِ: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

٣٨٣ ـ عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما قال: أتَعْجَبُونَ أنْ تَكُونَ الخلّةُ لإبراهيمَ، والكلامُ لموسىٰ، والرؤيةُ لمحمدٍ ﷺ[1].

٣٨٧ ـ عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما قال: إنَّ اللهَ اصطَفَىٰ إبراهيمَ بالخلّة، [واصطفىٰ] مُوسىٰ بالكلامِ، واصْطَفَىٰ مُحَمّدًا ﷺ بالرُّؤْيَة[2].

٣٨٩ ـ عن ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما قال: رَأَىٰ مُحَمَّدٌ ﷺ رَبَّهُ[3].

قال أبو بكر: وقد اختُلف عن ابن عباس، في تأويلِ قوله: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ [النجم: ١١]. فروىٰ بعضُهم عنه أنه قال: رآه بفؤاده.

٣٩٣ ـ عن أبي العالية، عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما في قوله: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ قال: رآهُ بفؤادِهِ[4].

---

(١) حسن صحيح. رواه اللالكائي (٤٤٢)، وابن منده في «الإيمان» (٧٦٢)، والحاكم (٢/ ٤٦٩).

(٢) صحيح. ورواه الآجري في «الشريعة» ص(٤٩١).

(٣) صحيح موقوفًا.

(٤) صحيح. ورواه مسلم(١٧٦).

٣٩٤ ـ عن ابنِ عباسٍ في قولِهِ: ﴿مَا كَذَبَ الفُؤادُ مَا رَأىٰ﴾، قال: رآه بقلبِهِ.[١]

٣٩٦ ـ عن ابنِ عباسٍ في قولِهِ: ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾ قال: عبده محمد ﷺ[٢].

٣٩٧ ـ عن عطاء، عن ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما قال: رَآهُ مرّتين[٣].

قال أبو بكر: احتجّ أصحابُنا[٤] بهذا الخبر أن ابن عباس وأبا ذر كانا يتأوّلان هذه الآية؛ أنّ النبيّ ﷺ رأىٰ ربَّه بفؤاده. لقوله بعد ذكر ما بيّنا ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ مَا كَذَبَ الفُؤادُ مَا رَأَىٰ﴾، وتأولا قوله: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾ إلىٰ قولِه: ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾، أن النبيّ ﷺ دَنَا من خالقِهِ عزّ وجلّ قاب قوسينِ أو أدْنَىٰ، وأن الله عزّ وجلّ أوحىٰ إلىٰ النبيّ ﷺ [محمدٍ ما أوحىٰ، وأنّ فؤاد النبيّ ﷺ][٥] لم يكذب ما رأىٰ، يعنون: رؤيته خالقه جلّ وعلا.

قال أبو بكر: وليس هذا التأويل الذي تأولوه بهذه الآية بالبين، وفيه نظرٌ؛ لأنّ الله إنما أخبرَ في هذه الآية أنه رأىٰ من آيات ربِّه الكبرىٰ، ولم يُعلِم اللهُ في هذه الآية أنه رأىٰ ربَّه جلّ وعلا. وآياتُ ربِّنا ليس هو ربنا جلّ وعلا، فتفهموه، لا تُغالطوا في تأويل هذه الآية.

---

(١) صحيح. ورواه الترمذي (٣٢٨١)، وقال: «حسن».

(٢) قال الشيخ هراس ـ رحمه الله ـ: «هذا صحيح، ولكن الذي أوحىٰ في الآية هو جبريل عليه السلام، بدليل الآيات قبله، ومن قوله: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ القُوَىٰ﴾. أهـ.

(٣) صحيح. ورواه مسلم (١٧٦)، وابن منده في «الإيمان» (٧٥٨، ٧٦١) من طرق عن عطاء به، ولفظه: «رآه بقلبه». وفي لفظ لمسلم: «رآه بفؤاده مرتين».

(٤) في المطبوع: «بعض أصحابنا».

(٥) زيادة من «ظ».

واحتج آخرُون من أصحابنا في الرؤية:

٣٩٨ ـ عن عكرمةَ قال: قال ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إلا . . .﴾، قال: هي رؤيا عين [ليس رُؤيا منام] أُريها النَّبيُّ ﷺ ليلةَ أُسريَ بِهِ[١].

[قال: ﴿وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ﴾، قال: هي شجرةُ الزَّقُّومِ].

وليس الخبر بالبيِّن أيْضًا؛ أن ابن عباس أراد بقوله: رُؤيا عينٍ، رؤية النبيِّ ﷺ ربّه بعينه، لست أستحلّ أن أحتجّ بالتَّمويه ولا أستجيز أن أموّه على مُقْتَبِسِي العِلم. والخبر، عن ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما مبين واضح؛ أن ابن عباس كان يثبت أنَّ النبيَّ ﷺ قدْ رأى ربه.

٤٠٢ ـ عن ابنِ عبَّاسٍ في قولِهِ: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ قال: رأى ربَّه[٢].

٤٠٣ ـ عن كعبٍ قال: إنَّ اللهَ قسم رؤيتَهُ وكلامَه بين مُوسىٰ ومُحَمَّد ـ صلواتُ اللهِ عَلَيْهِمَا ـ فَرآهُ مُحمّدٌ مَرّتين، وكلّمَ مُوسىٰ مَرّتين[٣].

قال أبو بكر: والدّليل علىٰ صحّة ما ذكرتُ أن آيات ربنا الكبرىٰ، غير جائزٍ أن يتأول أن آيات ربِّنا هو ربُّنا.

---

(١) صحيح. ورواه البخاري(٣٨٨٨و٤٧١٦و٦٦١٣) والترمذي(٣١٣٤)
وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح».
وليس في هذا الأثر ما يدلُّ على رؤية النبي ﷺ ربه، كما أشار المصنف ـ رحمه الله ـ إلى ذلك؛ إذ ليس في الرواية التصريح بالمرئي.

(٢) حسن.
وسيأتي تفسير ذلك مرفوعًا عن النبي ﷺ بأنه رأى جبريل، وعلى كلٍّ فليس في هذه الرواية إثبات رؤية النبي ﷺ ربه رؤية عين عن ابن عباس، وإنما فيها إثبات الرؤية مطلقة، فتحمل على ما صح عنه، بأنها رؤية قلب، أو رؤية فؤاد، كما في الروايات السابقة. والله أعلم.

(٣) حسن. رواه عبد الله بن أحمد في «السنة» (٣٦٤).

٥٠ ـ أخبار عبد الله بن مسعود

٤٠٤ ـ عن الشَّيبانيّ قال: سألتُ زرّ بن حُبَيْش: عنْ قَولِ الله عزّ وجلّ: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾؟ قال: فقال أخبرَني ابنُ مَسْعُودٍ؛ أنّ النبيّ ﷺ رأىٰ جبريل، له ستّمائة جناح[1].

٤٠٧ ـ عن أبي إسحاق قال: أتيتُ زرّ بن حُبَيْش، وعليّ درّتان ـ أو في أذنيّ درّتان ـ فأُلقيتْ عليّ منه محبّةٌ، فجعل الناسُ يقولون لي: سَلْهُ سَلْهُ، فسألْتُه: عن قوله عزّ وجلّ: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾. قال: حدّثنا ابنُ مسعودٍ؛ أنَّ رسُولَ اللهِ ﷺ قال: «نظرتُ إلىٰ جبريلَ له ستّمائة جناح»[2].

٤٠٨ ـ عن زرّ، عن ابنِ مسعودٍ، في قوله: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ﴾، قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «رأيتُ جبريلَ عندَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهىٰ عليه ستّمائة جناحٌ، يتناثرُ منه التهاويل[3]؛ الدرُّ والياقوتُ»[4].

٤١٤ ـ عن عبدِ اللهِ في قولِهِ تعالىٰ: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ﴾، قال: رأىٰ رسولُ اللهِ ﷺ جبريلَ في حُلّة رفرفٍ، ملأ ما بين السَّماءِ والأرضِ[5].

٤١٦ ـ عن علقمة، عن عبدِ الله: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ﴾ أو: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾، قال: رأىٰ رَفْرَفًا أخضرَ سدّ أُفُقَ السَّماءِ[6].

---

(١) صحيح. ورواه البخاري (٤٨٥٦ و ٣٢٣٢)، ومسلم (١٧٤).

(٢) صحيح لغيره.

(٣) التهاويل: «الأشياء المختلفة الألوان، ومنه يقال لما يخرج في الرياض من ألوان الزهر: التهاويل، وكذلك لما يعلق على الهوادج من ألوان العهن والزينة، وكأن واحدها: تَهْوَالٌ، وأصلها مما يهول الإنسان ويحيره». قاله في «النهاية».

(٤) حسن. ورواه أحمد (١/ ٤١٢ و٤٦٠)، والنسائي في «التفسير» (٥٦٢).

(٥) صحيح. رواه الترمذي (٣٢٨٣)، وقال: «حسن صحيح».

(٦) صحيح. ورواه البخاري (٣٢٣٣ و٤٨٥٨).

قال أبو بكر: فأخبار ابن مسعود دالةٌ على أن قوله: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ﴾ أي: رأى جبريلَ على الصفَةِ التي ذُكرت في هذه الأخبار.

وأما قوله: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾فغير مُستنكر أن يكون معنى هذه الآية على ما قال ابنُ عباسٍ؛ أن النبيَّ ﷺ رأى ربَّه مرتين[1]لا تأويل قوله ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ﴾لأنه قد رُوي عن أبي ذرٍّ خبرٌ قد اختلفَ علماؤنا في تأويله لأنه رُوي بلفظةٍ تحتمل النفي والإثبات جميعًا على سَعة لسان العرب.

٤٢١ ـ عن عبد الله بن شَقِيق قال: قلتُ لأبي ذر: لو رأيتُ رسولَ الله ﷺ لسألتُه! قال: عن أي شيءٍ كنتَ تسألُه؟ قال: لسألتُه: هل رأيتَ ربَّك (هل رأى ربه)؟ قال: قد سألتُه [أنا]؟ فقال: «[نور] أَنَّى أراهُ»[2].

قال أبو بكر: في القلب من صحّة سند هذا الخبر شيءٌ؛ لم أر أحدًا من أصحابنا؛ من علماء أهل الآثار فطِنَ لعلّةٍ في إسناد هذا الخبر، فإن عبد الله بن شقيق كأنه لم يكن يُثبت أبا ذر، ولا يعرفه بعينه، واسمه، ونسبه؛ لأن:

٤٢٤ ـ عبد الله بن شَقِيق قال: أتيتُ المدينةَ، فإذا رجلٌ قائمٌ على غرائرَ سُودٍ[3]، يقول ألا ليبشّر أصحاب الكُنوزِ بكيٍّ في الجِباه والجنوبِ[4]. فقالوا:

---

(١) قال الشيخ هراس ـ رحمه الله ـ: «لا، بل هو بعيد جدًا، وتقطيع لأوصال الآيات، فإنّ الكلام لا يزال في شأن جبريل ومحمد ـ عليهما السلام ـ، والتأويل الصحيح لهذه الآيات: «ولقد رأى محمدٌ جبريل نزلة ـ أي مرّة أخرى ـ عند سدرة المنتهى. . .».

(٢)صحيح. ورواه مسلم (١٧٨)، وأحمد (٥/ ١٧١و١٧٥).

وقال الشيخ هراس ـ رحمه الله ـ: «هذا غير محتمل للنفي والإثبات، بل هو صريح في النفي، وقد جاء على صورة الاستفهام الإنكاري، الذي هو أبلغ من النفي الصريح». أ هـ.

(٣) الغرارة: وعاء من الخيش ونحوه يوضع فيه القمح ونحوه، وهو أكبر من الجوالق، ويجمع على غرائر.

(٤) تحرف في الأصل إلى: «الحياة والموت»!، وهو على الصواب في «ظ»، ويشير أبو ذر رضي الله عنه=

هذا أبو ذرٍّ صاحبُ رسولِ الله ﷺ.

قال أبو بكر: فعبد الله بن شقيق يذكر [بعد] موت أبي ذر، أنه رأى رجلاً يقول هذه المقالة، وهو قائمٌ على غرائرَ سود، خُبِّر أنه أبو ذر، كأنه لا يثبته، ولا يعلم أنه أبو ذر[1].

وقوله: «نورٌ أنى أَراه»، يحتمل معنيين:

أحدهما: نفيٌ، أي: كيف أَراه، وهو نورٌ؟

والمعنى الثاني: أي: كيف رأيته، وأين رأيته وهو نورٌ؟ فهو نورٌ لا تدركه الأبصارُ إدراكَ ما تدركه الأبصارُ مِن المخلوقين، كما قال عكرمةُ: إنّ الله إذا تجلّى بنُورِه لا يُدركه شيءٌ.

والدليل على صحة هذا التأويل الثاني أنّ

٤٢٥ ـ عبد الله بنَ شَقيق قال: قلت لأبي ذرٍّ: لو رأيتُ رسولَ الله ﷺ

= بذلك إلى قول الله عزّ وجلّ: ﴿والذين يكنزون الذهبَ والفِضةَ ولا يُنفقونها في سبيل الله فبشّرهم بعذابٍ أليم . يوم يُحمى عليها في نارِ جهنمَ فتُكوى بها جباهُهم وجنوبُهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون﴾ [التوبة: ٣٤ ـ ٣٥]. ورواه عبد الرزاق(٤/ ٢٩) ولم يذكر عبد الله بن شقيق.

(١) ليس في الأثر أن عبد الله بن شقيق دخل المدينة بعد موت أبي ذر رضي الله عنه، وكيف يكون ذلك، وفي الأثر: «فقالوا: هذا أبو ذر؛ صاحب رسول الله ﷺ»؟!

ثم في الأثر المتقدم ما يدل على معرفة عبد الله بن شقيق لأبي ذر وسؤاله؛ فإن صح ما احتج به ابن خزيمة فينبغي أن يحمل على ما قبل معرفة عبد الله لأبي ذر.

ثم ما اعتبره ابن خزيمة رحمه الله علة ليس بعلة، ولا ترد الآثار بذلك، وخذ مثالاً على ذلك، ففي حديث رواه البخاري(١٤٠٧)، ومسلم ـ واللفظ له ـ(٩٩٢) من طريق الأحنف بن قيس قال: قدمت المدينة، فبينا أنا في حلقة فيها ملأ من قريش، إذ جاء رجل أخشن الثياب، أخشن الجسد، أخشن الوجه، فقام عليهم، فقال: بشر الكانزين بكيٍّ في ظهورهم يخرج من جنوبهم، وبكي من قبل أقفائهم يخرج من جباههم.

قال: ثم تنحى فقعد. قال: قلت: من هذا؟ قالوا: هذا أبو ذر . . .

ثم رأيت ابن كثير رد قول ابن خزيمة هذا، فقال في «تفسيره» (٤/ ٢٥٣):

«وحاول ابن خزيمة أن يدعي انقطاعه بين عبد الله بن شقيق وبين أبي ذر».

لسألتُه! فقال: عن أي شيء كنت تسأله؟ فقال: كنتُ أسأله: هل رأيتَ ربك؟ فقال أبو ذر: قد سألته، فقال: «رأيتُ نوراً»[1].

قال أبو بكر: قوله: «أنى»، يحتمل معنيين:-

أحدهما: النفي.

والآخر: الإثباتُ.

قال الله جل وعلا: ﴿نِسَاؤكُم حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٣].

فمعنى «أنَّى»، أي: شئتم، فيجوز أن يكون معنى خبر أبي ذر: أنا أراه[2]

فمعنى «أنى» في هذا الموضع، أي: كيف شئتم، وأين شئتم.

فيجوزُ أن يكون معنى خبرِ أبي ذرٍّ: «أنى أَراه»، أي: أين أراه، أو كيف أراه؟ فهو نورٌ، كما رواه معاذ بنُ هشام، عن أبيه؛ خبر أبي ذرٍّ: «رأيتُ نوراً» فعلى هذا اللفظ، يكون معنى قوله: «أنى أراه»، أي: أين أراه، أو كيف أراه؛ فإنما أرى نوراً.

والعربُ قد تقول: أنى على معنى النفي، كقوله عز وجل: ﴿قالُوا أنَّى يكونُ له الملكُ علينا. . .﴾ الآية [البقرة: ٢٤٧].

يريدون: كيف يكونُ له الملكُ علينا، ونحن أحقّ بالملك منه؟

فلو كان معنى قول أبي ذر - من رواية يزيد بن إبراهيم التُّستري -: «أنى أراه»، أو: «أنى أراه» على معنى نفي الرؤية، فمعنى الخبر: أنه نفى رؤية

(١) حسن صحيح. ورواه مسلم(١٧٨).

وقال الشيخ هراس - رحمه الله -: «قوله: رأيت نوراً، يفيد أنه لم يرد بذلك النور نور ذاته عز وجل، وإلا لقال للسائل: نعم رأيته، فهو أراد أن يفهم السائل أن الذي رآه هو النور، ولعله نور الحجاب، كما ورد في حديث أبي موسى: «حجابه النور»، وهو الذي حال دون رؤيته له سبحانه». أ هـ.

(٢) كذا العبارة!

الرب ؛ [لأن] أبا ذر قد ثبتَ عنه أنه خبّر ؛ أنّ النبيَّ ﷺ قد رأىٰ ربَّه بقلبِه[1] .

٤٢٨ ـ عن أبي ذرٍّ، في قوله تعالىٰ : ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخرىٰ﴾ قال : رآهُ بقلبِه، يعني : النبيّ ﷺ[2] .

٤٢٩ ـ عن أبي ذرٍّ قال : رآهُ بقلبه، ولم يره بعينيه[3] .

قال أبو بكر : فلو كان أبو ذر سمعَ النبيَّ ﷺ يُنكر رؤيةَ ربه جل وعلا بقلبِه وعينه جميعًا، في قوله : «نورٌ أنَّىٰ أَراه»[4] ، لما تأوّل الآية التي تلاها[5] قوله : ﴿ولقد رآه نزلةً أخرىٰ﴾ خلاف ما سمع النبيّ ﷺ يقول .

إذ العلمُ محيط أن النبيَّ ﷺ لا يقول خلافَ الكتابِ، ولا يكون الكتابُ خلاف خبرِ النبيِّ ﷺ الثابت عنه، وإنما يكون خبرُ النبيّ ﷺ أبدًا موافقًا لكتاب الله ، لا مخالفًا لشيءٍ منه .

ولكن قد يكون لفظُ الكتابِ لفظ عام مرادُه خاص ، وقد يكونُ خبرُ النبيِّ ﷺ لفظه لفظ عام مرادُه خاص، فبين النبي ﷺ بسنته أن بعض ما كان لفظ عام مرادُه خاصٌ من الكتاب والسنة .

ولولا أنّ تأويل هذه الآية صحّ عندنا وثبتَ عن النبيِّ ﷺ أنّه علىٰ غيرِ ما تأوله أبو ذرٍّ رحمه الله، فجاز أن[يكون]خبرا أبي ذر الذين ذكرنَاهما من الجنسِ

---

(١) قال الشيخ هراس ـ رحمه الله ـ : «هذا هو الحق، وهو الموافق لكثير من الروايات عن ابن عباس كما تقدم، والمعول عليه أن الرؤية بالبصر لم تقع لأحد في الدنيا» . أهـ .

(٢) صحيح .رواه الدارقطني في «الرؤية» (٢٨٩) .

(٣) صحيح . رواه النسائي في «التفسير»(٥٥٦)، وعنده : « ببصره» بدل : «بعينيه» .

(٤) في الأصل : «نورًا أنا أراه»، وفي «ظ» : «نورًا أنّىٰ أراه»، وصواب هذه الجملة «نورٌ أنّىٰ أَراه»، وقد أعضل أمر هذا الحديث علىٰ كثير من الناس حتىٰ صحّفه بعضُهم، كما في «فتاوىٰ» شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ (٦/ ٥٠٧) .

(٥) وفي «ظ» : «تليها» .

الذي نقول: جائزٌ أن يكونَ النبيّ ﷺ سأله أبو ذر في بعضِ الأوقات: هل رأىٰ ربَّه جل وعلا [ولم يكُن قد رآه بعدُ، فأعلَمه أنَّه لم يره، ثم رأىٰ ربَّه جل وعلا][1] بعد ذلك، فتلا عليه الآية، وأعلَمه أنه رآه بقلبِه.

ولكن قد ثبتَ عن النبيِّ ﷺ أنه سُئل عن هذه الآية؟ فأخبرَ أنَّه إنما رأىٰ جبريلَ علىٰ صُورتِهِ، فثبتَ أن قولَه: ﴿ولقد رآه نزلةً أخرىٰ﴾، إنما هو رؤية النبيِّ جبريلَ صلىٰ الله عليهما وسلم، لا رؤية النبيّ ﷺ ربَّه عز وجل.

وجائزٌ أن يكون النبيّ ﷺ قد رأىٰ ربَّه علىٰ ما خبّر ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما، ومَن قال ممن حكينا قولَه: أن محمداً ﷺ قد رأىٰ ربَّه، لا لتأويلِ هذه الآية: ﴿ولقد رآه نزلةً أخرىٰ﴾.

وقد روي خبرٌ، يتوهّم كثيرٌ من طلابِ العلمِ، مِمّن لا يفهم علل الأخبار أنّه خبرٌ صحيحٌ من جهة النَّقلِ، وليس كذلك هو عند علماءِ الحديثِ.

وأنا أبيّن علله إن وفقَ اللهُ لذلك؛ حتىٰ لا يغترّ بعض طلاب الحديثِ به، فيحتج بغير الثابت من الأخبار.

وقد أعلمتُ مالا أُحصي من مرة أني لا أستحلّ أن أُموِّه علىٰ طلابِ العلم بالاحتجاج بالأخبارِ الواهيةِ[2]؛ فإني خائفٌ من خالقي جلّ وعلا إذا موّهتُ علىٰ طلاب العلم بالاحتجاج بالأخبار الواهية، وإن كانت الأخبار حجّة لمذهبي[3].

٤٣٧ ـ عن خالد بن اللجلاج قال: حدّثني عبدُ الرحمن بن عائشٍ الحضرميّ قال: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «رأيتُ ربِّي في أحسن صورةٍ،

---

(١) زيادة من «ظ».

(٢) في الأصل: «بالخبر الواهي»، والمثبت من «ظ».

(٣) رحم الله أهل الحديث ـ وابن خزيمة من أئمتهم ـ فإن هذا الورع والدين لا تكاد تجده في غيرهم.

فقال: فيم يختصمُ الملأُ الأعلىٰ يا محمّد؟».

قال: «قلتُ: [لا أدري]أي رب، مرتين، فَوَضَعَ كفّه بين كتفي فوجدتُ بَرَدَها بين ثديّ، فعلمتُ ما في السماوات والأرض.

ثم تلا: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ [الأنعام: ٧٥]. «قال: فيم يختصمُ الملأُ الأعلىٰ يا محمّد؟».

قال: «قلتُ: في الكفّارات يا ربِّ! قال: ومَا هنّ؟ قلتُ: المشي إلىٰ الْجُمُعَاتِ، والجلوسُ في المساجدِ، وانتظارُ الصلواتِ، وإسباغُ الوضوءِ علىٰ المكاره، فقال الله: مَنْ فَعَلَ ذلكَ يعيشُ بخيرٍ، ويموتُ بخيرٍ، ويكونُ من خطيئته كيوم ولدته أمّه، ومنَ الدرجاتِ إطعامُ الطّعَامِ، وطيبُ الكلامِ، وأن تقومَ بالليلِ والناسُ نيامٌ».

فقال: «اللهمّ إني أسألُك الطيباتِ، وتَرك المنكراتِ، وحبَّ المساكين، وأن تتوبَ عليّ وتغفِرَ لي، وترحَمَني، وإذا أردتَ فتنةً في قومٍ فتوفني غيرَ مفتونٍ».

قال رسول الله ﷺ: «تعلموهُنّ؛ فوالذي نفسي بيدِهِ إنّهنّ لَحَقٌ»[1].

قال أبو بكر: قولُه في هذا الخبر: قال: (سمعتُ رسولَ الله ﷺ)، وَهِمَ[2] عبدُ الرحمن بنُ عائشٍ؛ لم يسمع من النبيّ ﷺ هذه القصة، وإنما رواه عن رجُلٍ من أصحابِ النبيّ ﷺ، ولا أحسبه أيضًا سمعَه من الصحابيّ.

٤٣٩ ـ عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما؛ أن نبيّ اللهِ ﷺ قال: «رأيتُ

---

(١) صحيح لغيره. رواه ابن أبي عاصم في «السنة» (٣٨٨, ٤٦٧)، والبغوي في «شرح السنة» (٩٢٤). والحاكم (١/ ٥٢٠ ـ ٥٢١)، وصححه، وسكت عنه الذهبي.

وانظر الكلام علىٰ هذا الحديث في «الإصابة». ترجمة عبد الرحمن بن عائش.

(٢) هكذا قيد بالحركات في الأصل، وله وجه، كما يجوز ضبطها بالرفع والتنوين: «وهمٌ» علىٰ القطع. وفي المطبوع: «وهم لأن عبد الرحمن»، وهذا الحرف: «لأن» ليس في الأصول، والكلام يستقيم بغيره.

(أتاني) [الليلة] ربّي في أحسنِ صورةٍ ، فقال: يا محمد! قلتُ: لبيك وسعدَيك قال: فيم يختصِمُ الملأ الأعلىٰ؟ قلتُ: يا ربِّ! لا أدْري».

قال: «فوضَعَ يدَه بينَ كتفيّ، فوجدتُ بَرْدَها بين ثديَيّ، فعلمتُ ما بينَ المشرقِ والمغربِ، فقال: يا محمدُ! قلتُ: لبّيك ربِّي وسعديك. قال: فيم يختصِمُ الملأُ الأَعْلَىٰ؟».

قال: «قلتُ: يا ربِّ في [الدرجات و] الكفّاراتِ؛ المشيُ علىٰ الأقدامِ إلىٰ الجمَاعات، وإسباغُ الوضوءِ في[1] المكروهات، وانتظارُ الصلاةِ بعد الصلاة، فمَنْ حافظَ عليهنّ عاشَ بخيرٍ، ومَاتَ بخيرٍ، وكانَ من ذنُوبِهِ كيومِ ولدته أمُّه»[2].

٤٤١ ـ عن مالك بن يخامر السَّكْسكيِّ؛ أنَّ معاذَ بنَ جبلٍ قال: احتبسَ عنّا رسولُ الله ﷺ ذاتَ غداةٍ عن صلاةِ الصُّبحِ، حتّىٰ كِدْنَا نَتَراءَىٰ قرنَ الشمسِ فخرج رسولُ اللهِ ﷺ سريعًا، فثوّب بالصلاةِ، فصلّىٰ، وتجوّز فِي صلاتِهِ، فلمّا صلَّىٰ[3] دعَا بصوتِهِ: «علىٰ مَصافِّكُم كما أنتم» ثمّ انفتلَ إلينا، [قال]:

«إني سأحدِّثكُم ما حبسني عنكُم الغداةَ: إني قمتُ من الليلِ، فتوضّأتُ وصليتُ ما قُدِّرَ لي، فنعستُ في مُصلاي[4] حتىٰ استثقلتُ، فإذا أنا بربي فِي أحسنِ صُورةٍ، فقال: يا محمد! فقلتُ: لبيك يا ربِّ! قال: فيم يختصِمُ الملأُ الأعلىٰ؟». قال: «قلت: لا أدرِي»، قالها ثلاثًا.

---

(١) وفي «ظ»: «علىٰ».

(٢) صحيح لغيره. رواه أحمد (١/ ٣٦٨)، والترمذي (٣٢٣٣) و(٣٢٣٤)، وقال: «حسنٌ غريبٌ».

(٣) وفي «ظ»: «سلّم».

(٤) في الأصل: «صلاتي»، والمثبت من «ظ».

قال: «فرأيتُه وَضَعَ كفَّه بينَ كتفي، حتى وجدتُ بَرْدَ أناملِهِ بين ثدييَّ فتجلّى لي كلُّ شيءٍ، وعرفتُه. فقال: يا محمد!». قال: «قلت: لبّيك. قال: يا مُحمّد! قلتُ: لبّيك ربِّ. قال: فيم يختصمُ الملأُ الأعلى؟».

قال: «قلتُ: في الكفّاراتِ، قال: ما هُنَّ؟ قلتُ: مشي[1] على الأقدامِ إلى الجماعاتِ[2]، وجلوسٌ في المساجدِ بعدَ الصلواتِ، وإسباغُ الوضوءِ حين الكَرِيهاتِ. قال: ثم فيم؟»[3].

قال: «قلتُ: إطعامُ الطعامِ، ولينُ الكلامِ، والصلاةُ والناس نيامٌ. قال: سلْ. فقلت: اللهمّ إني أسألُكَ فِعْلَ الخيراتِ، وتركَ المنكَرَاتِ، وحبَّ المساكينِ وأن تغفرَ لي، وترحمني، وإذا أردْتَ فتنةً في قَوْمٍ، فتوفَني غيرَ مفتونٍ، وأسألُك حبّك، وحبّ مَنْ يحبُّك[4]، وحبَّ عملٍ يُقربني إلى حُبِّك».

فقال رسولُ الله ﷺ: «إنها حقٌ فتعلّمُوها وادرُسُوها»[5].

٤٤٢ ـ عن أبي سلام الحبشي؛ أنّه سمع ثوبان؛ مولى رسولِ الله ﷺ، أنّ النبيَّ ﷺ أخّرَ صلاةَ الصُّبحِ حتّى أسفرَ، فقالَ: «إنّما تأخرتُ عنكُم أنّ ربي قال لي: يا محمد! هَلْ تدري فيمَ يختصِمُ الملأُ الأَعْلى؟ قلتُ: لا أدري يا ربِّ

(١) وفي «ظ»: «المشيُ».

(٢) في الأصل: «الجمعات»، والمثبت من «ظ».

(٣) كذا بالأصول، وفي المطبوع: «قال: وما الدرجات».

(٤) في الأصل: «أحبك»، والمثبت من «ظ».

(٥) حسن صحيح. رواه الترمذي (٣٢٣٥)، وأحمد (٥/ ٢٤٣). وقال الترمذي: «حديث حسن صحيح، وسألتُ محمد بن إسماعيل عن هذا الحديث؟ فقال: هذا حديث حسن صحيح». وقال ابن عدي في «الكامل» (٦/ ٢٣٤٤) عقب هذا الحديث: «وهذا له طرق، قوله: رأيت ربي في أحسن صورة، واختلفوا في أسانيدها، فرأيت أحمد بن حنبل صحح هذه الرواية، التي رواها موسى بن خلف، عن يحيى ابن أبي كثير... حديث معاذ، قال: هذا أصحها».

فردّدها مرتين أو ثلاثًا ثم حسستُ بالكفِّ بين كتفيّ، حتى وجدتُ بَرْدَها بين ثدييّ، ثم تجلّى لي كلُّ شيءٍ، وعَرَفْتُ».

قال: «قلت: نعم يا ربِّ، يختصِمُون في الكفَّارَاتِ والدرجاتِ؛ والكفّاراتُ: المشيُ على الأقْدامِ إلى الجماعاتِ[1] وإسباغُ الوضوءِ في الكريهاتِ، وانتظارُ الصلاةِ بعدَ الصلاةِ، والدرجاتُ: إطعامُ الطّعامِ، وبذلُ السّلامِ، والقِيامُ باللّيلِ والنّاسُ نيام، ثم قال: يا محمّد! اشفَعْ تُشفّع، وسَلْ تُعْطَ».

قال: «قلتُ: اللهمّ إنّي أسألُكَ فِعْلَ الخيراتِ، وتَرْكَ المنكرَاتِ، وحُبّ المساكين، وأَنْ تَغْفِرَ لِي، وتَرْحَمَنِي، وإذا أردْتَ فِتنةً في قومٍ فَتَوَفّني وأنا غير مفتونٍ، اللهمّ إنِّي أسألُكَ حبّكَ، وحبّ من يحبُّكَ، وحبًّا يبلغني حبك»[2].

قال أبو بكر:

مات معاذٌ في أوّل خلافة عمر بن الخطاب بالشّام ـ رضي الله عنه ـ مع جماعةٍ من أصحاب النبيِّ ﷺ، منهم: بلال بن رباح؛ مولى أبي بكر رضي الله عنه في طاعون عِمْواس.

قد رأيتُ قبورَهم ـ أو بعضها ـ قرب عِمواس بين الرملة وبيت المقدس عن يمين الطريق، إذا قُصد من الرملة بيتُ المقدس[3].

---

(١) في الأصل: «الجمعات»، والمثبت من «ظ».

(٢) صحيح لغيره. رواه ابن أبي عاصم في «السنة» (٤٧٠)، والبغوي (٩٢٥)، و البزار (٢١٢٨).

وحديث اختصام الملأ الأعلى قد رواه جماعة غير ما ذكرنا، ولابن رجب الحنبلي رسالة مستوفية لشرح هذا الحديث عنوانها: «اختيار الأولى في اختصام الملأ الأعلى».

(٣) وقد رأيت أنا من هذه القبور بعضها، وهي قبور أبي عبيدة بن الجراح، وشرحبيل بن حسنة، ومعاذ بن جبل وبعض بنيه.

٥١ ـ باب ذكر أخبار رُويت عن عائشةَ رضي الله عنها

في إنكارِها رؤية النبيِّ ﷺ تسليمًا، قبل نُزول المنيّة بالنبيِّ ﷺ؛ إذ أهل قِبلتنا؛ من الصحابة والمبايعات[1] والتابعين، ومن بعدَهم إلىٰ مَن شاهدنا من العلماء؛ من أهل عصرِنا لم يختلفُوا، ولم يشكّوا، ولم يرتابوا: أنّ جميعَ المؤمنين يرونَ خالقَهم يومَ القيامةِ عيانًا.

وإنما اختلفَ العلماءُ: هل رأىٰ النبيُّ ﷺ خالقَه عزّ وجلّ قبل نزول المنيَّة بالنبيِّ ﷺ؟ لا أنّهم قد اختلفوا في رُؤية المؤمنين خالقَهُم يومَ القيامةِ.

فتفهمُوا المسألتين، لا تُغالطوا، فتصدُّوا عن سواءِ السّبيلِ.

٤٤٤ ـ عن مسروقٍ قال: كنتُ متكئًا عِندَ عائشةَ رضي اللهُ عنها فقالت: يا أبا عائشة! ثلاثٌ من تكلّم بواحدةٍ منهنّ فقد أعظمَ علىٰ اللهِ الفِرْيَةَ!.

قلتُ: وما هنّ؟

قالت: من زَعَمَ أنّ مُحمّدًا ﷺ رأىٰ ربَّه، فقدْ أعظمَ علىٰ اللهِ الفريةَ.

قال: وكنتُ مُتّكئًا، فجلستُ. فقلتُ: يا أمّ المؤمنين! أنْظِريني (أمهليني) ولا تَعْـجلِيني، ألم يقُلِ اللهُ: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالأُفُقِ الْمُبِينِ﴾ [التكوير: ٢٣]، ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ [النجم: ١٣]؟

فقالت: أنا أوّل هذه الأمةِ سأل عن هذا رسولَ اللهِ ﷺ، فقال: «[إنما ذلك] جبريلُ[2]، لم أَرَهُ علىٰ صُورتِهِ التي خُلِقَ عليها غَير هاتين المرتين؛ رأيتُه منهبِطًا مِنَ السَّمَاء سادًّا عِظَمُ خَلْقه ما بينَ السَّماءِ والأَرْضِ». قالت: أَوَ لَمْ تسمع أنّ اللهَ يقولُ: ﴿لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ

---

(١) كذا في «الأصل»: «والمبايعات»، وفي «ظ»: «والتابعات».

(٢) في مسلم: «إنما هو جبريل».

الْخَبِيرُ﴾[الأنعام: ٣٣] قالتْ: أولم تسمع أنَّ اللهَ يقول: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إلا وَحْيًا أوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ. . .﴾، قرأت إلىٰ قوله: ﴿عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾[الشورىٰ: ٥١].

قالت: وَمَنْ زَعَمَ أنّ محمداً ﷺ كَتَمَ شيئًا [أنزل عليه] من كتابِ الله، فقدْ أعظمَ علىٰ اللهِ الفريةَ، والله تعالىٰ يقولُ: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلّغْتَ . . .﴾، قرأتْ إلىٰ قوله: ﴿وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾[المائدة: ٦٧] قالت: وَمَنْ زَعَمَ أنه يخبِرُ الناسَ بما يكونُ في غدٍ، فقدْ أعظمَ علىٰ اللهِ الفِرْيَةَ، واللهُ تعالىٰ يقولُ: ﴿لا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ الغَيْبَ إلا اللهُ﴾ [النحل: ٦٥][1].

[قالت: لو كان محمدٌ ﷺ كاتمًا شيئًا مما أُنزل عليه، لكتم هذه الآية: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللهُ مُبْدِيه وَتَخْشَىٰ النَّاسَ﴾ [الأحزاب: ٣٧]][2].

قال أبو بكر: هذه لفظةٌ أحسبُ عائشةَ تكلّمت بها في وقت غضبٍ! كانت لفظةٌ أحسنَ منها يكون فيها دَرْكٌ لبُغيتها كان أجمل بها. ليس يحسن في اللفظِ أن يقول قائلٌ أو قائلةٌ: قد أعظمَ ابنُ عباس الفريةَ. وأبو ذرٍ، وأنس بنُ مالكٍ، وجماعةٌ من النَّاس الفريةَ علىٰ ربِّهم.

ولكن قد يتكلمُ المرءُ عند الغضبِ باللّفظةِ التي يكونُ غيرها أحسن وأجمل منها.

---

(١) صحيح. ورواه البخاري (٤٨٥٥)، ومسلم (١٧٧)، والترمذي (٣٠٦٨) وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح».

(٢) قلت: وهذه الزيادة رواها مسلم (١٧٧) (٢٨٨)، والنسائي في «التفسير» (٤٢٨).

أكثر ما في هذا، أن عائشةَ رضي اللهُ عنها وأبا ذرٍ وابن عباس رضي اللهُ عنهما، وأنس بن مالكٍ ـ رضي الله عنه ـ قد اختلفوا: هل رأىٰ النبيُّ ﷺ ربَّه؟ فقالت عائشةُ رضي الله عنها: لم يرَ النبيُّ ﷺ ربَّه. وقال أبو ذرٍ وابنُ عباسٍ رضي اللهُ عنهما: قد رأىٰ النبيُّ ﷺ ربَّه.

وقد أعلمتُ في مواضع من كُتبنا: أن النفي لا يُوجب عِلْمًا، والإثباتُ هو الذي يُوجب العِلم[1].

ولم تحكِ عائشةُ رضي الله عنها عن النبيِّ ﷺ؛ أنه خبَّرها أنه لم يرَ ربَّه عز وجل، وإنما تأوّلت قوله عزّ وجلّ: ﴿لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ﴾، وقوله: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمه اللهُ إلا وَحْيًا﴾[2].

ومَن تدبر هاتين الآيتين ـ ووفّق لإدراك الصواب ـ عَلِمَ أنه ليس في واحدةٍ من الآيتين ما يستحقّ مَن قال: إنّ مُحمّدًا رأىٰ ربَّه الرميَ بالفريةِ علىٰ اللهِ فكيف بأن يُقال: قدْ أعظمَ الفِرية علىٰ الله[3]، لأن قوله: ﴿لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ﴾،

---

(١) هذا كلام صحيح محكم، ولكنه لا ينطبق على ما يريد المصنف الاحتجاج ـ عليه ـ به، إذ لا دليل عند المصنف ـ ولا عند غيره ـ على أن النبي ﷺ رأىٰ ربه بعينه ـ يعني: رؤية بصرية ـ وهو ما يحاول المصنف إثباته هنا، وهو الذي ـ فيما أرىٰ ـ يتوجه إليه نفي أم المؤمنين رضي الله عنها، ولو كان المصنف رحمه الله يحتج لإثبات مطلق الرؤية، أو رؤية مقيدة بالفؤاد ـ كما ثبت ذلك عمن أثبت الرؤية من الصحابة ـ لكان كلامه وجيهًا، والله أعلم.

وقد علق الشيخ هراس ـ رحمه الله ـ على هذا الموطن قائلاً: «ولكن لا بد للمثبت أن يورد دليل الإثبات، ومثبتوا الرؤية لم يقدموا أدلة على ذلك، والنفي هو الأصل حتىٰ يقوم دليل الإثبات، وقد عضدت عائشة رضي الله عنها مذهبها في النفي ببعض الآيات التي ظنت أنها تشهد لها».

(٢) قلت: حكت رضي الله عنها عنه ﷺ أنه خبرها أن الذي رآه هو جبريل وليس رب العالمين وذلك جوابًا عن سؤالها له ﷺ كما في الحديث السابق، ومن ثم زادت في تأكيد ذلك بهاتين الآيتين.

(٣) قال الشيخ هراس ـ رحمه الله ـ:

«إن عذر عائشة رضي الله عنها؛ أنها كانت تستعظم ذلك وتستنكره، ولهذا قالت لمسروق: «لقد قفّ=

قد يَحتمِل معنيين على مذهب من يُثبت رؤيةَ النبيِّ ﷺ خالقَه عزّ وجلّ:

قد يحتمل بأن يكون معنى قوله: ﴿لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ﴾ على ما قال ترجمان القُرآن لمولاه عكرمة: ذاك نورُهُ الذي هو نُوره، إذا تجلَّى بنورهٍ لا يدركه شيء[1].

والمعنى الثاني: أي: ﴿لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ﴾أبصارُ الناسِ؛ لأن الأعمَّ والأظهر من لغةِ العرب أنّ الأبصارَ إنما تقع على أبصارِ جماعةٍ!

لا أحسب عربيّا يخبر[2] من طريق اللغة أن يُقال لبصر امرئٍ واحدٍ أبصارٌ، وإنما يقول[3] لبصر امرئٍ واحدٍ: بصرٌ، ولا سَمِعْنَا عَرَبِيًا يقولُ لعيني امرئٍ واحدٍ: بصرين! فكيف أبصارٌ؟

ولو قُلنا: إن الأبصارَ ترى ربَّنا في الدنيا، لكُنَّا قد قلنا الباطلَ والبهتانَ.

فأمّا مَن قال: إن النبيَّ ﷺ قد رأى ربَّه دُون سائرِ الخلق، فلم يقل: إن سائر الأبصارِ قد رأتْ ربَّها في الدُّنيا.

فكيف يكونُ ـ يا ذوي الحجا ـ من يثبتُ أن النبي ﷺ محمداً قد رأى ربَّه

=شعري مما قلت»، وليس من حق المؤلف أن يُعلِّم أمَّه الأدب، فهي أدرى بما تقول منه».

قلت: بل قولها رضي الله عنها لا غبار عليه ولا خلاف فيه والذي يدعي غير ذلك لا بد له من دليل فإن لم يكن معه ـ كما هو الحال في هذه المسألة ـ فقد أعظم الفرية على الله لأن هذا العلم لم يؤذن لأحد القول فيه باجتهاد ولا قياس، أو كما قال المصنف نفسه: «وبيقين يعلم كل عالم أن هذا من الجنس الذي لا يدرك بالعقول والآراء والجنان والظنون، ولا يدرك مثل هذا العلم إلا من طريق النبوة؛ إما بكتاب أو بقول نبي مصطفى». وابن خزيمة رحمه الله إنما يحاول تبرئة ابن عباس وغيره من الصحابة رضي الله عنه مما هم براء منه؛ إذ لم يثبت عن أحد منهم القول برؤية النبي ﷺ ربه عيانًا.

(١) وقد تقدم ذلك قريبًا.

(٢) وفي «ظ»: «يجيز»، وفي المطبوع: «غريبًا يجيء»! ولا معنى له.

(٣) وفي «ظ»: «يقال».

دون سائر الخلقِ مثبتًا أن الأبصارَ قد رأتْ ربَّها[1] .

فتفهموا ـ يا ذوي الحجا ـ هذه النكتة تعلَموا أن ابنَ عباسٍ رضي الله عنهما، وأبا ذرٍ، وأنس بن مالكٍ، ومَن وافقهم لم يُعْظِموا الفريةَ على الله ولا خالفوا حرفًا من كتابِ اللهِ في هذه المسألة[2] .

وأمّا ذكرُها : ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إلا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ فلم يقل أبو ذرٍ، وابنُ عباسٍ ـ رضي الله عنهما ـ، وأنس بن مالكٍ، ولا واحدٌ منهم ، ولا أحدٌ ممن يُثبت رؤيةَ النبيِّ ﷺ خالقَهُ عزّ وجلّ إن الله كلَّمه في ذلك الوقت الذي كان يرىٰ ربَّه فيه[3] . فيلزم أن يُقال : قد خالفتْهم[4] هذه الآيةُ .

ومن قال : إن النبي ﷺ قد رأىٰ ربَّه لم يُخالف قولَه تعالىٰ : ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إلا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ .

وإنما يكونُ مُخالفًا لهذه الآية مَن يقولُ : رأىٰ النبيُّ ﷺ ربَّه ، فكلَّمه اللهُ في ذلك الوقتِ .

---

(١) كلام المصنف ـ رحمه الله ـ لا غبار عليه، ولم يخالف فيه أحد من السلف، وإنما خلافهم في رؤية النبي ﷺ ربه، ومن نفاها لم يلزم ـ أو لم يقوّل ـ مثبتها برؤية الأبصار لله سبحانه وتعالىٰ في الدنيا، فتنبه!

(٢) قلتُ: وعائشة ـ رضي الله عنها ـ من أكابر ذوي الحجا، وقد عرض المصنف ـ رحمه الله ـ نفسه في الرد علىٰ أم المؤمنين، والتي هي أعلم بكتاب الله منه، فزلت قدمه.

ومن قبل نصب الخلاف بين أم المؤمنين وبين ابن عباس ومن معه رضي الله عنهم جميعًا توهمًا، إذ لا خلاف في الحقيقة بينهم.

(٣) قال الشيخ هراس ـ رحمه الله ـ: «وهذه كبوة أخرىٰ! فإنه كلَّمه، وفرض عليه وعلىٰ أمته الصلاة».

قلت: الكبوة هنا ليست لابن خزيمة رحمه الله وإنما هي للشيخ هراس رحمه الله؛ فإن ابن خزيمة لا ينفي تكليم الله عز وجل لنبيه محمد ﷺ، وإنما ينفي ورود الخبر بتكليم الله عز وجل نبيه ﷺ في الوقت الذي كان يرىٰ ربه فيه. وفي كلمة هراس ما يدل علىٰ موافقته المصنف فيما ذهب إليه من الرؤية، وهو مالا يقول به.

(٤) وفي «النسخة التيمورية»: «خالفت».

قال: ابنُ عمر مع جلالتِه، وعلمِه، وورعِه، وفهمه[١]، وموضعه من الإسلام والعلم يلتمسُ علمَ هذه المسألة من ترجمانِ القرآن ابنِ عمِّ النبي ﷺ؛ يرسلُ إليه يسأله: هل رأىٰ النبيُّ ﷺ ربَّهُ؛ علمًا منه بمعرفةِ ابن عباسٍ بهذه المسألة[٢]، يقتبسُ هذا منه.

فقد ثبتَ عن ابن عباسٍ إثباتُه أنَّ النبيَّ ﷺ قد رأىٰ ربَّهُ[٣].

وبيقينٍ يعلم كلُّ عالمٍ أن هذا من الجنسِ الذي لا يُدرك بالعقولِ، والآراء والجنان والظنون، ولا يُدركُ مثلُ هذا العلمِ إلا من طريق النبوة؛ إما بكتابٍ، أو بقول نبيٍّ مصطفىٰ.

ولا أظنّ أحدًا من أهل العلم يتوهم أنَّ ابنَ عباس قال: رَأَىٰ النبيُّ ﷺ ربَّهُ، برأيٍ وظنٍّ، لا، ولا أبو ذرّ، لا، ولا أنس بن مالك.

نقولُ كما قال معمر بنُ راشدٍ لما ذكر اختلاف عائشة رضي الله عنها وابن عباس رضي الله عنهما في هذه المسألة: ما عائشةُ عندنا أعلم من ابنِ عباس[٤].

نقول: عائشةُ الصدّيقة بنت الصديق حبيبةُ حبيبِ الله عالِمَةٌ فقيهةٌ. كذلك ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما ابنُ عمِّ النبيِّ ﷺ، قد دعا النبيُّ ﷺ له أن يُرزق الحكمة والعلم، أو هذا المعنىٰ من الدعاء[٥]، وهو المسمّىٰ ترجمان القُرآن.

---

(١) وفي «ظ»: «وفقهه».

(٢) هذه الرواية ضعيفة ـ أعني سؤال ابن عمر لابن عباس ـ ثم هي ليست فيها أنه قال: رآه بعينه. وهي مع تخريجها مذكورة في الأصل برقم(٣٨٦).

(٣) نعم هذا ثبت عنه ـ رضي الله عنه ـ، لكن إما رؤية مطلقة، وإما مقيدة بالفؤاد، وأما بالعين فلا يصح.

(٤) نقل عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٢٥٢) هذه الكلمة عن شيخه معمر.

(٥) روىٰ البخاري(١٤٣)، ومسلم(٢٤٧٧) دعاء النبي ﷺ لابن عباس: «اللهم فقهه»، زاد البخاري: «في الدين»، وفي رواية للبخاري(٣٧٥٦) عن ابن عباس قال: ضمني النبي ﷺ إلىٰ صدره، وقال: «اللهم علمه الحكمة»، وفي أخرىٰ: «علمه الكتاب». وللحديث روايات أخرىٰ في غير «الصحيحين».

ومَن[1] كان الفاروقُ رضي الله عنه يسأله عن بعضِ معاني القرآن، فيقبل منه، وإن خالفه غيرُه ممن هو أكبر سنًا منه، وأقدم صحبةً للنبيِّ ﷺ[2] .

وإذا اختلفا[3] فمُحال أن يُقال: قد أعظمَ ابنُ عباسٍ الفريةَ على الله[4]؛ لأنه قد ثبّتَ شيئًا نفته عائشةُ، والعلماءُ لا يطلقون هذه اللفظة، وإن غلط بعضُ العلماءِ في معنى آيةٍ من كتابِ اللهِ، أو خالَفَ سُنَّةَ، أو سُننًا من سُننِ النَّبِيِّ ﷺ لم تبلغ المرءَ تلكَ السُّنن.

فكيفَ يجوزُ أن يُقال: أعظمَ الفريةَ على اللهِ مَن يُثبتُ شيئًا لم ينفِهِ كتابٌ ولا سنّةٌ.

وقد كنتُ قديمًا أقولُ: لو أن عائشةَ حكتْ عن النبيِّ ﷺ ما كانت تعتقد في هذه المسألةِ أنّ النبيَّ ﷺ لم يرَ ربَّه جلّ وعلا، وأنَّ النبيَّ ﷺ أعلَمها ذلك، وذكر ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما، وأنس بنُ مالكٍ، وأبو ذرّ عن النبيِّ ﷺ: أنَّه

---

(١) وفي: «ظ»: «وقد».

(٢) من ذلك ما رواه البخاري(٤٩٧٠) عن ابن عباس قال: كان عُمر يُدخلُني مع أشياخِ بدرٍ، فكأنَّ بعضهم وَجَدَ في نفسه، فقال: لِمَ تُدْخِلُ هذا مَعَنا ولنا أبناءٌ مثلُه؟ فقال عُمَرُ: إنه من قد علمتم، فدعاهُ ذاتَ يوم فأدخلهُ معهم، فما رُئِيتُ أنَّهُ دعاني يومئذٍ إلا ليُرِيَهُم، قال: ما تقُولُونَ في قولِ الله تَعَالىٰ: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحِ﴾. فقال بعضهم: أُمرنا أن نحمدَ اللهَ ونستغفرهُ إذا نُصرنا وفُتحَ علينا، وسَكَتَ بعضُهُم فلمْ يقُل شيئًا، فقال لي: أكذاكَ تقُولُ يا ابن عبَّاسٍ؟ فقلتُ: لا. قال: فما تقول؟ قلتُ: هو أجلُ رسُولِ الله ﷺ أعلمه له. قال: «فإذَا جَاءَ نصرُ اللهِ والفتحُ» وذلك علامةُ أجلكَ. ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾، فقال عُمر: ما أعلمُ منها إلا ما تقولُ.

(٣) يعني: عائشة وابن عباس رضي الله عنهم.

(٤) عائشة ـ رضي الله عنها ـ لم تتهم أحدًا بعينه، لا ابن عباس ولا غيره، وإنما جعلت ذلك بصيغة العموم، وهي قد استندت في مقالتها لآيات من القرآن، وهي لم تتكلم بالظن، بل إنها سألت النبي ـ ﷺ ـ وأجابها عن تأويل الآية ـ كما تقدم ـ، ورضي الله عنهم جميعًا.

ثم لم يثبت أن ابن عباس قد خالف أم المؤمنين.

رأىٰ ربَّه، لعلِم كلُّ عالمٍ يفهم هذه الصناعة، أنّ الواجب من طريقِ العلم والفقه قَبول قولِ مَن روىٰ عن النبيِّ ﷺ أنَّه رأىٰ ربّه.

إذ جائزٌ أن تكونَ عائشة سمعت النبيَّ ﷺ يقولُ: لم أرَ ربِّي. قبلَ أنْ يرىٰ ربَّه عزّ وجلّ،

ثم سمع[1] غيرُها النبيَّ ﷺ يُخبر أنه قد رأىٰ ربَّه بعدَ رُؤيته ربّه[2].

فيكون الواجبُ من طريقِ العلمِ قَبُول خبرِ من أخبرَ أن النبيَّ ﷺ رأىٰ ربه[3].

---

(١) وفي «ظ»: «يسمع».

(٢) قال ابن كثير رحمه الله في «التفسير» (٤/ ٢٥٣): «من حاول تخطئتها ـ يعني: أم المؤمنين رضي الله عنها ـ فيما ذهبت إليه كابن خزيمة في «كتاب التوحيد» فإنه هو المخطئ، والله أعلم».

(٣) هذا صحيح، وله أمثلة كثيرة في السنة، بل هذا المثال الذي نحن بصدده قد ينطبق عليه كلام المصنف رحمه الله، لو قلنا بأن أم المؤمنين كانت تنكر مطلق الرؤية ـ وليس الرؤية البصرية ـ وابن عباس ومن وافقه يثبتون مطلق الرؤية أو رؤية مقيدة بالفؤاد، فحينئذٍ يصدق القول بأن كلّ واحد حدّث بما علم، لأن النصوص وردت بهذا وبهذا.

وأما القول بهذه القاعدة العلمية في هذا الموطن من أجل إثبات الرؤية البصرية فهذا مالا تنطبق عليه؛ لعدم ورود الدليل بذلك.

وما أجمل ما قال شيخ الإسلام، وكنت نقلته في مقدمة تحقيقي لكتاب «التصديق بالنظر» للآجري ص(١٤) قال رحمه الله:

«قد تدبّرنا عامة ما صنفه المسلمون في هذه المسألة، وما تلقّوه فيها قريبًا من مائة مصنفٍ، فلم أجد أحدًا يروي بإسنادٍ ثابت، ولا صحيح، ولا عن صاحب، ولا عن إمام أنه رآه بعين رأسه. قال: فالواجب اتباع ماكان عليه السلف والأئمة وهو إثبات مطلق الرؤية، أورؤية مقيدة بالفؤاد. وقال: لم يثبت عن الإمام أحمد التصريح بأنه عليه السلام رأىٰ ربه بعين رأسه».

٥٢ ـ باب ذكر إثبات ضحك ربّنا عز وجل

بلا صفةٍ تصف ضحِكَه جل ثناؤه، لا ولا يُشبّه ضحكُه بضحك المخلوقين، وضَحِكهم [كذلك][١]، بل نُؤمن بأنّه يضحك كما أعلمَ النبيُّ ﷺ، ونسكتُ عن صفةِ ضحكِهِ جلّ وعلا؛ إذ الله عزّ وجلّ استأثرَ بصفةِ ضحكِه، فلم يُطلعنا على ذلك، فنحنُ قائلونَ بما قال النبيُّ ﷺ، مصدّقون بذلك بقلوبنا مُنصتون عمّا لم يُبيّن لنا مما استأثرَ الله تعالى بعلمه.

٤٥٠ ـ عن عبدِ اللهِ بن مسعودٍ، عن النبيّ ﷺ قال: «إنَّ آخِرَ منْ يدخلِ الجنّةَ لرجلٌ يمشِي على الصِّراطِ، فيُكَبّ[٢] مرةً، ويمشِي مرةً...» فذكر الحديث بطولِه. و في آخر الخبر[٣]:

«فيقول ربُّنا تباركَ وتَعالى: ما يَصْرِيني منك أي عبدي؟ أيرضيك أنْ أُعطيك من الجنّةِ مِثْلَ الدُّنيا ومِثْلها معها؟ قال: فيقولُ: أتهزأُ بِي أي ربِّ! وأنتَ ربُّ العِزَّةِ؟». قالَ: فضحك عبدُ اللهِ حتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ ثمّ قال: ألا تسألوني لِمَ ضَحِكْتُ؟ قالُوا: لِمَ ضَحِكْتَ؟ قال: لِضَحِكِ رسولِ الله ﷺ. ثُمّ قالَ لنا رسولُ الله ﷺ: «ألا تسألوني لِمَ ضَحِكْتُ؟». قالوا: لِمَ ضَحِكْتَ يا رسول الله؟ قال: «لِضَحِكِ الربِّ تباركَ وتعالَى حينَ قال: أتهزأُ بِي وأَنْتَ ربُّ العزَّةِ»[٤].

٤٥١ ـ عن سعيد بنِ المسيّب، وعطاء بن يزيد الليثي

أنَّ أبا هُريرة رضي الله عنه أخبرهما؛ أنَّ الناسَ قالوا للنبيِّ ﷺ: هَلْ نَرَى ربَّنا يومَ القيامةِ؟... فذكر الحديث بطوله.

---

(١) زيادة من المطبوع.

(٢) وفي «ظ»: «فينقلب»، وفي المطبوع: «فينكب».

(٣) وفي «ظ»: «الحديث».

(٤) صحيح. رواه مسلم (١٨٧)، وأحمد (١/ ٣٩١ ـ ٣٩٢).

وقال: «ويَبْقَىٰ رَجُلٌ بينَ الجنةِ والنَّارِ، وهُو آخرُ أهلِ الجنَّةِ دُخُولاً، مقبلٌ بوجهِه علىٰ النّارِ، فيقولُ: يا ربِّ! اصرفْ وجهِي عنِ النَّارِ؛ فإنه قدْ قَشبني[1] ريحُها، وأحرقَنِي ذكَاؤُها[2]، فيقولُ اللهُ عزّ وجلّ: فهل عسيتَ إنْ فعلتُ ذلكَ بكَ أنْ تسأَل غيرَ ذلِك؟ فيقولُ: لا. وعزتِك، فيعطِي ربّه ما شاءَ منْ عهدٍ وميثاقٍ، فيصرفُ وجهَهُ عن النَّارِ..» فذكر بعضَ الحديثِ.

وقال: «فيقولُ: ألستَ أعطيتَ العهودَ والمواثيقَ أنْ لا تسألَ غيرَ الذي أُعطيت؟ فيقول: يا ربِّ! لا تجعلنِي أشقَىٰ خلقِكَ، فيضحكُ اللهُ عزّ وجلّ منْهُ...»، ثم ذكر باقي الحديث[3].

قال أبو بكر: هذا الخبرُ هو عن أبي هريرةَ رضي الله عنه وأبي سعيدٍ جميعًا؛ لأن في الخبر أنّ أبا سعيدٍ قال لأبي هُريرة: أشهدُ أنّ النبيَّ ﷺ قد قال: «قال الله: ذلك لك وعشرةُ أمثالِه».

فهذه المقالة تُثبت أن أبا سعيدٍ قد حفظَ هذا الخبرَ من النبيِّ ﷺ [علىٰ] ما رواه أبو هُريرةَ ـ رضي الله عنه ـ إلا أنه حَفِظَ [هذه] الزيادة قوله: «ذلك لك، وعشرة أمثاله»، وأبو هُريرة إنما حفظَ: «ذلك لكَ، ومثلُه معه».

وهذه اللفظة التي ذكرَها أبو هريرة: «ومثله معه»[4]، لا تضادّ اللفظةَ التي ذكرها أبو سعيدٍ.

وهذا من الجنسِ الذي ذكرتُه في كتابي ـ عوداً وبدءاً ـ أن العربَ قد تذكر العددَ للشيء ذي الأجزاءِ والشُّعَب، لا تُريد نفيًا لما زادَ علىٰ ذلك العددِ، وهذا

(١) أي: «سمّني». نهاية (٤/ ٦٤).

(٢) أي: «شدة وهج النار». نهاية (٢/ ١٦٥).

(٣) صحيح. تقدم الحديث. انظر رقم (٣٥٤).

(٤) في الأصل: «ومثلها معها»، والمثبت من «ظ».

مفهومٌ في لغةِ العرب .

لو أن مقرًّا قال لآخر : لك عندي درهمٌ معه درهمٌ، ثم قالَ بعد هذه المقالة : لك عِندي درهمٌ معه عشرةُ دراهم، لم تكن الكلمةُ الثانية تكذيبًا لنفسِه للكلمةِ الأُولىٰ؛ لأن مَن كان معه عشرةُ دراهم، فمعه درهمٌ من العشرةِ دراهم وزيادةُ تسعةُ دراهم على الدرهم. وإنما يكون التكذيب[1] لو قال في الابتداء : لك عندي درهمٌ لا أكثر منه، أو قال في الابتداء : ليس لك عندي أكثرُ من درهمين، ثم قال : لكَ عندي عشرة دراهم، كان بقوله الثاني مكذبًا لنفسِهِ في الكلمةِ الأولىٰ، لا شك ولا امتراء .

ومن كان له أربعُ نسوة، فقال لمخاطب يُخاطبه : لي امرأةٌ معها أخرىٰ، ثم قال له أو لغيرِه : لي أربعُ نسوة، لم تكن كلمتُه الآخرة تكذيبًا منه نفسَه للكلمةِ الأولىٰ .

هذا بابٌ يفهمه مَن يفهم العِلْمَ والفِقْه .

وإنما ذكرتُ هذا البيانَ؛ لأن أهلَ الزيغ والبدع لا يزالون يطعنُونَ في الأخبارِ لاختلافِ ألفاظِها .

قال أبو بكر : قد بيّنتُ معنىٰ هاتين اللفظتين في موضعٍ آخر، أعلمتُ أن النبيَّ ﷺ قال في الابتداء : «إن الله عزّ وجلّ يقولُ له : أترضىٰ أن أُعطِيك مثلَ الدنيا، ومثلها معها»، ثم زاده بعد ذلك حتىٰ بلغ أن قال : «لك مثل الدنيا، وعشرة أمثالِها» .

٤٥٤ ـ عن أبِي هُريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ، عن النبيِّ ﷺ قال : «إنَّ اللهَ عزّ وجلّ يضحكُ إلىٰ رجُلَين، يقتلُ أحدُهُما الآخرَ، كِلاهما داخِلٌ (يدخل) الجنةَ»

(١) وفي «ظ» : «الكذب» .

قالوا: وكيف ذلك يا رسول الله؟ قال «يقاتِلُ هذا فِي سبيلِ الله فيُستشهدُ [فيلج الجنة]، ثم يتوبُ اللهُ علىٰ قاتِلِه فيُسلِم، فيقاتِل في سبيلِ الله فيُستشهد»[1].

٤٥٧ ـ عن عبد الرحمن بن يزيد قال: حدَّثني الزُّهري، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هُريرة رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ قال: «ضَحِكَ اللهُ من رجُلين قتلَ أحدُهما صاحِبَهُ، ثم دخلُوا الجنةَ جميعًا».

قال: سُئل الزهريُّ عن تفسير هذا؟ قال: مشركٌ قتلَ مُسلمًا، ثم أسْلَم فماتَ، فدخلَ الجنةَ[2].

٤٦٥ ـ [عن عليّ بن رَبيعةَ قال] أردفني عليٌّ ـ رضوان الله عليه ـ خلفَه، ثم خرجَ إلىٰ ظهرِ الكوفةِ ثم رفعَ رأسَهُ إلىٰ السماءِ، فقال: ﴿لا إِلَهَ إلا أَنْتَ سُبْحانَك إِنِّي كُنْتُ منَ الظَّالِمِين﴾، فاغفرْ لي.

قال: ثم التفت إليّ فضحكَ، فقالَ: ألا تسألُني مِمّ ضحكتُ؟ قال: قلتُ: مِمّ ضحكْتَ يا أميرَ المؤمنين؟

قال: أردفني رسولُ الله ﷺ خلفَهُ، ثم خرجَ بي إلىٰ حرَّةِ المدينةِ، ثم رفعَ رأسَهُ إلىٰ السماءِ، فقال: «﴿لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِين﴾،

---

(١) صحيح. ورواه مسلم(١٨٩٠)، والنسائي(٦/ ٣٨)، وأحمد (٢/ ٢٤٤).

قلت: الحديث رواه ابن حبان (٤٦٦٦) ثم أوله (١٠/ ٥٢٢) تأويلاً قبيحًا ـ غفر الله لنا وله ـ فقال:

«هذا الخبر مما نقول في كتبنا: بأن العرب تضيف الفعل إلىٰ الآمر كما تضيفه إلىٰ الفاعل، وكذلك تضيف الشيء الذي هو من حركات المخلوقين إلىٰ الباري جل وعلا، كما تضيف ذلك الشيء إليهم سواء. فقوله ﷺ: «ضحك من رجلين» يريد: ضَحَّكَ الله ملائكته وعجبهم من الكافر القاتل المسلم، ثم تسديد الله للكافر وهدايته إياه إلىٰ الإسلام وتفضله عليه بالشهادة بعد ذلك حتىٰ يدخلا الجنة جميعًا، فيعجب الله ملائكته، ويضحكهم من موجود ما قضىٰ وقدر، فنسب الضحك الذي كان من الملائكة إلىٰ الله جل وعلا علىٰ سبيل الأمر والإرادة». أهـ.

(٢)صحيح. رواه أحمد في «المسند» (٢/ ٥١١).

فاغفِرْ لي»، ثم التفتَ إليّ فضَحِكَ.

فقال: «ألا تسألُني مِمّ ضَحِكْتُ؟»، قال: قلتُ: ممّ ضحكتَ يا رسولَ الله؟ قال: «ضَحِكْتُ مِنْ ضَحِكِ ربِّي وتعجُّبِه من عبدِه؛ أنه يعلمُ أنَّه لا يَغفرُ الذُّنوبَ غيرُه»[1].

قال أبو بكر: قد كنتُ أعلمتُ قبل هذا الباب: أن العلماء لم يختلفُوا أن المؤمنين يرونَ خالِقَهم يومَ القيامةِ جلّ ربُّنا وعزّ، وأن النبيَّ ﷺ أفضلُ المؤمنين يرىٰ خالقَه جلّ وعزّ يومَ القيامة.

وإنما اختلفوا: هل رأىٰ النبيُّ ﷺ ربّه عزّ وجلّ عند[2] نزول المنية بالنبيِّ ﷺ؟.

وأعطاني بعضُ أصحابي كتابًا منذ أيامٍ منسوبًا إلىٰ بعضِ الجهمية!

رأيتُ في ذلك الكتابَ: عن محمد بن جابر، عن أبي إسحاق، عن هبيرة بن يَريم، عن ابن مسعودٍ قال: مَن زعمَ أن الله يُرىٰ جهرةً، فقد أشركَ، ومن زعم أن مُوسىٰ سأل ربّه أن يراه جهرةً، فقد أشرك[3].

---

(١) صحيح. رواه أبو داود (٢٦٠٢)، والترمذي (٣٤٤٦) وقال: «حسنٌ صحيحٌ».

وعندهم: «يعجب»، بدل: «يضحك».

قلتُ: والعجب والضحك صفتان لرب العزة سبحانه وتعالىٰ يؤمن بهما أهل السنة والجماعة، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل.

(٢) كذا بالأصول، والمراد: «قبل».

(٣) قال الشيخ هراس ـ رحمه الله ـ: «هذا محض كذب وافتراء علىٰ ابن مسعود رضي الله عنه والحديث من وضع الجهمية، وكيف يقول ابنُ مسعود بخلاف ما صرح به الكتاب والسنة، وأجمع عليه سلف الأمة؛ من الصحابة والتابعين، وقد أورد المؤلف إبطالاً لهذا الخبر من كلام ابن مسعود نفسه».

قلت: وهذا القدر المذكور من السند هنا لا يصح به حديث، محمد بن جابر هو: اليمامي قال البخاري عنه في «الكبير» (١/ ١/ ٥٣): «ليس بالقوي»، وقال في «الأوسط» (٢/ ١٧٣): «يتكلمون فيه»، وزاد المزي=

واحتج الجهميُّ بهذا الخبر، ادّعىٰ أنّ الله تعالىٰ لا يُرىٰ! وأن النبيَّ ﷺ لا يَرىٰ ربّه يوم القيامة، ولا المؤمنون!

وهذا الخبر كَذِبٌ موضوعٌ باطلٌ، وضعه بعضُ الجهمية.

وعندنا بحمدِ الله ونعمته خبرٌ[1] بإسنادين مُتصلين عن ابن مسعودٍ، خلاف هذا الخبر الموضوع.

٤٦٨ - في خبر أبي عُبيدة، عن مَسْرُوقٍ، عن عبد الله بن مسعودٍ قال: «يَجمعُ الله الناسَ يومَ القيامةِ، فيُنادي منادٍ: يا أيُّها النَّاسُ! ألم ترضوا من ربِّكم الذِي خلَقكُم وصوّرَكم ورزقَكم أن يولي كلَّ إنسانٍ ما كان يعبُد في الدنيا ويتولّىٰ؟ أليس ذلكم عدل[2] مِنْ ربّكم؟ قالوا: بلىٰ. قال: فلينطلِقْ كلُّ إنسان مِنْكم إلىٰ ما كانَ يتولّىٰ في الدنيا. قال: ويمثّل لهم ما كانُوا يعبُدون في الدُّنيا. قال: ويمثّل لمن كان يعبُد عيسىٰ شيطانُ عيسىٰ، ويمثل لمن كان يعبد عُزيراً شيطانُ عزيرٍ، حتىٰ يمثل لهم الشجرةُ والعودُ والحجرُ.

ويبقىٰ أهلُ الإسلامِ جثُومًا[3]، فيقول لهم: ما لكم لا تنطلقُونَ كما انطلقَ الناسُ؟ فيقولُون: إنّ لنا ربًّا، ما رأيناه بعدُ. قال: فيقول: بم تعرفُونَ ربّكم إن رأيتمُوه؟ قالوا: بيننا وبينه علامةٌ، إن رأيناهُ عرفناهُ. قال: وما هي؟ قال: فيكشِفُ عن ساقٍ. قال: فيخِرُّ كلُّ مَنْ كان لظهرِه طبق[4] ساجداً،

=في «التهذيب» (٢٤/ ٥٦٧) نقلاً عنه: «روىٰ مناكير». وأبو إسحاق هو السبيعي كان اختلط، وهو أيضًا مذكور في «المدلسين»، وهبيرة بن يَريم ضعفه غير واحد، وله مناكير.

(١) وفي «ظ»: «خبران».

(٢) وفي «ظ»: «ذلك عدلاً».

(٣) يعني: قاعدين علىٰ ركبهم.

(٤) أي: كل من كان لظهره فقار، فالطبق: الفقار.

ويبقى قومٌ ظهورُهم كصَياصِي البقر[1] . . »، الحديث بطوله .

وفي الخبرِ أنّ ابنَ مسعودٍ قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يحدِّث مراراً، فلمّا بلغ هذا المكان من الحديثِ [ما][2] ذكر موضعاً من الحديث إلا ضَحِكَ[3] .

٤٦٩ ـ وفي خبر سلَمة بن كُهيل، عن أبي الزّعراء

عن عبد الله بن مسعودٍ ـ في الحديث الطّويل ـ قال : «ثم يتمثّلُ الله عزّ وجلّ للخلقِ، فيقول : مَنْ تعبدونَ ؟ . . . »، وذكر بعضَ الحديث .

وقال : «حتّى يبقى المسلمون، فيقولُ : مَنْ تعبُدُون ؟فيقولُون : نعبدُ اللهَ لا نشركُ بِهِ شيئًا، فيقول : هل تعْرِفُون ربَّكم؟ فيقولُون : سُبحانَه! إذا اعترفَ لنا عرفنَاه، فعند ذلك يُكشَفُ عن ساقٍ، فلا يبقَى مؤمنٌ ولا مؤمنةٌ إلا خرَّ [لله][4] ساجداً»[5] .

قال أبو بكر : فهذا الخبرُ، وخبرُ مسروقٍ عن ابن مسعودٍ، يُصرّحان أن ابنَ مسعود كان يُقرّ : أنّ المسلمين يرون خالقَهم عزّ وجل يومَ القيامةِ إذا كَشَفَ عن ساقٍ، وأن المؤمنين يخرّون لله سجّداً إذا رأوه في ذلك الوقتِ، فكيف يُكفِّر مَن يقر[6] بما هو عنده حقٌّ وصِدْقٌ وعَدْلٌ ؟

---

(١) صياصي البقر : قرونها، والمراد أنه ليس لظهور هؤلاء طبق (أي: فقار)، فصارت كأنها قرون بقر (يعني : فقارة واحدة)، ومن أجل ذلك فلا يستطيعون السجود .

(٢) زيادة من «ظ» .

(٣) حسنٌ .ورواه عبد الله في «السنة» (١١٣٣)، وعنه الطبراني في «الكبير» (٩٧٦٣) وقال ابن القيم ـ رحمه الله ـ في «حادي الأرواح» ص (٣٤٦) : «هذا حديث حسن» .

(٤) زيادة من «ظ» .

(٥) تقدم تخريجه .

(٦) وفي المطبوع : «يقول» .

ولو ثبتَ هذا الخبرُ عن ابنِ مسعودٍ لكان للخبرِ عندنا معنىً صحيحًا لا كما توهّمه الجهميُّ ـ عليه لعائنُ الله ـ.

نحن نقولُ: إنّ مَن زعم أن الله يُرىٰ جهرةً في الدنيا فقد كذبَ وافترىٰ؛ لأن ما يُرىٰ جهرةً يراه كلُّ بصيرٍ، لا حجابَ بينه وبينه.

والله عزّ وجلّ يحتجبُ عن أبصارِ أهلِ الدُّنيا في الدنيا، لا يَرىٰ أحدٌ ربَّهُ في الدنيا جهرةً[1].

وقد أعْلَمْنَا قبلُ معنىٰ قوله: ﴿لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ﴾، وأنه جائزٌ أن يكون النبيّ ﷺ مخصوصًا برؤيةِ خالقه، وهو في السَّمَاءِ السابعةِ، لا أنّ النبيّ ﷺ رأىٰ ربّه وهو في الدُّنيا[2].

وقد أعلمتُ قبلُ: أن العلماءَ لم يختلفوا أنّ جميعَ المؤمنين يرون خالِقَهم يومَ المعادِ، في الآخرةِ لا في الدُّنيا، ومَن أنكرَ رؤيةَ المؤمنين خالقَهم يومَ المعادِ، فليسُوا بمؤمنين عند المؤمنين، بل هم أسوأُ حالاً في الدُّنيا عند العُلَماءِ من اليهودِ والنَّصارىٰ والمجوسِ، كما قال ابنُ المبارك: نحنُ نحكي كلامَ اليهودِ والنَّصارىٰ، ولا نقدرُ أن نحكي كلامَ الجهميّة[3].

---

(١) ولو تمسك المصنف ـ رحمه الله ـ بقوله هذا فيما سبق عند كلامه على رؤية النبي ﷺ، لكان قد أصاب، خاصةً وأنه لا يوجد نصٌ برؤيته ﷺ لربه جهرةً.

(٢) الصواب: أن الرؤية التي رآها النبي ـ ﷺ ـ إنما هي رؤية قلبية، وليست رؤية بصرية، كما تقدم تحريره.

وقد علق على هذا الموطن الشيخ هراس ـ رحمة الله عليه ـ بقوله: «هذا كلام عجيب! أفليست السماء السابعة من الدنيا؟! إن الدنيا اسم للزمان الذي يكون فيه الخلق قبل القيامة، وليست اسمًا للمكان حتى تطلق على الأرض».

(٣) رواه البخاري في «خلق أفعال العباد»(٨)، والدارمي في «الرد على الجهمية»(٩)، وعبد الله بن أحمد في «السنة» (٢٤) بسند صحيح.

٥٣ ـ بابُ ذِكر أبواب شفاعةِ النبيِّ ﷺ

التي قد خُصَّ بها دُون الأنبياء سِواه ـ صلوات الله عليهم ـ لأُمته، وشَفاعتِه، وشفاعة بعضِ أمّته لبعضِ أمته؛ ممن قد أوبقتهم[١] خَطايَاهُم وذنوبُهم، فأُدخِلُوا النَّارَ، ليخرجُوا منها بعد ما قد عُذِّبوا فيها، بقدرِ ذُنُوبِهِم وخطاياهم؛ التي لا يغفرها الله لهم، ولم يتجاوزْ لهم عنها، فبفضلِه[٢] وجُوده.

بالله نتعوّذُ[٣] مِن النارِ.

(١) في الأصل: «أوبقته»، والمثبت من «ظ».

(٢) وفي «ظ»: «بتفضُّلِهِ».

(٣) وفي «ظ»: «نعوذ».



٥٤ ـ باب ذكر الشَّفاعة التي خَصَّ [الله](١) بها النبيَّ ﷺ

دُون غيره من الأنبياء ـ صلوات الله عليهم ـ ودون سائر المؤمنين، وهي الشفاعةُ الأُولىٰ، التي يشفعُ بها لأمتِه(٢)؛ ليخلِّصهم الله من الموقفِ الذي قد جُمعوا فيه يومَ القيامةِ مع الأولىٰ(٣).

وقد دنتِ الشمسُ منهم، فآذتهم وأصابَهم من الغمِّ والكربِ مالا يُطيقون ولا يَحتمِلون.

وهذه الشفاعةُ هي سوىٰ الشَّفاعةِ التي يشفعُ النبيُّ ﷺ بعدُ لإخراجِ من قد أُدخِلَ النَّارَ من أمته بما قد ارتكبوا من الذُّنوبِ والخطايا في الدنيا التي لم يشأ الله أن يَعفو عنها، ويغفرها لهم تفضّلاً وكرمًا وجودًا، وما ذُكر من خُصوصية الله نبيّه محمدًا بالنظرِ إليه عزّ وجلّ عند الشفاعةِ، داخلٌ في هذا البابِ.

٤٧٣ ـ عن أبي هُريرة رضي الله عنه قال: أُتي رسول الله(٤) ﷺ ـ يومًا ـ بلحمٍ، فدُفع إليه الذِّراعُ، وكان يُعجبُه، فنَهشَ منْها نهشةً(٥). ثمّ قال: «أنا سيدُ النَّاسِ يومَ القِيامةِ، وهَلْ تدرُون لِمَ ذلك؟ يجمعُ اللهُ يومَ القيامةِ الأوَّلين والآخرين فِي صَعيدٍ واحدٍ(٦)، فيُسمِعُهُم الدَّاعِي ويَنْفُذُهُم البصرُ(٧)، وتدنُوا

(١) زيادة من «ظ».

(٢) هذه الشفاعة هي الشفاعة العظمىٰ، وهي التي يشفع فيها ﷺ لأهل الموقف ـ وأمته منهم ـ حتىٰ يقضىٰ بينهم، وهذه الشفاعة هي المقام المحمود.

(٣) كذا في الأصول ولم أتبينه، ولعلها: «مع الأم»، كما قال الشيخ هراس ـ رحمه الله ـ.

(٤) في «ظ»: «النبي».

(٥) النهس: الأخذ بأطراف الأسنان، والنهش: الأخذ بجميعها.

(٦) الصعيد: هو التراب، أو وجه الأرض، والمقصود هنا: هو الأرض الواسعة المستوية.

(٧) قال في «النهاية»: «نفذني بصره، إذا بلغني وجاوزني، وأنفذت القوم، إذا خرقتهم، ومشيت في=

الشمسُ، فيبلُغُ النّاسَ مِنَ الغمِّ والكَرْب مالا يطيقُون، ولا يحتمِلُون، فيقولُ بعضُ الناسِ لبعضٍ: ألا تَرَون ما أنتم فِيه؟ ألا تَرَوْنَ ما قدْ بلغكُم؟ ألا تنظرُون إلىٰ مَنْ يشفعُ إلىٰ ربِّكم؟ فيقولُ بعضُ الناسِ لبعضٍ: أبُوكم آدم عليه السلام، فيأتُونَ آدَمَ

فيقُولُون: يا آدَمُ! أَنْتَ أبُو البشرِ، خلقَكَ اللهُ بيدِهِ، ونفخَ فِيكَ مِنْ رُوحهِ، وأمرَ الملائكةَ فسجدُوا لكَ؛ اشفعْ لنا إلىٰ ربِّكَ، ألا ترىٰ ما نحنُ فِيهِ! ألا تَرىٰ ما قدْ بلغَنا؟

فيقولُ لهم: إنّ ربِّي قَدْ غَضِبَ اليومَ غَضَبًا، لم يغضبْ قبلَه مثلَه، ولن[1] يغضَبَ بعدَه مثلَه؛ وإنه نهاني عنِ الشجرةِ، فعصَيْتُهُ، نفسِي. نفسِي، اذهبوا إلىٰ غيري، اذهبوا إلىٰ نوحٍ، فيأتُون نوحًا

فيقولُون: يا نُوح! أنتَ أوَّلُ الرسلِ إلىٰ أهلِ الأرضِ، وسمّاك اللهُ: عبدًا شكورًا، اشفعْ لنا إلىٰ ربِّك، ألا ترىٰ إلىٰ ما نحنُ فِيه! ألا تَرىٰ إلىٰ ما قدْ بَلَغَنَا؟

فيقولُ لهم: إنَّ ربِّي قدْ غَضِبَ اليومَ غَضَبًا، لم يغضبْ قبلَه مثلَه، ولنْ يَغْضَبَ بَعْدَه مثلَهُ، وإنه كانتْ لِي دعوةٌ دعوتُ بها علىٰ قومِي، اذهبُوا إلىٰ غيرِي، اذهبُوا إلىٰ إبراهيمَ، فيأتُونَ إبراهيمَ

فيقولُون: يا إبراهيمُ! أنتَ نبيُّ اللهِ، وخليلُه مِنْ أهلِ الأرضِ، اشفعْ لنا إلىٰ ربِّكَ، ألا ترَىٰ ما نحنُ فيه! ألا ترىٰ ما قد بلغَنا؟

فيقولُ لهم إبراهيمُ: إنَّ ربِّي قدْ غَضِبَ اليومَ غضبًا، لم يغضبْ قبلَه مثله، ولن يغضبَ بعدَه مثلَه ـ [وذكرَ] كذباتِهِ ـ نفسِي. [نفسِي]، اذهبُوا إلىٰ غيري، اذهبُوا إلىٰ مُوسىٰ، فيأتُون مُوسىٰ

=وسطهم، فإن جزتهم حتىٰ تخلفهم، قلت: نَفَذْتُهم بلا ألف، وقيل: يقال فيها: بالألف. قيل: المراد به ينفذهم بصر الرحمن حتىٰ يأتي عليهم كلهم. وقيل: أراد ينفذهم بصر الناظر؛ لاستواء الصعيد».

فيقولُون : يا مُوسىٰ ! أنتَ رسولُ اللهِ ؛ فضّلك اللهُ برسالاته ، وبتكليمه علىٰ الناسِ ؛ اشفعْ لنا إلىٰ ربِّك ، أَلا تَرىٰ ما نحنُ فيه؟ ألا ترىٰ ما قدْ بلَغَنا؟

فيقولُ لهم مُوسىٰ : إنّ ربِّي قد غَضِبَ اليومَ غَضبًا ، لمْ يغْضَبْ قَبْلَهُ مثلَه ولن يغضبَ بعدَه مثلَه ، وإنِي قتلتُ نَفْسًا لم أُومر بقتلِها ، نفسِي . نفسِي ، اذهبُوا إلىٰ غيرِي ، اذهبُوا إلىٰ عيسىٰ ابنِ مريَمَ ، فيأتُون عيسىٰ [ابنَ مريم][1] .

فيقولُون : يا عيسىٰ ! أنتَ رسولُ اللهِ ، وكلَّمْتَ الناسَ في المهدِ ، وكلمةٌ منهُ ألقاها إلىٰ مريمَ ، وروحٌ منه ، اشفعْ لنا إلىٰ ربِّك ، ألا ترىٰ ما نحنُ فِيه ، ألا تَرىٰ ما قدْ بلغَنا؟

فيقولُ لهم عيسىٰ : إنّ ربِّي قدْ غَضِبَ اليومَ غضبًا ، لم يغضبْ قبلَهُ مثلَه ، ولنْ يغضَبَ بعدَه مِثْلَهُ ـ ولم يذكرْ له ذنبًا ـ نفسِي . نفسِي ، اذهبُوا إلىٰ غيرِي ، اذهبُوا إلىٰ محمدٍ ﷺ ، فيأتُون [محمدًا][2]

فيقولون : يا محمد! أنتَ رسولُ اللهِ ، وخاتَمُ الأنبياءِ ، وقد غَفَرَ اللهُ لكَ ما تقدَّمَ مِنْ ذنبِكَ وما تأخّرَ ، اشفَعْ لنا إلىٰ ربِّك ، ألا ترىٰ ما نحنُ فِيه ، ألا ترىٰ ما قدْ بَلغَنَا ؟ فأَنطلِقُ ، فآتِي تحتَ العرشِ ، فأَقعُ ساجدًا لربِّي ، ثم يَفْتَحُ اللهُ عليَّ ، ويُلهمُني مِنْ محامدِهِ ، وحُسنِ الثناءِ عليه شيئًا لم يفتحْه لأحدٍ [مِنْ][3] قَبْلِي .

ثمَّ قالَ : يا مُحمّد! ارفعْ رأسكَ ، سَلْ تُعْطَه[4] ، واشفَعْ تُشَفَّعْ ، فأرفعُ رأسِي .

فأقول : ربِّ! أمَتي . أُمّتِي . [أُمَّتي] . ثلاث مرَّاتٍ

---

(١) في «الأصل» : «ولم» ، والمثبت من «ظ» .

(١) زيادة من «ظ» .

(٢) زيادة من «ظ» ، وفي التيمورية : «فيأتوني ، فيقولون» .

(٣) زيادة من «ظ» .

فيقالُ: يا محمّد! أدْخِلِ الجنَّةَ مِنْ أمتِكَ مَنْ لا حِسابَ عليهِ مِنْ الباب الأيمنِ من أبوابِ الجنةِ، وهُم شركاءُ الناسِ فيما سوىٰ ذلكَ مِنَ الأبوابِ».

قال: «والّذي نَفْسي بيدِهِ، إنّ مَا بينَ المصْرَاعينِ مِنْ مَصاريعِ الجنةِ كما بينَ مكةَ وهَجَر، أو كما بين مكةَ وبُصرَىٰ[1]»[2].

---

(٤) وفي «ظ»: «وسَلْ تُعْطَ».

(١) بصرىٰ: مدينة علىٰ مشارف الشام. وهجر: مدينة عظيمة هي قاعدة بلاد البحرين.

(٢) صحيح. ورواه البخاري (٣٣٤٠ و٣٣٦١و٤٧١٢)، ومسلم(١٩٤)، والترمذي (٢٤٣٤)، و ابن ماجه (٣٣٠٧).

وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح».

٥٥ ـ باب ذِكر الدَّليل أنّ هذه الشفاعة التي وَصَفْنا[١] أنها أوَّل الشفاعات

هي التي يشفعُ بها النبيُّ ﷺ؛ ليَقضِيَ اللهُ بين الخلقِ، فعندما يأمره الله عزّ وجلّ أن يُدخل من لا حسابَ عليه مِن أمتهَ الجنةَ من البابِ الأيمن، فهو أوّل النَّاس دُخُولاً الجنةَ من المؤمنين.

٤٧٥ ـ عن حمزةَ بنِ عبد الله قال:

سمعتُ عبد الله بنَ عُمَر يقول: قال رسولُ الله ﷺ: «ما يزالُ الرَّجلُ يسألُ النَّاسَ، حتىٰ يأتيَ يومَ القيامةِ، وليسَ في وَجهِهِ مُزعةٌ[٢] مِن لحمٍ».

وقالَ: «إنّ الشَّمسَ تدنُو، حتىٰ يبلغَ العرقُ نِصفَ الأذُنِ، فبينما[٣] هُم كذلِكَ استغاثُوا بآدمَ ـ عَليه السَّلامُ ـ فيقول: لستُ بصاحبِ ذلكَ، ثمّ بموسىٰ، فيقول كذلِك، ثم بمحمدٍ ﷺ، فيشفعُ؛ ليُقضَىٰ بين الخلقِ، فيمشي حتىٰ يأخُذَ بحلْقَةِ الجنة، فيومئذٍ يبعثُه اللهُ مقامًا محمودًا، يحمدُهُ أهلُ الجمعِ كلُّهم»[٤].

---

(١) وفي «ظ»: «وصفتُها».

(٢) أي: قطعة يسيرة من اللحم، والمعنىٰ: يحشر يوم القيامة ووجهه عظم، لا لحم عليه؛ لأنه أبلغ في العقوبة. وقيل غير ذلك، ولكن حمل الحديث علىٰ ظاهره هو اللائق؛ لأن صرفه عن ظاهره تحكم بلا دليل. وانظر «عمدة الأحكام الكبرىٰ» (ص١٩٥ بتحقيقي).

(٣) وفي «ظ»: «فبينا».

(٤) صحيح. ورواه البخاري (١٤٧٤ـ ١٤٧٥).

وليس عنده قول آدم عليه السلام: «لست بصاحب ذلك»، وهي زيادة صحيحة.

وروىٰ مسلم (١٠٤٠) الطرف الأول من الحديث

٥٦ ـ بابُ ذكر البيان أنّ هذه الشّفاعة التي ذكرتُ أنّها أوّل الشفاعاتِ إنما هي قبل مُرور النّاس على الصِّراط، حين[١] تُزلف الجنةُ فإن الله قال: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الشعراء: ٩٠].

٤٧٧و٤٧٨ ـ عن أبي هُريرة رضي الله عنه وعن حُذيفة قالا: قال رسولُ الله ﷺ: «يجمعُ اللهُ الناسَ، فيقومُ المؤمنُون ـ حين تُزلَفُ الجنةُ ـ فيأتُون آدمَ.

فيقولُون: يا أبانا! استفْتِحْ لنا الجنةَ، فيقولُ: وَهَلْ أخرجَكُم مِنَ الجنةِ إلا خطيئةُ أَبِيكم آدمَ؟ لستُ بصاحبِ ذلك[٢] إنما كنتُ خليلاً مِنْ وراءَ وراءَ، اعمدُوا إلى ابني مُوسى؛ الذي كلّمه اللهُ تكليمًا، فيأتُون مُوسى.

فيقول: لستُ بصاحبِ ذلك، اذهبوا إلى كلمةِ الله ورُوحِه؛ عيسى.

قال: «فيقول عيسى: لستُ بصاحبِ ذلك.

فيأتون مُحمداً ﷺ، فيقومُ، فَيُؤْذَنُ له، وتُرسلُ معه الأمانةُ والرّحِمُ فيقفان على الصِّراطِ؛ يمينه وشماله، فيمرُّ أوّلُكم كمرِّ البَرْقِ».

قلتُ: بأبِي أنت وأمّي، أيُّ شيءٍ مرُّ البرقِ؟

قال: «ألم تَر إلى البرقِ كيفَ يمرُّ، ثمّ يرجعُ في طرفةِ عينٍ؟ وكمرِّ الريح، ومرِّ الطيرِ[٣]، وشدِّ الرِّجالِ؛ تجري بهم أعمالُهم[٤]، ونبيُّكُم ﷺ قائمٌ على

---

(١) في الأصل: «حتى»، والمثبت من «ظ» وغيرها.

(٢) زاد مسلم في «صحيحه»: «اذهبُوا إلى ابني إبراهيمَ خليلِ اللهِ. قال: فيقول إبراهيم: لست بصاحبِ ذلكَ»، وهي زيادة هامة، وفي السياق نقص بدونها.

(٣) أي: ومنهم من يمرُّ كمر الطير.

(٤) في الأصل: «أعمالكم»، والمثبت من «ظ».

الصِّراطِ: ربِّ سلِّم، ربِّ[1] سلِّم».

قال: «حتىٰ تَعْجز أعمالُ النّاسِ، حتىٰ يجيءَ الرجلُ فلا يستطيعُ أن يمرَّ إلا زَحْفًا».

قال: «وفي حافتي الصِّراطِ كلاليبُ معلقةٌ، مأمُورةٌ تأخذ[2] مَنْ أُمِرتْ بِهِ، فمخدُوشٌ ناجٍ، ومكْدُوسٌ[3] في النارِ».

والذي نفسُ أبِي هُريرةَ بيدهِ، إنّ قعرَ جهنّم لسبعين[4] خريفًا[5].

(١) أي: يقول: «ربِّ سلِّم» كما في «صحيح مسلم».

(٢) كذا في «الأصل»، وفي «ظ»: «بأخذ» وهو الموافق لما في «صحيح مسلم».

(٣) أي: مدفوع في النار، نعوذ بالله منها، وهذه اللفظة من «ظ»، وأما الأصل، ففيه: «مكركس»! ولم أجد هذا اللفظ، وأشار ابن الأثير في «النهاية» (٤/ ١٦٣) إلىٰ وروده بلفظ: «مكروس»، وبلفظ: «مكردس». والله أعلم.

(٤) وفي «ظ»: «لسبعون».

(٥) **صحيح**. رواه البزار (٤٣٦٤)، وقال: «أخرجته لحديث حذيفة، وحديث أبي هريرة أيضًا، لم أره بهذا السياق».

قلت: ورواه مسلم (١٩٥).

٥٧ ـ باب ذكر البيان أن للنبي ﷺ شفاعات يومَ القيامة في مقامٍ واحدٍ، واحدة بعد أُخرى

أولها: ما ذُكر في خبر أَبِي زُرعة، عن أبي هريرة [١].

وخبر ابن عُمر [٢].

وابن عباس [٣].

وهي شفاعتُه لأمّته؛ ليخلصُوا من ذلك الموقف، وليعجِّل الله حِسابَهم، ويقضِي بينهم

ثم ما بعدها من الشفاعاتِ في ذلك الموقف إنما هي لإخراجِ أهلِ التَّوحيدِ من النار بشفاعتِه، فرقةً بعد أُخرىٰ، وعوداً بعد بدءٍ.

ونذكرُ خبراً مختصراً، حُذِفَ منه أوَّلُ المتن، كما حُذف في خبر أَبِي هُريرة رضي الله عنه وابنِ عُمر آخرُ المتن، اختُصِر الحديثُ اختصاراً.

● قال النبيُّ ﷺ: «... واختُصِرَ لي الحديثُ اختصاراً» [٤].

فأصحابُ النبيِّ ﷺ ربما اختصَروا أخبارَ النبيِّ ﷺ، إذا حدَّثوا بها، وربما اقتصُّوا الحديثَ بتمامِهِ، وربما كان اختصارٌ بعد الإخبارِ.

---

(١) انظر الحديث رقم(٤٧١) من الأصل.

(٢) انظر الحديث رقم(٤٧٤)من الأصل.

(٣) انظر الحديث رقم(٤٧٦)من الأصل.

(٤) لم أجده بهذا اللفظ، وروىٰ البخاري (٢٩٧٧)، ومسلم (٥٢٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال ﷺ: «بعثت بجوامع الكلم...».

قلت: ثم وقفت عليه، وهو بلفظ: «إنما بعثت فاتحًا وخاتمًا، وأعطيت جوامع الكلم وفواتحه، واختصر لي الحديث اختصارًا، فلا يهلكنكم المتهوكون».

وهو حديث ضعيف انظره في «الجامع الكبير» للسيوطي بتحقيقي.

أوبعضُ السامعين يحفظُ بعضَ الخبر، ولا يحفظ جميعَ الخبرِ، وربما نسي بعدَ الحفظِ بعضَ المتن، فإذا جُمِعَتِ الأخبارُ كلّها عُلم حينئذٍ جميعُ المتن، واسْتُدِلَّ ببعضِ المتن على بعضٍ. كذكرنا أخبار النبيِّ ﷺ في كُتبنا.

نذكرُ المختصرَ منها والمتقصّىٰ، والمجمل والمفسّر، فمن لم يفهم هذا البابَ لم يحل له ـ علمي ـ تعاطي علم الأخبارِ، ولا ادّعاؤها[1].

٤٧٩ ـ عن أنس بنِ مالكٍ قالَ: قال رسولُ الله ﷺ: «يُجمعون يومَ القيَامة، فتوهمون[2] لذلك».

قال: «فيقولُون: ألا نأتِي منْ يشفعُ لنا إلىٰ ربِّنا؛ فيُريحُنا مِنْ مكانِنَا هذَا».

قال: «فيأتُونَ آدمَ، فيقولُون: أنتَ آدمُ، الذي خلقكَ اللهُ بيدِهِ، ونفخَ فيك مِنْ رُوحِهِ، وأسكنكَ جنّته، اشفعْ لنا إلىٰ ربِّك».

قال: «فيقولُ: لستُ هناك ـ ويذكرُ خطيئتَهُ ـ ولكنِ ائتوا نُوحًا؛ أول نبيٍّ بعثَه اللهُ إلىٰ العالَمِين، فيأتُون نُوحًا، فيقولون: انطلقْ، فاشفَع لنا إلىٰ ربِّك».

قال: «فيقولُ: لستُ هُناكُم ـ ويذكُر خطيئتَه ـ ولكنِ ائتوا إبراهيمَ عليهِ السلام؛ عبْدًا اتخذه اللهُ خَليلاً».

قال: «فيأتُون إبراهيم، فيقولُون: انطلق فاشفعْ لنا إلىٰ ربِّك».

قال: «فيقول: لستُ هُناكم ـ ويذكرُ ثلاثَ كذباتٍ ـ ولكن ائتوا مُوسىٰ؛ عبدًا كلّمه الله تكلِيمًا».

---

(١) الله أكبر! أين نجد مثل هذا العلم والفهم والإرشاد؟ أتجده عند من لا يحسنون صناعة الحديث ولا الفقه ثم من غبائهم أنهم اختاروا لأنفسهم مذهبًا من المذاهب الأربعة وظنوا أن هذا هو العلم ثم يزرون أهل الحديث ويرمونهم بكل باقعة، والأجدر بهم أن يتعلموا، ولا ينبغي أن يمنعهم الكبر ـ ولا الكبر ـ أن يتعلموا فهذا سبيل نجاتهم ونجاة من يفتونهم.

(٢) وفي «ظ»: «فيهمّون».

قال: «فيأتون مُوسىٰ، فيقولون: انطلقْ فاشفعْ لنا إلىٰ ربِّك».

قال: «فيقولُ: لستُ هُناكم ـ ويذكُر خطيئته ـ ولكن ائتوا عيسىٰ؛ رُوحَ اللهِ وكلمتَهُ وعبدَه ورسولَهُ، فيأتون عيسىٰ، فيقولُون: انطلِقْ فاشفعْ لنا إلىٰ ربِّك».

قال: «فيقول لستُ هُناكم ـ ولا يذكرُ خطيئتَهُ ـ ولكن ائتوا محمداً ﷺ؛ عبداً غفرَ الله له ما تقدّم مِنْ ذنبِه وما تأخّر».

قال: «فيأتوني، فأقومُ، فآخذُ بحَلْقَةِ البابِ، فأستأذنُ فيُؤذنُ لي، فإذا رأيتُه وقعتُ ساجِداً».

قال: «فيقولُ: ارفعْ رأسَك، وَقُلْ يُسْمَعْ، واشفَعْ تُشَفّع، وَسَلْ تُعْطَه».

قال: «فيخرجُ لي حدّاً منَ النارِ، ثم أقعُ ساجِداً، فيقولُ لي: ارفعْ رأسَك وقُل يُسمعْ، واشفعْ تشفّع، وَسَلْ تُعطَه».

قال: «فيخرجُ لي حدّاً[1] مِنَ النارِ».

قال: «حتىٰ أقول: يا ربِّ! إنه لم يبق فِي النارِ إلا مَنْ حَبَسَهُ القرآنُ»[2].

● قال: وقال رسولُ اللهِ ﷺ: «إنّ لكلِّ نبيٍّ دعوةً، قدْ دَعا بِهَا فِي أُمّتِه وإني اختبأتُ دعوتِي شفاعةً لأمّتي يومَ القِيامةِ»[3].

٤٨٠ ـ عن أنسٍ، عن النبيِّ ﷺ قال: «يأتِي المؤمنُون آدمَ يومَ القيامةِ

---

(١) هكذا الأصل: «فيُخرجُ لي حدّاً»، وفي باقي الروايات: «فيحد لي حدّاً فأخرجهم، فأدخلهم الجنة». فقد يكون عبد الرحمن بن عثمان ـ أحد الرواة ـ حفظ هذه اللفظة هكذا، أو أنه رواها بالمعنىٰ، ولا تنافي بين معنىٰ العبارتين، والله أعلم.

(٢) صحيح لغيره.

(٣) صحيح. ورواه البخاري (٦٣٠٥)، ومسلم (٢٠٠) من حديث أنسٍ رضي الله عنه. ولكن في هذه الرواية: «دعا بها في أمته»، وسيأتي تعليق المصنف علىٰ ذلك ص (٢٠٧).

فيقولُون: أسجدَ اللهُ لكَ الملائكةَ، فاشفَعْ لنا إلىٰ اللهِ، فيُرِيحُنا مِن مكانِنَا هذا، فيقولُ: لستُ هناكم[١].

فأتُوا نُوحًا، فيأتُون نُوحًا، فيقول: لستُ هناك[٢]، فما يَزالُون حتىٰ يُؤمرُوا إلىٰ خليلِ اللهِ؛ إبراهيمَ، فيأتُون إبراهيمَ، فيقولُ: لستُ هُناك، فأتُوا عيسىٰ؛ فإنه رُوحُ اللهِ وكلمتُه، فيأتُون عيسىٰ، فيقولُ: لستُ هناك، فأتُوا مُحمّدًا ﷺ، فقد غَفَرَ [اللهُ][٣] له ما تقدّم مِن ذنبِه، وما تأخّرَ».

قال النبيُّ ﷺ: «فيأْتُونِي، فآتِي ربّي عزّ وجلّ في دارِه، فأستأذنُ، فيُؤذَنَ لِي، فإذَا رأيتُ ربِّي» ـ قال لنا أحمدُ: هيه ـ

«فإذا نظرتُ إلىٰ ربِّي خررتُ له ساجِدًا، فيدعنِي ما شاءَ اللهُ أنْ يدعَنِي، فيُقال ـ أو يقولُ ـ: ارفعْ محمدُ، قُل يُسمعْ، وسَلْ تُعْطَهُ، اشفَعْ تُشفّع، فأحمَدُ ربِّي بمحامِدَ يُعلّمنيها، ثمّ أشفعُ، فيحُدّ لِي حدًّا، فأخرج[٤]، فأدخلُهم الجنَّة.

ثمّ أعودُ إلىٰ ربِّي [ثانية][٥]، فإذا رأيتُ ربِّي خررتُ له ساجدًا، فيدَعُنِي ما شاءَ اللهُ أنْ يدَعَنِي، فيقولُ ـ أو يقال ـ: ارفعْ محمدُ، سلْ تعطه، واشفَعْ تشفَّع، فأحمَدُ ربِّي بمحامِدَ يُعلمنيها، ثمّ أشفعُ، فيُحدُّ لي حدًّا، فأخرج[٦] فأُدْخِلُهُم الجنةَ.

ثمَّ أعودُ إلىٰ ربّي الثالثة، فإذا رأيتُ ربِي خررتُ لهُ ساجِدًا، فيدعُنِي ما

(١) وفي «ظ»: «هناك».

(٢) وفي «ظ»: «لها».

(٣) زيادة من «ظ».

(٤) كذا بالأصل، وفي «ظ»: «فأخرجهم».

(٥) زيادة من «ظ».

(٦) كذا بالأصل، وفي «ظ»: «فأخرجهم».

شاءَ اللهُ أنْ يدَعَنِي، ثم يقولُ ـ أو يُقَال ـ: ارفعْ [محمدُ][1]، قل يُسمعْ، سَلْ تعطَه، اشفَعْ تشفَّعْ، فأحمَدُ ربي بِمَحَامِدَ يُعلّمْنِيها، ثم أشفعُ، فيحدُّ لي حدًّا، فأخرجهُم [من النار] فأدخلهم الجنةَ، حتىٰ أقولَ لربِّي: ما بقيَ في النارِ إلا مَنْ حبَسَهُ القرآنُ»[2][3].

٤٨٢ ـ عن أنس بن مالكٍ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «يجتمعُ المؤمنُون يومَ القيامةِ، فيهتمُّون لذلك، أو يُلْهمُون به[4]، فيقولُون: لواسْتَشْفَعْنا إلىٰ ربِّنا فأراحَنا مِنْ مكانِنا هذا، فيأتُون آدمَ.

فيقولون: يا آدمُ! أنت أبو الناسِ، خلقكَ اللهُ بيدِه، وأسجدَ لك ملائكتَهُ وعلّمك أسماءَ كُلِّ شيءٍ، فاشفعْ لنا عند ربِّك، حتىٰ يُريحَنَا مِنْ مكانِنَا هَذَا.

فيقولُ: لستُ هُناكم، ويذكرُ لهم ذنبَه الذي أصابه، فيَسْتحيِي ربّه مِنْ ذلِك، ولكنِ ائتُوا نُوحًا فإنه أوّلُ رسولٍ بعثهُ اللهُ إلىٰ أهلِ الأرضِ، فيأتون نُوحًا

فيقولُ: لستُ هُناكم، ويذكرُ سؤاله ربّه ما ليس له به عِلْمٌ، فيستحيي ربّه مِن ذلك، ولكنِ ائتُوا إبراهيمَ؛ خليلَ الرحمنِ، فيأتُونه.

فيقولُ: لستُ هُنَاكم، ولكنِ ائتُوا مُوسىٰ؛ عبدًا كلَّمَهُ اللهُ، وأعْطَاهُ التّوراةَ فيأتُونه.

فيقولُ: لستُ هُناكم، ويذكرُ قتلَه للنفسِ بغيرِ نفسٍ، فيَسْتحيِي ربه منْ

---

(١) زيادة من «ظ».

(٢) يعني إلا من وجب عليه الخلود في النار حسب وعيد القرآن.

(٣) صحيح.

(٤) في «ظ»: «فيهمون»، وما في الأصل هو الموافق لما في «صحيح مسلم»، ومعنىٰ «يهتمون»: أي: يعتنون بسؤال الشفاعة، وزوال الكرب الذي هم فيه.
و«يلهمون»: أي أن الله تعالىٰ يلهمهم سؤال ذلك.

ذلِك، ولكن ائتُوا عِيسىٰ؛ عبدَ اللهِ ورَسُولَهُ، وكلمة الله[(١)]، ورُوحَه فيأتُونه .

فيقولُ: لستُ هُناكم، ولكن ائتُوا محمّدًا ﷺ؛ عبدًا غفرَ اللهُ له ما تقدّم مِنْ ذنبِه، ومَا تأخّر، فيأتُوني، فأنْطَلِقُ».

قال الحسنُ: «فأمشي بينَ سماطينِ مِنَ المؤمنينَ»، ثم رجع إلىٰ حديث أنس[(٢)].

«فأستأذنُ علىٰ ربِّي، فيَأْذن[(٣)] لِي، فإذا رأيتُ ربِّي وقعتُ له ساجِدًا فيدَعُني ما شاءَ اللهُ أن يدعَنِي، ثمّ يقالُ: ارفعْ محمدُ. قُلْ يُسْمع، وَسَلْ تعط[(٤)] واشفعْ تُشفّعْ، فأرفعُ رأسي، فأحمدُ [ربِّي][(٥)] بتحميدٍ يعلِّمنِيه فأشفعُ، فيحدُّ لي حدًّا، فيدخلهم الجنة.

ثم أعودُ الثانية: فإذا رأيتُ رَبِّي وقعتُ له ساجِدًا، فيدعُنِي ما شاءَ الله أن يدعَنِي، ثمّ يقالُ: ارفعْ محمدُ، قلْ يُسْمعْ، وسَلْ تُعْطَه، واشفَعْ تُشَفَّع، فأرفعُ رأسِي، فأحمدُه بتحميدٍ يعلِّمْنيه، ثمّ أشفعُ، فيحدُّ لي حَدًّا، فيدخلهم[(٦)] الجنةَ.

ثمّ أعودُ فِي الثالثة[(٧)] فإذا رأيتُ ربي وقعتُ ساجِدًا، فيدعُني ما شاءَ الله أنْ يدعَنِي، ثمّ يقالُ: ارفعْ محمدُ. قلْ يُسمعْ، وسَلْ تُعْطَهُ، واشفَعْ تُشفّع، فأرفعُ

(١) وفي «ظ»: «وكلمته».

(٢) السماط: الجماعة من الناس والنخل، والمقصود هنا: الجماعة من المؤمنين عن جانبيه. أي: بين صفين.
والحسن هو: البصري، وهو يروي هذا الحديث عن أنس، كما في الحديث الآتي برقم(٦٠٤).

(٣) وفي «ظ»: «فيؤذن».

(٤) وفي «ظ»: «تعْطَه».

(٥) زيادة من «ظ».

(٦) وفي «ظ»: «فأُدخلُهم».

(٧) في الأصل: «ثم أدعو الثالثة»، والمثبت من «ظ».

رأسِي، فأحمدُه بتحميدٍ يعلّمُنيه، ثمّ أشفعُ، فيحدُّ لي حدًّا، فيدخلهم[1] الجنةَ. ثمّ آتيه الرابعة ـ [أو أعودُ الرابعة][2] ـ فأقولُ: «يا ربِّ! ما بقي إلا مَنْ حبَسَهُ القرآنُ»[3].

قال أبو بكر: قولُه في هذا الخبر ـ أعني: خبرَ شُعبة في أول ذكر الشفاعة[4] ـ: «فيخرجُ لي حدًّا من النَّارِ» دالٌّ على أن الشفاعة ليست الشفاعة الأولى التي في خبرِ أبي هُريرةَ رضي الله عنه[5]، ليخلصُوا من ذلك الموقف.

الذي ذُكر في خبرِ ابن عُمر[6]، أنّه سأل ربَّه عز وجل أن يقْضِي بين الخلقِ وفي خبر ابن عباس[7] أنه سأل أن يعجّل حسابَهم ابتداءً، وهو القضاء بينهم.

فمن ذكر أنه يدخل الجنةَ برحمته هم الذين يدخلون الجنةَ ممن لا حسابَ عليهم، الذين[8] ذكرَهم في خبرِ أبِي هُريرة، وهم الذين يَدْخُلونَ الجنَّة من البابِ الأيمنِ، وأعلمَ في خبرِ ابن عبّاس أنه يشفع ذلك[9]، ولا يزال يشفع كما ذُكر في الخبرِ.

«ولا يزال» عند العربِ لا يكون إلا مرةً بعد أُخرىٰ، وثالثةً بعد ثانيةٍ.

---

(١) وفي «ظ»: «فأدخلهم».

(٢) زيادة من «ظ».

(٣) صحيح. رواه البخاري (٤٤٧٦ و٣٥١٦ و٦٥٦٥ و٧٤١٠)، ومسلم (١٩٣)،

(٤) هو الحديث السابق برقم (٤٧٩).

(٥) انظره في الأصل برقم (٤٧١).

(٦) انظره في الأصل برقم (٤٧٥).

(٧) مضىٰ برقم (٤٧٦).

(٨) في الأصل: «الذي»، والمثبت من «ظ».

(٩) كذا الأصل، وفي «ظ»: «كذلك».

■ وفي خبر الحسن، عن أنسٍ، قال: «مازلتُ أشفعُ»[1].

■ وقولُه في خبر سعيد بنِ أبي عَروبة: «فيحدُّ لي حدًّا، فيُدخلهم الجنةَ» في الابتداء.

وقد يجوزُ أن يكون [أراد][2] من ذكرهم في خبرِ أبي هريرة رضي الله عنه الذينَ لا حِسابَ عليهم، ممن يدخلُون الجنةَ من البابِ الأيمن.

ويجوزُ أن يكونَ أرادَ مَن ذكرَهم في رواية شُعبة ممن يَخرجُون من النار.

فإن كان أرادَ الذين ذكرهم في خبرِ أبي هُريرة، فخبرُ سعيدٍ متقصىً لأوّلِ الحديث وآخرِه، كخبر ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما.

وإن كان أرادَ مَن ذكرَهم في خبرِ شُعبة ممن يخرجُون من النارِ، فخبرُ سعيدٍ أيضًا مختصرٌ، كرواية شُعبة.

٤٨٤- عن أنسٍ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إذا اجتمعَ المؤمنُونَ يومَ القيامة...»، فذكر الحديث بطوله إلى قوله: «فآتيه الرابعة، فأقولُ: يا ربِّ! ما بقي في النَّارِ إلا مَن حبسه القرآنُ» قال قتادة: أي وجبَ عليه الخلود.

قال قتادة: وحدثنا أنس بنُ مالكٍ، أن نبيَّ الله ﷺ قال: «فيخرجُ من النَّارِ من قالَ لا إله إلا الله، وكان في قلبهِ من الخيرِ ما يَزِنُ شعيرةً، ثم يخرج من النارِ من قالَ لا إله إلا الله، وكان في قلبِه من الخيرِ ما يزنُ ذَرَّةً».

قال قتادة: وأهلُ العلم يَرون أن المقامَ المحمودَ الذي قال الله عزّ وجلّ ﴿عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩]. قال: الشَّفَاعةُ يومَ القِيَامَةِ[3].

---

(١) سيأتي برقم (٥٨١).

(٢) زيادة من «ظ».

(٣) صحيح. وانظر ما تقدم برقم (٤٨٢).

قال أبو بكر: فهذا الخبر يدلُّ على أنَّ النبيَّ ﷺ. يشفعُ مرّاتٍ.

٤٨٧ ـ عن أنسٍ، أن رسولَ الله ﷺ قال: «يطولُ يومُ القِيامةِ على الناسِ، فيقولُ بعضُهم لبعضٍ: انطلِقُوا بنا إلى آدمَ؛ أبِي البشرِ، فيشفعُ لنا إلى ربّه، فلْيَقْضِ بينَنا، فيأتُون آدمَ

فيقولُون: [يا آدمُ!][1] أنتَ الذي خلقَك اللهُ بيدِه، وأسكنك جنّتَه وأسجدَ لك ملائكتَهُ؛ اشفَعْ لنا إلى ربِّك، فلْيقْضِ بيننا.

فيقولُ: إني لستُ هُناكم، ولكنِ ائتُوا نُوحًا؛ فإنه رأسُ النبيين، فيأتُون نُوحًا. فيقولون: يا نوحُ! اشْفَعْ لنا إلى ربِّك، فليقْضِ بينَنا. فيقولُ: إنِي لستُ هُنَاكم، ولكن ائتُوا إبراهيمَ خليلَ اللهِ، فيأتُون إبراهيمَ.

فيقولون: يا إبراهيمُ! اشْفَعْ لنا إلى ربِّك، فلْيقْضِ بينَنَا. فيقولُ: إني لسْتُ هُناكم، ولكنِ ائتُوا مُوسى؛ الذِي اصطفاهُ اللهُ برسالاتِه وكلامِه، فيأتُون مُوسى.

فيقولُون: يا مُوسى! اشفَعْ لنا إلى ربِّك فليقْضِ بيننا.

فيقولُ: إنِّي لستُ هُناكم، ولكنِ ائتُوا عِيسى؛ رُوحَ اللهِ وكلمتَه، فيأتُون عيسى. فيقولون: يا عيسى! اشفَعْ لنا إلى ربِّك، فلْيَقْضِ بيننا.

فيقولُ: إنِي لستُ هُناكم؛ أرأيتم لو كانَ متاعٌ فِي وعَاءٍ قد خُتِمَ عليه، كان يُقدرُ على ما فِي الوعاءِ حتى يُفضَّ الختمُ» ؟! [قال: «فيقولون: لا][2].

قال: فإن مُحمّدًا خاتمُ النبيين قدْ حضرَ اليوم، قد غَفَرَ الله له ما تقدّم مِنْ ذنبه، وَمَا تأخّر».

قال رسُولُ الله ﷺ: «فيأتُوني، فيقولُون: يامحمّدُ! اشفعْ لنا إلى ربِّك،

---

(١) زيادة من «ظ».

(٢) زيادة من «ظ».

فليقض بينَنا. فأقولُ: نعم؛ أنا لَها، حتىٰ يأذنَ اللهُ لمن يشاءُ ويرضىٰ».

قال: «فآتي بابَ الجنةِ، فأقْرعُ البابَ، فيقالُ: مَنْ أنتَ؟ فأقولُ: محمدٌ، فيفتَح لِي، فآتي ربِّي، وهُو علىٰ سريره - أو علىٰ كُرسيِّه - فأخرُّ ساجِداً، فأحمدُه بمحامِدَ لم يحمدْه بِهَا أحدٌ كان قبلِي، ولا يحمدُه بها أحدٌ كان بعدِي، فيقول: يا محمدُ! ارفعْ رأْسَك، وقُلْ يُسْمَعْ لكَ، وَسَلْ تُعطَه، واشفعْ تُشفَّعْ، فأرفعُ رأسِي، فأقولُ: يا ربِّ أمَّتِي. أمَّتِي، فيقالُ: أَخْرِجْ مَن كانَ فِي قلبِهِ مِثْقَالُ شعيرةٍ».

قال: «فأُخرِجُهم، ثم أعودُ [فأسجد]، فأحمدُه بمحامِدَ لم يحمدْه بها أحدٌ كان قبلِي، ولا يحمَدُه بها أحدٌ كان بعدِي، فيقول: يا محمدُ! ارفعْ رأسَك، وقُلْ يُسْمَعْ لكَ، وسلْ تُعْطَه، واشفعْ تُشَفَّعْ، فأقولُ: يا ربِّ! أمتي أمتي، فيقول: أخرجْ مَنْ كانَ في قلبِه مثقالُ [برّةٍ، فأخرِجُهم، ثم أعودُ، فأحمدُه بمحامِدَ لم يحمدْه بها أحدٌ كان قبلِي، ولا يحمَدُه بها أحدٌ كان بعدي][1] [فيقول: يا محمدُ! ارفعْ رأسَك، وقُلْ يُسْمَعْ لك، وسَلْ تُعْطَه، واشفَعْ تُشفّعْ][2] [فأقولُ: أي ربِّ. أمتي. أمتي. فيقول: أخرجْ مَنْ كانَ في قلبِه مثقالُ][3] ذرةٍ، فأُخرجُهم»[4].

وقال حميدٌ في الثالثة: «فيقال: أخرجِ مَنْ كانَ في قلبِه أدنىٰ شيءٍ»[5].

---

(١) زيادة من «ظ».

(٢) زيادة من المطبوع.

(٣) زيادة من «ظ».

(٤) صحيح. رواه أحمد (١/ ٢٩٦)

(٥) يريد بالثالثة الشفاعة الثالثة المذكورة في هذا الحديث، ورواية حميد ستأتي برقم (٦٠٥).

٤٨٨ ـ عن أنسٍ قال: حدَّثني نبيُّ الله ﷺ قال: «إني قائمٌ[١] أنتظرُ أمتي يعبُرون الصِّراطَ؛ إذْ جاءنِي عيسىٰ ابنُ مريم، فقال: يا محمدُ! هذه الأنبياءُ قدْ جاءتْك؛ يسألُون[٢] أنْ يجتمِعُوا إليكَ، فيدعوا[٣] أن يُفرِّقَ بين جميع الأمم إلىٰ حيثُ يشاءُ لِغَمِّ ما هم فيه، فالخلقُ مُلْجَمُون في العَرَقِ، فأما المؤمنُ فهو عليه كالزُّكْمةِ، وأما الكافِرُ فيغشاهُ الموتُ، قال: انتظِرْ[٤] حتّىٰ أرجعَ إليك، فذهبَ نبيُّ الله ﷺ، فقام تحتَ العَرْشِ، فيلقىٰ[٥] ما لم يلقَ مَلَكٌ مصطفىٰ، ولا نبيٌّ مرسلٌ».

قال: «فأوحَىٰ اللهُ إلىٰ جبريلَ: أن اذهبْ إلىٰ محمدٍ، فقل له: ارفعْ رأسَك، وسَلْ تُعْطَه، واشفَع تشفَّع، فشفَعْتُ فِي أُمتي، إلىٰ أن أُخرِجَ من كلِّ تسعةٍ وتسعينَ إنسانًا، واحدًا».

قال: «فما زلتُ أترددُ علىٰ ربِّي، فلا أقوم مقامًا إلا شَفَعْتُ، حتىٰ أعطاني من ذلك؛ أن قال: يا محمدُ! أدخلْ مِنْ أمتِكَ مِنْ خَلْقِ اللهِ مَنْ شهِد أن لا إلهَ إلا الله[٦]، وماتَ علىٰ ذلِك»[٧].

---

(١) وفي «ظ»: «لقائم».

(٢) وفي «ظ»: «يسألونك».

(٣) كذا بالأصل، وفي «ظ»: «فتدعو»، وفي المطبوع «فيدعون الله».

(٤) في الأصل: «انتظروا»، والمثبت من «ظ».

(٥) كذا بالأصول، وفي المطبوع، و«المسند»، و«التفسير» لابن كثير: «فلقي».

(٦) زاد الإمام أحمد في «المسند»: «يومًا واحدًا مخلصًا».

(٧) حسن. ورواه أحمد (٣/ ١٧٨)

٥٨ ـ باب ذكر البيان أن النبيَّ ﷺ أول شافع، وأول مشفَّع يومَ القيامة

وفيه دلالة أنّ يومَ القيامة قد يشفعُ بعد نبينا غيرُه، على ما سأبينه بعدَ ذلك إن شاء الله؛ إذ غيرُ جائزٍ في اللغة أن يُقال: أوّل لما لا ثاني له بعدُ ولا ثالث

٤٨٩ ـ عن أنسٍ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «أنا أوّلُ شفيعٍ في الجنة». وقال: «ما صُدِّقَ نبيٌّ ما صُدِّقتُ، وإنَّ مِنَ الأنبياءِ نبيٌّ لم يصدِّقْه مِنْ أمتِه إلا رجلٌ واحِدٌ»[١].

٤٩٠ ـ عن أنسٍ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «محمدٌ رسولُ الله يومَ القيامة؛ أولُ مَنْ يدخلُ الجنة، وأوّلُ مَنْ يُشَفَّعُ»[٢].

٤٩١ ـ عن أبي هُريرة رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «أنا سيدُ ولدِ آدمَ، وأولُ من تنشقُّ عنه الأرضُ، وأوّلُ شافعٍ، وأولُ مُشفّعٍ»[٣].

قال أبو بكر: الأخبارُ التي قدمنا ذكرها: «يأتي النَّاسُ آدمَ، فيقولُونَ اشفعْ لنا إلى ربِّنا. . .» فيها بيانٌ أن نبينا محمداً ﷺ: أول شافع، وأول مشفَّع.

٤٩٢ ـ عن أبي سعيدٍ الخدري: «يفزعُ الناسُ ثلاثَ فزعاتٍ. .»، فذكر حديثًا طويلاً. وقال: «فيأتُونَ مُحمّداً ﷺ: فأنطلِقُ، فآخذُ بحلْقَةِ بابِ الجنةِ، فأُقعقِعُها[٤] فيقولُون: مَنْ هَذا؟ فأقولُ: محمدٌ، فيقُولُون: قدْ بُعِثَ محمدٌ ﷺ، فيُرحبُون بِي»[٥].

---

(١) حسن صحيح. ورواه مسلم (١٩٦)، والدارمي (١/ ٢٧)

(٢) صحيح لغيره.

(٣) صحيح. رواه مسلم (٢٢٧٨).

(٤) أُحرِّكُها.

(٥) صحيح لغيره.

٥٩ ـ باب ذكر شدة شَفقةِ النبيِّ ﷺ
ورأفته ورحمته بأُمته، وفضل شفقته على أُمته،
على شفقة الأنبياء صلواتُ الله وسلامه عليهم على أممهم

إذ الله عزّ وجلّ أعطىٰ كلَّ نبيٍّ دعوةً، وعد إجابتها، فعجّل كلُّ نبيٍّ منهم ﷺ مسألته، فأُعطي سُؤله في الدُّنيا.

وأخَّر نبيُّنا ﷺ دعوتَهُ، ليجعلها شفاعةً لأُمته؛ لفضل شفقته ورحمته ورأفته بأُمتهِ، فجزىٰ الله نبينا مُحمّداً ﷺ أفضل ما جزىٰ رسولاً عمّن أُرسل إليهم، وبعثَه المقامَ المحمودَ الذي وَعَده؛ ليشفع فيه لأُمته، فإنّ ربَّنا عزّ وجلّ غيرُ مخلفٍ وعده، ومنجزٌ نبيّه ﷺ ما أخّر من مسألته في الدُّنيا وقت شفاعتِه، لأمته يومَ القيامة.

٤٩٧ ـ عن أبي هُريرة رضيَ اللهُ عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لكلِّ نبيٍّ دعوةٌ مستجابةٌ يدعُو بِها، فيُستجابُ له، فيُؤتاها، وإِني خبّأْتُ دعوتِي (فأريدُ ـ إن شاء الله ـ أن أخبِّئَ دَعْوَتِي) شفاعةً لأمتي»[(١)].

٥٠١ ـ عن أنس بن مالكٍ، أن نبيَّ اللهِ ﷺ قال: «لكُلِّ نبيٍّ دَعْوةٌ فِي أمتِهِ، وإِني اختبأتُ دعوتِي، شفاعةً لأمتِي يومَ القيامةِ»[(٢)].

قال أبو بكر: هذه اللفظةُ التي في هذه الأخبار: «إنَّ لكُلِّ نَبِيٍّ دعوةٌ» فيها اختصارُ كلمةٍ: أي: كانت لكلِّ نبي دعوةٌ.

وقولُه في هذه الأخبار: «يَدعُو بها فَتُستجابُ لهُ»، من الجنس الذي قد أعلمتُ في مواضعَ من كُتبي؛ أن العرب قد تقول: يَفْعلُ كذا، ويكونُ كذا؛

---

(١) صحيح. رواه البخاري(٧٤٧٤)، ومسلم(١٩٨).

(٢)صحيح. ورواه مسلم (٢٠٠)

علىٰ معنىٰ فَعَلَ كذا، وكان كذا.

وبيقين يُعلم أن الأنبياء الذين نزلتْ بهم مناياهم قبلَ خطاب النبيِّ ﷺ أمته بهذا الخطاب، لو كانت دعواتُهم باقية، قد وعد الله استجابتها لهم، لم يكن لقوله ﷺ: «وإنِّي اختبأتُ دعوتِي» معنًىٰ.

إذ لو كانتِ الأنبياءُ قد تركوا دعوتهم قبلَ نُزول المنايا بهم، وأنَّهم يدعُون بها يومَ القيامة، فتُستجابُ لهم دعوتُهم، لكانوا جميعًا قد أخَّروا دعوتهم إلىٰ يومِ القيامة، فتُستجاب لهم دعوتهم في ذلك اليوم، فيكونُون جميعًا في الدعوة والإجابة كالنبيِّ ﷺ.

٦٠ ـ باب ذكر الدَّليل على صحةِ ما أولتُ قولَه: «يَدْعُو بها» أن معناها: قد دعا بها

علىٰ ما حكيته عن العرب أنها تقول: يفعل، في موضع: فعل.

٥٠٤ ـ عن جابرٍ؛ أنّ النبيّ ﷺ قال: «إنّ لكلِّ نبيٍّ دعوةً دعَا بِهَا، وإنِّي اختبأتُ دعوتِي، شفاعةً لأمتِي يومَ القِيَامَةِ»[١].

٥٠٥ ـ عن أبي هُريرة قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «لِكُلِّ نبيٍّ دعوةٌ مستجابةٌ، فتعجَّلَ كلُّ نبيٍّ دعوتَه، واختبأتُ دَعْوَتِي شَفَاعةً لأُمَّتِي يومَ القِيَامةِ، فهي نائِلةٌ ـ إن شاء الله ـ منْ ماتَ مِنْكُم لا يُشرِك بالله شيئًا»[٢].

٥٠٦ ـ عن محمد بن زياد قال: سمعتُ أبا هُريرة رضي الله عنه يقولُ: قال رسولُ الله ﷺ: «إنّ لِكُلِّ نبيٍّ دَعْوَةً دَعَا بِها في أُمَّتِهِ، فتُستجَابُ له، وإنّي أُريدُ ـ إن شاء اللهُ ـ أنْ أسألَ اللهَ أنْ يجعَلَ دعوتِي شفاعةً لأمَّتِي يومَ القيامةِ»[٣].

٥٠٧ ـ عن أنسٍ؛ أنّ نبيَّ الله ﷺ قال: «كلُّ نبيٍّ قدْ سألَ سُؤالاً[٤]»، أو قال: «لكلِّ نبيٍّ دعوةٌ قدْ دَعَا بِهَا قَوْمَهُ، فاستخبأتُ دعوتِي، شفاعةً لأمتِي يومَ القِيَامةِ»[٥].

قال أبو بكر: يريد بقوله: «قومه» ـ إن كانت حُفِظت هذه اللفظة ـ أي: علىٰ قومِهِ، أو: لقومه[٦].

---

(١) صحيح. ورواه مسلم(٢٠١)، وأحمد (٣/ ٣٨٤)،

(٢) صحيح. ورواه مسلم (١٩٩)، وابن ماجه (٢/ ٤٢٦)

(٣) صحيح. ورواه مسلم (١٩٩)،

(٤)وفي «ظ»: «بسُؤالٍ».

(٥)صحيح. ورواه البخاري (٦٣٠٥)،ومسلم (٢٠٠).

(٦)هذا كلام علمي عالٍ من حيث الرواية والدراية؛ إذ هذه اللفظة لم أرها لغير المصنف رحمه الله=

على أني قد أعلمتُ في بعضِ كُتبي أن العربَ قد تضع الواو في موضع أو كقوله تعالى: ﴿فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ﴾ [النساء: ٣]، ولا شكّ ولا امتراءَ أن معناه: أو ثلاث أو رباع.

وفي الخبر الطويل الذي قد أمليتُ في آخره: «إنّ لكُلِّ نبيٍّ دعوةً دعا بِهَا في أُمَّتِهِ»[1] دلالةٌ على صحّةِ ما تأولتُ قولَه: «قد دَعا بها قَوْمَه» في رواية الصنعاني، أنَّه أراد: قد دعا بِها في قومه. أو: على قومه.

وفيه أيضًا بيانٌ على صحّة ما تأولت ألفاظ مَن قال: «يدعُو بها»، أي إن معناه: دعا بها.

=والحديث وإن رواه البخاري ومسلم إلا أن هذه اللفظة ليست عندهما، ومسلم لم يسق متن الحديث أصلاً، وإنما أحال فيه على لفظ قتادة عن أنس.

(١) انظر ص (١٩٤).

٦١ ـ باب ذكر ما كان من تخيير الله عز وجل نبيَّه محمداً ﷺ بين إدخال نصف أمته الجنة، وبين الشفاعة فاختار النبيُّ ﷺ لأمته الشفاعة

إذ هي أعمّ وأكثر وأنفع لأمته؛ خيرِ الأمم، من إدخالِ بعضهم الجنة.

٥١٤ ـ قال سليم بن عامر: سمعتُ عوف بنَ مالكٍ الأشجعي يقول: كُنَّا معَ رسولِ الله ﷺ في بعض أسفاره، فأناخ نبي الله ﷺ وأنخنا معه، فاستيقظتُ مِنَ اللَّيلِ، فإذا لا أَرىٰ في العسكر شيئًا أطول منْ مُؤْخِرَةِ رَحْلٍ؛ قَدْ لصقَ كلُّ إنسانٍ وبعيرُه[1] بالأرضِ (فتوسد كل رجل منا ذراع راحلته)[فاستيقظت]، فقمتُ أتخللُ النَّاسَ، حتىٰ دفعت إلىٰ مضجع رسولِ الله ﷺ، فإذا هُو ليسَ فِيهِ، فوضعتُ يدي علىٰ الفِراش، فإذا هُو باردٌ، فخرجتُ أتخلّلُ الناسَ.

وأقولُ: إنّا لله وإنا إليه راجِعُون، ذُهِبَ بِرَسُولِ الله[2] ﷺ، حتّىٰ خرجتُ مِن العسكرِ كُلِّه، فنظرتُ سواداً، فمضيتُ، فرُميتُ بحجرٍ، فمَضَيْتُ إلىٰ السَّوادِ فإذا مُعاذ بن جبل [قد أفزعه الذي أفزعني]، وأبو عبيدةَ بن الجرَّاح، وإذا بين أيدينا صَوتٌ كدوي الرّحَىٰ ـ أو كصوتِ القصباء حين تُصيبُها الريحُ ـ [بأعلىٰ الوادي].

فقال بعضُنا لبعضٍ: يا قوم! اثبُتوا حتّىٰ تُصْبِحُوا، أو يأتيَكُم رسولُ اللهِ ﷺ، فلبثنا ما شاءَ اللهُ. فبينما نحن كذلك إذ جاء النبي ﷺ.

ثم نَادَىٰ: «أثمّ معاذ بن جبل، وأبو عُبيدة، وعوفُ بن مالك؟».

فقلنا: ـ يعني: نعم. ـ قال أبو بكر: لم أجد في كتابي: نعم ـ فأقبلَ إلينا

---

(١) في «الإيمان» لابن منده: «قد لصق كل إنسان بعيره بالأرض».

(٢) وفي «ظ»: «ذهبت يا رسول الله».

فخرجنَا نمشي معَهُ، لا نسألُهُ عن شيءٍ، ولا يخبرُنا، حتى قعدْنَا على فِراشِهِ.

فقال: «أتدرُونَ ما خيَّرنِي به ربِّي في هذه الليلةَ؟».

قُلنا: اللهُ ورسُولُهُ أعلم.

قال: «فإنّه [أتاني آت من ربي ف] خيَّرنِي بينَ أَنْ يُدْخِلَ نصفَ أمّتي الجنةَ وبينَ الشَّفاعةِ، فاخترتُ الشفاعةَ».

فقُلنا: يا رسولَ الله! ادعُ اللهَ أنْ يجعلَنا مِنْ أهْلِها.

[قال: «أنتم من أهل شفاعتي»]. (وفي رواية: «شفاعتي لمن مات من أمتي لا يشرك بالله شيئًا»).

(وفي أخرى: قال: «هي لكلِّ مسلمٍ»)[1].

قال: ثم انطلقنا إلى الناسِ، فإذا هُم قَدْ فزعُوا حين فقدُوا رسولَ الله ﷺ، [فأتاهم النبيُّ ﷺ][2].

قالوا: يا نبيَّ الله! ننشدك اللهَ والصحبةَ لما جعلتنا مِن أهلِ شفاعتِك.

قال: «فأنتُم مِنْ أهْلِ شفاعتِي»، فلما أضبُّوا عليه[3] قال: «شفاعتِي لمن ماتَ من أمّتي لا يُشركُ باللهِ شيئًا»[4].

٥٢٣ ـ عن الأشعريّ قال: كُنَّا مع رسولِ الله ﷺ في سفرٍ وكنا نُساهِرُه[5] بالليل فِي مضجعِه، فأتيتُه ذاتَ ليلةٍ فلم أجدْه، فانطلقتُ أطلبُه، فإذا رجلانِ

---

(١) صحيح. ورواه ابن ماجه (٤٣١٧)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٨٢٠)، وابن منده في «الإيمان» (٩٣٢)، والطبراني في «الكبير» (١٨/ ١٢٦/ ٦٨)

(٢) زيادة من «ظ».

(٣) يعني: كثروا عليه.

(٤) صحيح. والحديث رواه أحمد (٦/ ٢٩)

(٥) في «ظ»: «نشاهِدُه».

قد أفقداه كما فقدتُه، فقلتُ: هل حسستماه؟ قالا: لا. فسمِعْنا صوتًا من أعلى الوادِي كجرِّ الرّحى ـ لا نراهُ إلا نحوه ـ إذ طلعَ علينا

فقالَ: «من هؤلاءِ؟».

قلنا: فقدنَاكَ يا رسولَ اللهِ!

قال: «أتانِي [الليلةَ][1] آتٍ من ربِّي، فخيَّرني بين الشفاعةِ وبين أن يُدْخِلَ نِصْفَ أمتِي الجنةَ، فاخترتُ الشفاعةَ».

قال: قُلْنا: يا رسولَ اللهِ! اجعلنا مِنْ أهلِ شفاعتِكَ.

قال: «أنتُم من أهلِ شفاعتِي» ثم أقبلنا، فانتهينا إلى القومِ، وقد تحسّسُوا، وفقدُوه.

فقال: «إنه أتانِي آتٍ من ربِّي، فخيَّرني بين الشفاعةِ، وبين أن يُدْخِلَ نصفَ أمتي الجنةَ، فاخترتُ الشفاعةَ».

قالوا: يا رسولَ اللهِ! اجعلنا مِن أهلِ شفاعتِك.

قال: «أنتُم مِنْ أهلِ شفاعتِي، ومَنْ شَهِدَ أنّ لا إله إلا الله، وأنِي عبدُه ورسولُه»[2].

(١) زيادة من «ظ».

(٢) صحيح.

٦٢ ـ باب ذكر الدليل على أن الأنبياءَ قبل نبيّنا محمدٍ ﷺ وعليهم أجمعين إنما دعا بعضُهم فيما كان الله جعلَ لهم من الدَّعوةِ المجابة، سألوها ربَّهم ودعا بعضُهم بتلك الدعوة على قومِه ليَهلكُوا في الدُّنيا

والدَّليل على أنه لم يكن أحدٌ منهم أرأف بأمته من نبينا محمدٍ ﷺ؛ لأنَّه اختبأَ دعوتَه، شفاعةً لأمتِه يومَ القيامةِ.

٥٢٥ ـ عن عبد الرحمن بن أبي عَقيل الثقفي قال: قدمتُ على رسولِ الله ﷺ في وفدِ ثَقيفٍ، فعلقنا طريقًا منْ طُرقِ المدينةِ حتى أَنَخْنا بالبابِ، وما في النّاسِ رجلٌ أبغضُ إلينا مِن رجُلٍ نَلِجُ عليه منه، فدخلْنا، وسلّمنا، وبَايعنَا فما خَرَجْنا مِنْ عِندِهِ حتّى ما في النَّاس رجلٌ أحبّ إلينا من رجُلٍ خرجنا مِن عندِه.

فقلتُ لهُ: يا رسولَ الله! ألا سألتَ ربَّك مُلْكًا كملك سُليمان؟ فَضَحِكَ.

وقالَ: «فلعلّ لصاحبكُم عندَ اللهِ أفضل من مُلْكِ سُليمان، إن اللهَ لم يبعثْ نبيًا إلا أعطاه الله دعوةً؛ فمنهم من اتخذَ بها دُنيا فأُعطيها، ومنهم مَن دعا بها على قومِه فأهلِكُوا بها، وإن الله تعالى أعطاني دعوةً اختبأتُها عند ربي؛ شفاعةً لأمّتِي يومَ القيامةِ»[1].

---

(١) صحيح. رواه أبو بكر بن أبي شيبة(١١٧٨٩)، وعنه ابن أبي عاصم(٨٢٤)، والبزار (٣٤٥٩).

٦٣ ـ باب ذكر لفظة رُويت عن النبيِّ ﷺ في ذكر الشفاعة

حسبتِ المعتزلةُ والخوارجُ وكثيرٌ من أهلِ البدعِ وغيرُهم ـ لجهلهم بالعلمِ وقلة معرفتهم بأخبار النبيِّ ﷺ ـ أنها تُضاد قولَ النبيِّ ﷺ عند ذكر الشفاعة: «إنها لكلِّ مسلمٍ»، وليست كما توهم هؤلاءِ الجهّال بحمد الله، ونعمته.

وسأُبيّنُ بتوفيق خالقِنا عزّ وجلّ أنها ليست متضادة.

٥٢٧ ـ عن أنسٍ، عن النبيِّ ﷺ قال: «شَفَاعتِي لأهلِ الكَبَائِرِ من أُمَّتِي»[(١)]

٥٣١ ـ عن جابرٍ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «شَفَاعَتِي لأهلِ الكَبَائر من أمَّتِي»[(٢)].

قال أبو بكر: قوله ﷺ ـ في ذكر الشَّفاعة في الأخبار التي قدَّمناها: «هي لكلِّ مُسلمٍ»[(٣)]، يريد: أني أشفعُ لجميعِ المسلمين في الابتداء؛ للنبيين، والشهداء، والصَّالحين، وجميع المسلمين، فيخلّصهم اللهُ من الموقفِ الذي قد أصابَهم فيه من الغمِّ والكَرْبِ ما قد أصابَهم في ذلك الموطن؛ ليقضي الله بينهم ويُعجِّل حسابَهُم على ما قد بُيِّن في الأخبارِ التي قد أمليتُهَا بطولِها.

فأما قوله: «شفاعتِي لأهلِ الكبائرِ من أُمتي»، فإنما أراد: شفاعتي بعد هذه الشَّفاعة التي قد عمّت جميعَ المسلمين، هي شفاعةٌ لمن قد أُدْخِلَ النارَ؛ من المؤمنين بذنوبٍ وخطايا قد ارتكبُوها، لم يغفرْها الله لهم في الدنيا، فيخرجُون من النارِ بشفاعته [ﷺ][(٤)].

---

(١) صحيح. ورواه الترمذي(٢٤٣٥) وقال: «حسن صحيح غريب».

(٢) صحيح. ورواه الترمذي(٢٤٣٦)، وابن ماجه (٤٣١٠).

(٣) كما في الحديث رقم(٥١٤).

(٤) زيادة من «ظ».

فمعنىٰ قوله ﷺ: «شفاعتي لأهلِ الكبائرِ»، أي: مَن ارتكبَ من الذُّنوبِ الكبائر، فأُدْخِلُوا النارَ بالكبائر؛ إذ الله عزّ وجلّ وعد تكفير الذنوبِ الصغائر باجتناب الكبائر، علىٰ ما قد ثَبَتَ[1] في قولِهِ تعالىٰ: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ [النساء: ٣١].

وقد سأل النبيُّ[2] ﷺ خَالِقَهُ وبارئَه عزّ وجلّ أن يُوليه شفاعةً فيمن سفك بعضُهم دماءَ بعضٍ؛ من أمته، فأُجيب إلىٰ مسألته وطلبته.

وسفكُ دماء المسلمين من أعظم الكبائر إذا سُفكت بغير حقٍّ، ولا كبيرة ـ بعد[3] الشركِ بالله والكُفر ـ أكبر من هذه الحَوْبَة.

٥٣٣ ـ عن أم حَبِيبة، عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «أُريتُ ما تَلقىٰ أُمتي بَعدي وسَفكَ بعضِهم دماءَ بعضٍ، وسَبَقَ ذلك من اللهِ، كما سَبق علىٰ الأُممِ قبلهم، فسألتُه أن يُولِّيني شفاعةً يومَ القيامةِ فيهم، ففَعَلَ»[4].

---

(١) وفي «ظ»: «بيَّنَتْ».

(٢) وفي «ظ»: «رسول الله».

(٣) وفي «ظ»: «غير».

(٤) صحيح. ورواه الحاكم (١/ ٦٨)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٨٠٠)، والطبراني في «الأوسط» (ق ٢٨٥/ ب).

وقال الحاكم: «صحيح علىٰ شرط الشيخين».

٦٤ ـ باب ذكر الدليل على أن النبيَّ ﷺ إنما أرادَ بالكبائر في هذا الموضع ما هو دُون الشرك من الذُّنوبِ

إن النبيّ ﷺ قد أخبرَ أن الشركَ أكبرُ الكبائر[١]؛ فمعنى قوله: «لأهل الكبائرِ مِنْ أمتِي»، إنما أراد منه[٢]: الذين أجابُوه، فآمنوا به، وتابوا من الشرك؛ إذ اسم الأمة قد يقعُ على مَن بُعث إليه [أيضًا][٣]، أي: إنهم أمته الذين بُعث إليهم، ومن آمن وتابَ من الشركِ فهم أمته في الإجابةِ، بعد ما كانوا أمّته في الدعوةِ إلى الإيمان.

■ في خبر الأعمشِ، عن أبي صالحٍ، عن أبي هُريرة، عن النبيِّ ﷺ: «فهي نائلةٌ إن شاءَ اللهُ من ماتَ منهم لا يشركُ باللهِ شيئًا»[٤].

---

(١) كما في الحديث الذي رواه البخاري(٢٦٥٤)، ومسلم(٨٧) من حديث أبي بكرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟» ثلاثًا. قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «الإشراك بالله...».

(٢) وفي «ظ»: «أمته».

(٣) زيادة من «ظ».

(٤) تقدم انظر الحديث (٥٠٥).

٦٥ ـ باب ذكر البيان أن شفاعةَ النبيِّ ﷺ التي ذكرتُ أنها لأهل الكبائر، وهي على ما تأولتُه

وأنها لمن قد أُدْخِلَ النّار من غيرِ أهلِ النار، والذين هُم أهلُها أهل الخلودِ فيها، بل لقومٍ من أهل التَّوحيد، ارتكبوا ذُنوبًا وخطايا، فأُدخِلُوا النَّارَ؛ لِيُصيبهم سفعٌ منها.

٥٣٤ ـ عن أبي سَعيد الخدري، عن النبيِّ ﷺ قال: «إنّ أهلَ النارِ؛ الذين هُم أهلُ النّارِ لا يَمُوتون فِيها ولا يحيَون، ولكنها تُصيبُ أقوامًا (قومًا) بذنُوبِهِم وخَطَاياهُم، حتّى إذا صَارُوا فَحمًا أُذِنَ في الشَّفَاعة».

قال: «فيخرجُون ضَبَائر[١] فيُلْقَوْن على أنهارِ الجنة. فيقالُ: يا أهلَ الجنةِ! أهرِيقُوا عليهم مِن الماء، فينبُتُون كما تنبُت الْحِبَّةُ في حَمِيل[٢] السّيل»[٣].

٥٣٦ ـ عن أنس بن مالكٍ؛ أن النبيَّ ﷺ قال: «لَيُصيبنَّ قومًا سفْعةٌ[٤] (سَفْعٌ) من النَّار؛ [عقُوبةً] بذنُوبِ عَمِلُوها [ثُمَّ يخرُجُونَ مِنها]، ثم يُدخِلُهم اللهُ الجنةَ [بفضلِ رحمَتِه]، يقالُ لهم: الْجَهنّميُّون»[٥].

٥٤٠ ـ عن أنس؛ أنّ رسولَ الله ﷺ قال: «إنّ أقوَامًا سيخرجُون مِنَ النّارِ قَدْ أصابُوا سفعًا من النارِ؛ عقوبةً بذنوبِ عَمِلُوها ثم يُخرِجُهم اللهُ بفضلِ رحمتِهِ فيدْخُلُون الجنةَ».

---

(١) جمع ضِبارة بفتح الضاد وكسرها، وأشهرها الكسر. قال أهل اللغة: الجماعات في تفرقة.

(٢) وفي «ظ»: «حميلة»، و«الحبة»: بكسر الحاء: بزور البقول والعشب وحب الرياحين، و«حميل السيل»: الغثاء الذي يحتمله السيل؛ من طين وغيره، فإذا اتفقت فيه حبة واستقرت، فإنها تنبت سريعًا في حسن وطراوةٍ، فشبه بها سرعة عود أبدانهم وأجسامهم إليهم بعد إحراق النار لها.

(٣) صحيح. ورواه مسلم (١٨٥)، وأحمد (٣/ ٧٨ ـ ٧٩).

(٤) علامة تغير ألوانهم.

(٥) صحيح. رواه البخاري (٧٤٥٠)، وأحمد (٣/ ١٤٧ و٢٠٨ و٢٦٩).

[إذا أبصرَهُم أهلُ الجنةِ قالُوا: ما هؤلاءِ؟ فيقالُ: هؤلاءِ الْجَهنّميُّون[1]].

٥٤٢ ـ عن حُذيفة رفعه إلى النبيِّ ﷺ قال: «يُخْرِجُ اللهُ مِنَ النَّارِ قومًا ـ مُنتنين قد غَشِيتهم النارُ ـ بشفاعةِ الشافعين، فيدخُلون الجنة، فيسمَّوْن: الْجَهنميون»[2].

٥٤٣ ـ عن عِمران، [عن][3] النَّبيِّ ﷺ قال: «ليخرُجنّ قومٌ منَ النَّارِ بالشَّفَاعةِ، يسمّونَ: الْجَهنّميّون»[4].

٥٤٧ ـ عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسولُ الله ﷺ: «يخرجُ ضبَارةٌ مِن النارِ، بعد ما كانُوا فحمًا». قال: «فيُقالُ: انبذُوهم فِي الجنةِ، ورشُّوا عليهم الماء، [فينبتُون][5] كما تنبتُ الحِبَّةُ في حَميلِ السَّيلِ». فقال رجلٌ مِنَ المسلمين: كأنما كنتَ مِنْ أهل الباديةِ يا رسولَ الله[6].

٥٥١ ـ قال سفيانُ: سمعتُ من عمرو ما شاء الله من مرة، يأتونه الناس يسألونه عنه خاصة، يقولُ:

سمعتُ جابرَ بن عبد الله يقول: سَمِعتْ أُذناي مِن رسولِ الله ﷺ: «إنّ ناسًا يَدخلُون النارَ، ثُمّ يَخْرُجُون منِها، فيَدخُلُون الجنةَ»[7].

---

(١) صحيح. ورواه أحمد (٣/١٢٦ و١٦٣ و٢٦٠).

(٢) حسن صحيح. ورواه أحمد (٥/٤٠٢).

(٣) زيادة من «ظ».

(٤) صحيح. ورواه البخاري (٦٥٦٦)، وأبو داود (٤٧٤٠)، والترمذي (٢٦٠٠)، وابن ماجه (٤٣١٥) وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح».

(٥) زيادة من «ظ».

(٦) صحيح. ورواه ابن منده في «الإيمان» (٨٣٥).

(٧) صحيح. ورواه البخاري (٦٥٥٨)، ومسلم (١٩١) (٣١٧)، وابن حبان (٧٤٨٣). =

٥٥٢ ـ عن عَمرو، عن جابر بن عبد الله؛ أنه سمعه يقول: أُشهِدُكم[١] لسمعتُ رسولَ الله ﷺ بأُذنيّ هاتين يقولُ: «إن الله يُخرجُ ـ يومَ القيامةِ ـ ناسًا من النارِ، فيَدخُلُون الجنةَ».

٥٥٤ ـ عن أنس بنِ مالكٍ؛ أن النبيَّ ﷺ قال: «إنّ قومًا يَخرجُون مِنَ النَّارِ بعدَما يُصِيبُهم سفعٌ[٢] فيها[٣]، فيدخُلُون الجنةَ، فيسمِّيهم أهلُ الجنة: الْجَهنّميون»[٤].

= وزاد ابن حبان:

«فقال له رجلٌ في حديث عمرو إنّ اللهَ يقولُ: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا﴾، فقال جابر بن عبد الله: إنكم تجعلون الخاص عامًا، هذه للكفار اقرؤوا ما قبلها، ثم تلا ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ القِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا﴾ [المائدة: ٣٦ ـ ٣٧] هذه للكُفَّار.

(١) وفي «ظ»: «أشهد».

(٢) علامة تغير ألوانهم.

(٣) وفي «ظ»: «منها».

(٤) صحيح. ورواه البخاري (٦٥٥٩)، وأحمد (٣/ ١٣٤).

٦٧ ـ باب ذكر البيان أن مَن قضى الله عزّ وجلّ إخراجَهم من النّار؛ مِنْ أهل التوحيدِ بالشفاعة

يصيرونَ فيها فحمًا، يُميتهم الله فيها إماتةً واحدةً، ثم يُؤذن بعد ذلك في الشفاعةِ، وصفة إحياء الله إيّاهم [بعد إخراجِ الله إياهم][1] من النار، وقبل دُخولهم الجنة بلفظةٍ عام مرادُها الخاص.

٥٥٨ ـ عن أبِي سعيد الخدري قال: قال رسولُ الله ﷺ: «أمَّا أهلُ النّارِ؛ الذين هُم أهلُها، فإنّهم لا يموتُون ولا يَحْيَوْن، ولكِن أناسٌ ـ أو كما قال ـ تُصيبُهم النَّارُ بقدر ذنُوبهم ـ أو كما قال ـ خَطَاياهُم، فيُميتُهم اللهُ إماتةً، حتى إذا صارُوا فحمًا، أُذِنَ في الشَّفاعةِ، فجيء بهم ضبائرَ ضبائر[2]، فبثوا على أنهار الجنة، فيقالُ: يا أهلَ الجنةِ! أفيضُوا عليهم [فيفيضون عليهم]». قال: «فينبُتُون كما تنبتُ الْحِبةُ في حَمِيلِ السّيل»[3]، فقال رجلٌ من القومِ: كأنّ رسولَ الله ﷺ قد كان في البادية[4][5].

قال إسماعيلُ[6]: الْحِبة ما ينتثر من نَبتِ الرجلِ؛ من الحبّ، فيبقى في الأرضِ، حتى تصيبه السماءُ من قابلٍ، فينبت[7].

٥٦٠ ـ عن أبي سعيد الخدريّ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «أما أهلُ النار،

---

(١) زيادة من«ظ».

(٢) هي الجماعات المتفرقة.

(٣) الحميل: بمعنى المحمول، وهو الغثاء الذي يحتمله السيل، واحدته: حميلة.

(٤) في«ظ»: «بالبادية».

(٥) صحيح. ورواه أحمد (٣/ ١١).

(٦) إسماعيل: هو ابن إبراهيم بن مقسم المعروف بابن علية ثقة من رجال الشيخين.

(٧) انظر «مشارق الأنوار» (١/ ١٧٤).

فإنّهم لا يَمُوتُون فيها ولا يَحْيَون، ولكن أناسٌ تصيبُهُم النارُ؛ عقوبةً بذنوبٍ عَمِلُوها فيميتُهُم إماتةً، حتى إذا كانوا فحمًا، أُذِنَ في الشَّفاعةِ، فيُجاءُ بهم ضبائرَ ضبائرَ» قال: «فيُلقَوْنَ على أنهارِ الجنة، ثم قيل: يا أهلَ الجنةِ! أفيضُوا عليهم» قال: «فينبتُون نباتَ الحِبَّةِ تكُونُ في السيلِ»[1].

٥٦٢ ـ عن أبي سعيد الخدري، عن نبيِّ الله ﷺ قال: «يخرجُ أقوامٌ من النارِ بعدَ ما احترقُوا، فكانوا فحمًا، يُرشُّ عليهم الماءُ، فينبتُون كما ينبتُ الغُثاءُ[2] في حميلِ السيلِ، ثم يَدخلُون الجنةَ»[3].

(١) صحيح. ورواه ابن منده في «الإيمان» (٨٣٣)

(٢) قال في «النهاية»: الغثاء بالضم والمد، ما يجيء فوق السيل مما يحمله من الزبد والوسخ وغيره... قال: وجاء في كتاب مسلم «كما تنبت الغثاءة»، يريد: ما احتمله السيل من البُزُورَات.

(٣) صحيح. ورواه ابن منده في «الإيمان»(٨٣٦)



٦٨ ـ باب ذكر البيان أن هؤلاءِ الذين ذُكروا في هذه الأخبار؛ أنهم يخرجون من النَّار، فيدخُلون الجنة، إنما يخرجُونَ مِن النار بالشَّفاعة

في خبرِ ابن عُلَيَّة: «أُذِنَ بالشَّفاعةِ، فجيء بهم»[١].

٥٦٥ ـ عن أبي سعيد الخُدري؛ [أنّ رسولَ الله ﷺ خطبَ، فأتى على هذه الآية: ﴿إنَّهُ مَنْ يأْتِ ربَّهُ مُجْرِمًا فأنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لا يَمُوتُ فِيهَا وَلا يَحْيَا وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ العُلَى﴾] [طه: ٧٤ـ ٧٥].

فقال رسولُ الله ﷺ: «أمَّا أهلُ النَّارِ؛ الذين هُم أهلُها، فإنَّهم لا يَمُوتُونَ ولا يَحْيَوْنَ، ولكن أناسٌ أصابتهُم النَّارُ بذنوبهم»،

أو قال: «بخطاياهُم، فأماتتهم إماتةً، حتى إذا كانوا فحمًا؛ أُذِنَ في الشَّفاعةِ، فيجاء بهم ضَبَائرَ ضبائرَ، فبثُّوا على أنهارِ الجنةِ، ثم قِيل: يا أهلَ الجنة! أفيضُوا عليهم من الماءِ، فينبتُونَ نبات الحِبَّةِ، تكون في حَمِيلِ السيلِ».

[فقال النبيُّ ﷺ: «أو ماتَرونَ الشَّجرةَ تكونُ خَضراء، ثم تكون صَفراء»، أو قال: «تكون صفراء، ثم تكُون خضراء؟»].

فقال رجلٌ من القوم: كأنّ رسولَ الله ﷺ قد كان في البادية[٢].

---

(١) كما تقدم برقم (٥٥٨).

(٢) صحيح. ورواه مسلم (١٨٥)، وأحمد (٣/ ٥)، وابن ماجه (٤٣٠٩).

٦٩ ـ باب ذكر الدليل على أن النبيِّ ﷺ، إنما أرادَ بقولِه: «فيصيرُونَ فحمًا»، أي: أَبدانهم خلا صُورهم، وآثار السجودِ منهم

إن الله عز وجل حرَّم على النارِ أكلَ أثر السجودِ من أهل التوحيدِ. بالله نتعوذُ[١] من النارِ وعذابها.

٥٦٩ ـ عن سعيد بنِ المسيب، وعطاء بن يزيد الليثي

أن أبا هُريرة رضي الله عنه أخبرهما، أنّ الناسَ قالُوا: يا رسولَ الله! هَلْ نَرَىٰ ربّنا يومَ القيامةِ؟ . . . فذكر الحديث بطوله.

وقال: «حتّىٰ إذَا أرادَ رحمةَ مَنْ أرادَ مِنْ أهلِ النارِ، أمرَ الملائكةَ أن يُخْرِجُوا مَنْ كانَ يعبدُ اللهَ، فَيُخْرِجُونَهُمْ، ويَعْرِفُونَهُم بآثارِ السُّجودِ؛ وحرّمَ اللهُ علىٰ النارِ أن تأكلَ أثرَ السجودِ، فيخرجونَ مِنَ النارِ، قد امتَحَشُوا[٢] فيُصبُّ عليهم ماءُ الحياةِ، فينبتُونَ كما تنبتُ الحِبّةُ فِي حميلِ السّيلِ، ثم يَفْرَغُ اللهُ مِنَ القضاءِ بين العِبَادِ، ويَبقَىٰ رجَلٌ بين الجنةِ والنارِ؛ وَهُو آخِرُ أهلِ الجنةِ دُخولاً . . .» ثم ذكرَ باقي الحديثِ[٣].

٥٧٢ ـ عن أبي سعيد الخدريّ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «إذا خلَصَ المؤمِنُون مِنَ النارِ، فأَمِنُوا، فما مجادلةُ أحدِكم لصاحِبِهِ فِي الحقّ يكونُ له فِي الدنيا، بأشدَّ مجادلةً من المؤمنينَ لربِّهم، فِي إخوانِهم؛ الذينَ أُدْخِلُوا النارَ».

قال: «يقولُون: ربَّنا إخوانُنا كانوا يُصلُّون مَعَنَا، ويَصُومُون معنا، ويحجُّون مَعنا، فأدخلتَهُم النارَ».

---

(١) وفي «ظ»: «نعوذ».

(٢) يعني: احترقوا.

(٣) صحيح.

قال: «فيقولُ: اذهبُوا، فأخرِجُوا مَنْ عَرَفْتُم منهم، فيأتونَهُم، فيعرفُونَهُم بِصُورَتِهِم، لا تأكُلُ النارُ صُوَرَهم[1] . . .»، فذكر الحديث بطوله[2].

(وفي رواية: «فيقولُ اللهُ لهم: اذهبُوا، فمن عَرَفْتُم صورتَه، فأخرِجُوه، وتحرَّم صورتُهم على النَّارِ»).

قال أبو بكر: قد بينتُ معنى اللفظة التي في خبر عِتْبَان بن مالك، عن النبيِّ ﷺ: «إنَّ الله حَرَّم النارَ على مَن قالَ: لا إله إلا الله، يبتغي بذلك وجهَ الله»، في موضعه من هذا الكتاب[3].

---

(١) وفي «ظ»: «صُورَتَهُم».

(٢) صحيح. رواه الترمذي (٢٥٩٨)، والنسائي (٨/ ١١٢ ـ ١١٣)، وابن ماجة (٦٠)، وأحمد (٣/ ٩٤ ـ ٩٥).

(٣) سيأتي حديث عتبان بن مالك بطرقه، وانظر (٦٥٩) وما بعده.

٧٠ ـ باب ذكر البيان أنّ مَنْ قضى الله إخراجَهم من النار من أهل التوحيدِ الذين ليسوا بأهل النَّار أهل الخلودِ فيها يموتُون فيها إماتةً واحدةً، تميتهم النَّار إماتةً، ثم يخرجُون منها فيدخلُون الجنَّةَ، لا أنّهم يكونون أحياء، يذوقون العذابَ ويألمون من حرِّ النار أن يخرجوا منها

قال أبو بكر: في خبر أبي سعيد: «حتَّىٰ إذا كانُوا فَحمًا، أُذِنَ لَهُم في الشَّفَاعَةِ».

فيه دلالة علىٰ أنّ قوله عز وجل: ﴿ولا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إلا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ [سبأ: ٢٣]، أي: لمن يأذن الله له الشفاعة ممن يموتُ في النارِ موتةً واحدةً ممن ليس من أهلِها؛ أهلِ الْخُلودِ فيها[1].

٥٧٨ ـ عن أبِي سعيد الخدريِّ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «أمَّا أهْلُ النَّارِ الَّذين هُم أهلُ النار، لا يَمُوتُونَ فِيها ولا يَحْيَونَ، وأما الّذين يريدُ الله إخراجَهم منها، فتميتُهم النَّارُ إماتةً، حتىٰ يكونُوا فَحمًا، ثم يَخْرُجُونَ ضَبائر، فيُلقونَ علىٰ أنهارِ الجنةِ، ويُرشُّ عليهم من مائِها، فينبتُونَ كما تنبتُ الْحِبَّةُ في حَمِيلِ السَّيْلِ»[2].

«فيُسميهم أهلُ الجنةِ: الْجَهنّميون، فيدعون الله، فيُذهِب ذلك الاسمَ عنهم».

---

(١) قال الشيخ خليل هراس ـ رحمه الله ـ: «بل الظاهر من معنىٰ الآية أنها بالنسبة للشافع، لا للمشفوع فيه، يعني: أن أحدًا لا يشفع عند الله إلا إذا أذن له، كما قال: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إلا بِإِذْنِهِ﴾. وأما قوله: ﴿وَلا يَشْفَعُونَ إلا لِمَنِ ارْتَضَىٰ﴾، فهي في حق المشفوع فيه». أهـ.

(٢) صحيح.

٥٧٩ ـ عن أبي سعيد الخدريِّ قال: «أمَّا الذين يريدُ الله إخراجَهُم مِنَ النَّارِ فإنه يُميتهم إماتةً حتى يكونوا فَحمًا، وأما الذين لا يريدُ الله أن يُخرجَهُم فإنَّهم لا يموتُونَ ولا يحيون، يَخرجُون ـ أي: الذين يُريد الله إخراجَهم من النار ـ ضبائر، فيُلقون على أنهارِ الجنةِ، ويشْرَبُونَ من مائِهَا، فينبتُونَ نبات الحبةِ في حَمِيلِ السَّيلِ، فيسميهم أهلُ الجنة: الْجَهنميُّون»[1].

قال: فبلغني في حديثٍ آخر، أنهم يدعُون ربَّهُم، فيُمحى عنهم ذلك الاسم[2].

قال أبو بكر: قد كنتُ أحسب زمانًا أن الاسم لا يقع على مثل هذه اللفظة.

كنتُ أحسبُ زمانًا أن هذا من الصِّفات لا من الأسامي.

كنت أحسب أنّ غير جائزٍ أن يُقال لأهلِ المحلة، أن هذا اسم لهم، وأن أهل المدينة أو أهل قرية كذا، أو أصحاب السجون، إيقاع الاسم على مثل هذا.

(١) صحيح.

(٢) هذه الزيادة، وهي محو ذلك الاسم عنهم، سبقت في الحديث السابق مرفوعة، وهي هنا ـ إن لم تكن موقوفة ـ غير صريحة في الرفع.

وقال الحافظ في «الفتح» (١١/ ٤٣٠): «أخرجه مسلم من وجه آخر عن أبي سعيد، وزاد: «فيدعون الله، فيذهب عنهم هذا الاسم»، وفي حديث حذيفة عند البيهقي في «البعث» من رواية حماد بن أبي سليمان، عن ربعي عنه: «يقال لهم الجهنميون، فذكر لي أنهم استعفوا الله من ذلك الاسم، فأعفاهم». ولم أجده في «صحيح مسلم»، والله أعلم.

ثم وجدته من طريق لا بأس به في الشواهد والمتابعات، رواه ابن حبان (٩/ ٢٦١ ـ ٢٦٢/ رقم ٧٣٨٩)، والطبراني في «الأوسط» (٨١٠٦) من طريق حماد بن أسامة، عن أبي روق؛ عطية بن الحارث، عن صالح ابن أبي طريف، به.

وفيه: «فيقولون: يا رب! أذهب عنا هذا الاسم، فيأمرهم، فيغتسلون في نهر الجنة، فيذهب ذلك عنهم».

ورجاله ثقات، غير صالح بن أبي طريف، لم أجده في غير «الثقات» (٤/ ٣٧٦) لابن حبان.

لأنه محالٌ عندي ـ في قدر ما أفهم من لغةِ العرب ـ أن يُقال: أهلُ كذا اسمهم أهل قرية كذا، وأهل مدينة كذا، وإن اسم أهل[1] السجون، هذه صفاتُ أمكنتهم.

والاسمُ اسمُ الآدميين؛ كمحمد، وأحمد، والحسن، والحسين، وغير ذلك.

وقد أوقعَ في هذا الخبر الاسمَ على الْجَهنميين، يسمون الجهنَّمِيُّون نسبة[2] لسان العرب.

وقد كنتُ أعلمتُ أصحابِي منذ دهرٍ طويلٍ أن الأسامي إنما وضعت بمعنيين:

أحدهما: للتعريف؛ ليُعرف الفرق بين عبد الله وعبد الرحمن، ويُعلم مَن محمد، ومَن أحمد، ومَن الحسن، ومَن الحسين، فيفرّق بين الاثنين والجماعة بالأسامي. وهذه الأسامي ليست من أسماء الحقائق، وقد يسمى المرء حَسَنًا وهو قبيحٌ، ويُسمى محموداً وهو مذمومٌ، ويسمى المرءُ صالحًا وهو طالحٌ.

والمعنى الثاني: هو أسامي الصفات على الحقائق، إذا كان المرءُ صالحًا، فقيل: هذا صالحٌ، فإنما يُراد صفتُه التي هي صفتُه على الحقيقةِ، كذاك إنما يُقال لمحمودِ المذهب: فلانٌ محمودٌ على هذه الصِّفة، كذاك يُقال للعالِم: عالِمٌ، وللفَقِيه: فقيهٌ، وللزَّاهِد: زاهدٌ، هذه أسامي على الحقائق وعلى الصفات.

---

(١) وفي «ظ»: «هذه».

(٢) وفي «ظ»: «يشبه».

٧١ ـ باب ذكر خبرٍ رُوي عن النبيِّ ﷺ في إخراج شَاهد أن لا إله إلا اللهُ مِنَ النَّار

أَفْرَقُ أن يسمعَ به بعضُ الجهّال، فيتوهم أن قائله بلسانِه من غيرِ تصديقِ قلبٍ يخرج من النار؛ جَهْلاً، وقلّة معرفةٍ بدينِ الله وأحكامه، ولجهلِه بأخبار النبي ﷺ مختصرها ومتقصَّاها، وأنا لتوهّم بعض الجهال أن شاهدَ أن لا إله إلا الله من غيرِ أن يشهدَ أن لله رُسُلاً، وكُتُبًا، وجنةً، ونارًا، وبعثًا، وحسابًا، يدخل الجنة أشدُّ فرقًا.

إذ أكثر أهلِ زمانِنا لا يفهمون هذه الصّناعة، ولا يُميزون بين الخبر المختصر، وبين الخبر المتقصى، فيحتجُّونَ بالخبر المختصر، ويدعون الخبرَ المتقصّى، وربما خَفي عليهم الخبرُ المتقصّى، فيحتجُّون بالخبرِ المختصر

يترأَّسُون قبلَ التعلّم، قد حُرموا الصبر على طلبِ العلمِ، لا يصبرون حتى يستحقوا الرياسةَ، فيبلغوا منازلَ العلماءِ.

٥٨١ ـ عن أنس بنِ مالكٍ، عن النبيِّ ﷺ قال: «ما زلتُ أشفَعُ إلى ربِّي ويُشفّعني حتى قُلْتُ: أي ربِّ! شَفِّعْني فيمن قالَ: لا إله إلا الله. فقال: يا محمدُ هذه ليست لكَ ولا لأحدٍ [إنَّما ذلكَ لي] وعزَّتي وجلالي [وكبريائي وعظمتي] [وحلمي] وَرَحْمَتي لا أدعُ فِي النَّارِ أحَدًا (عبدًا) قال: لا إله إلا الله [إلا أُخرجَ منها]»[1].

(١) حسن. ورواه ابن أبي عاصم في «السنة» (٨٢٨)، وأبو يعلى في «مسنده» (٢٧٨٦).

٧٢ ـ باب ذكر البيان أن النبيَّ ﷺ يشفع للشاهدِ لله بالتوحيدِ الموحّد لله بلسانهِ إذا كان مُخلصاً مصدِّقًا بذلك بقلبهِ لا لمن تكون شهادته بذلك منفردة عن تَصْدِيق القلْبِ

٥٨٦ ـ عن أبي هُريرة قال: قلتُ: يا رسولَ اللهِ! مَنْ أسعدُ الناسِ بشفاعتِكَ يومَ القيامةِ؟

فقالَ النبيُّ ﷺ: «لقد ظننتُ يا أبا هريرةَ! أنْ لا يسألَني عَنْ هَذَا الحديثِ أحدٌ أولى منْكَ؛ لما رأيتُ من حِرْصِكَ على الحديثِ؛ أسعدُ الناسِ بشفاعتِي ـ يومَ القيامةِ ـ مَنْ قالَ: لا إله إلا اللهُ خَالصًا مِنْ نَفْسِهِ»[1].

---

(١) صحيح. ورواه البخاري (٩٩و٦٧٥٠)، والنسائي في «الكبرى» (٥٨٤٢)، وأحمد (٢/ ٣٧٣).

٧٣ ـ باب ذكر خبر دالٍّ على صحةِ ما تأولتُ: إنما يخرجُ مِن النار شاهدُ أن لا إله إلا الله، إذا كان مُصدِّقًا بقلبِه بما شهد به لسانُهُ إلا أنه كنى عن التصديق بالقلبِ بالخير

فعاند بعضُ أهلِ الجهل والعناد ، وادَّعى أن ذكر الخير في هذا الخبر ليس بإيمانٍ ؛ قلة علمٍ بدينِ الله ، وجرأة على الله ، في تسمية المنافقين مُؤمنين .

٥٨٧ ـ عن أنس بنِ مالكٍ، عن النبيِّ ﷺ قال: «يقولُ الله: أخرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ قالَ: لا إلهَ إلا اللهُ ؛ وكانَ فِي قلبِهِ مِنَ الخيرِ ما يزنُ شعيرةً، أخرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ قالَ: لا إلهَ إلا اللهُ ؛ [وكان] في قلبِهِ مِنَ الخيرِ ما يزنُ برةً، أخرِجُوا مِنَ النار مَنْ قالَ: لا إله إلا اللهُ ؛ [وكان] في قلبِهِ مِنَ الخيرِ ما يزنُ دودةً، أخرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ قَال: لا إله إلا اللهُ ؛ [وكان] في قلبِهِ مِنَ الخيرِ ما يزنُ ذرّةً»[١] .

(١) صحيح. رواه البخاري(٤٤و٧٤١٠)، ومسلم(١٩٣)(٣٢٥)، والترمذي(٢٥٩٣).

٧٤ ـ باب ذكر الأخبار المصرّحة عن النبيِّ ﷺ أنه قال: إنما يخرجُ من النارِ مَن كان في قلبه في الدنيا إيمان، دونَ مَن لم يكن في قلبه في الدنيا إيمانٌ

ممن كان يقرّ بلسانِهِ بالتوحيد، خاليًا قلبُه من الإيمانِ، مع البيان الواضح أن الناس يتفاضَلُون في إيمان القلبِ.

ضد قول مَن زعمَ من غالية المرجئة: أن الإيمانَ لا يكون في القلبِ[(١)].

وخلاف قول من زَعم من غيرِ المرجئة: أن الناس إنما يتفاضَلُونَ في إيمان الجوارح؛ الذي هو كسبُ الأبدان؛ فإنهم ـ زَعموا ـ متساوون في إيمان القلب؛ الذي هو التَّصديقُ، وإيمان اللسان؛ الذي هو الإقرار.

مع البيان أن للنبيِّ ﷺ شفاعات يومَ القيامةِ على ما قد بينت قبلُ، لا أن [له][(٢)] شفاعة واحدة فقط.

٥٩٥ ـ عن أبي سعيد الخُدْريِّ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «يدخلُ [الله] أهلَ الجنةِ الجنةَ؛ يُدخِلُ مَنْ يشاءُ برحمتِهِ، ويُدخِلُ أهلَ النارِ النارَ، ثمّ يقولُ: انظرُوا مَنْ وجدتُم في قلبِهِ مثقالَ حبةٍ مِنْ خردلٍ مِنْ إيمانٍ فأَخْرِجُوه».

قال: «فَيَخْرُجُون مِنْها حُمَمًا قد امتَحَشُوا[(٣)]، فيُلْقَون في نهرِ الحياةِ ـ أو قال: الحيا ـ فينبُتُون كما تنبُت الْحَبَّةُ أو الْحِبَّةُ»[(٤)] ـ شك الربيع ـ «إلى جانبِ

(١) وقد رد عليهم ـ قبحهم الله وقبح مذهبهم ـ أهل السنة والجماعة وأئمة السلف، كما في المصنفات السلفية، وخذ مثالاً على ذلك الكتاب الماتع الذي صنفه الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام، وهو «كتاب في الإيمان، ومعالمه، وسننه، واستكماله، ودرجاته»، وأيضًا «كتاب الإيمان» لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمهما الله. وهما من تحقيق شيخنا محدث العصر الألباني رحمه الله.

(٢) زيادة من المطبوع.

(٣) أي: «احترقوا». وزنًا ومعنًى.

(٤) كذا! فهل المراد أن الأولى بفتح المهملة، والثانية بالكسر ـ أو العكس ـ ومعنى الكلمة «الحبة» بالفتح: هو ما يزرعه الناس، وجمعه «حبوب»، ومعناها بكسر المهملة ـ كما تقدم ـ بزور الصحراء، وجمعه=

السيلِ»، قال رسولُ الله ﷺ: «ألم تَرَوْهَا كيفَ تخرجُ صفراءَ ملتويةً»[1].

قال أبو بكر: هذا الخبر مختصر؛ حُذف منه أوّل القصة في الشَّفَاعةِ لمن أُدخِل النارَ من أهلِ التوحيدِ، وذكر آخر القصة[2].

٥٩٦ ـ عن سَلْمان الفارسيّ قال: «يأتُونَ النبيَّ ﷺ فيقولُون: يا نبيَّ الله! أنتَ الذي فتحَ اللهُ بِكَ، وختَم بك، وغفرَ لكَ ما تقدّم مِنْ ذنبِكَ وما تأخّر، قُم فاشفَعْ لنا إلى ربِّكَ، فيقولُ: نعم، أنا صَاحِبُكم، فيخرجُ يجوس النارَ، حتى ينتهِي إلى بابِ الجنةِ، فيأخذُ بحلقةٍ في البابِ؛ مِنْ ذهبٍ، فيقرعُ البابَ، فيقالُ: مَنْ هذا؟ فيقالُ: محمدٌ». قال: «فيفتحُ له».

قال: «فيجيءُ حتى يقومَ بين يدي اللهِ، فيستأذنُ في السُّجودِ، فيؤذن له».

قال: «فيفتحُ اللهُ له مِنَ الثناءِ، والتحميدِ، والتمجيد ما لم يفتحْهُ لأحدٍ مِنَ الخلائقِ، فينادَى: يا محمد! ارفعْ رأسَكَ، سَلْ تُعْطَه، ادعُ تُجَب».

قال: «فيرفعُ رأسَه، فيقولُ: ربِّ أمتِي أمتِي، ثم يستأذِنُ في السُّجودِ، فيؤذنُ له، فيفتحُ له مِنَ الثناءِ والتحميدِ والتمجيدِ مالم يُفْتَحْه لأحدٍ من الخلائقِ فيُنادَى: يا محمدُ! ارفعْ رأسَكَ؛ سلْ تعطَه، واشفَعْ تشفَّعْ، وادعُ تُجَب».

قال: يفعلُ ذلك مرتين أو ثلاثًا، فيُشَفَّعُ فيمن كانَ في قلبِه حبةٌ مِنْ حِنْطَةٍ أو مثقالُ شعيرةٍ، أو مثقالُ حبةٍ من خردلٍ مِنْ إيمانٍ»، قال سلمان: فذلك المقامُ المحمودُ[3].

=«حِبَب»، الله أعلم. ووقع في المطبوع: «الحبة أو الحية»! وفي البخاري وغيره من المصادر وقع الشك في قوله: «في حميل السيل، أو قال: حميّة السيل»، وعند آخرين: «أو حميلة السيل».

(١) صحيح. ورواه البخاري(٢٢و٦٥٦٠)، ومسلم(١٨٤و٣٠٥)، وأحمد (٣/ ٥٦)،

(٢) وسيأتي مطولاً برقم(٦١٦).

(٣) صحيح. وهو موقوف، وهو كذلك عند من خرجه، وله حكم المرفوع؛ لأنه مما لا مجال للرأي فيه=

قال أبو بكر: وهذا الخبر أتمّ في قصةِ إخراج مَن يخرج مِن النار مِن خبر أبي سعيدٍ الخدري؛ لأن في هذا الخبر ذكرَ مثقالِ حبة الْحِنطة، وحبة الشَّعِير، وليس في خبر أبي سعيدٍ ذكرهما.

وهذه الأخبار تدلّ على صحةِ مذهبنا أن الأخبار رُويت على مَن[1] كان يحفظها رواتُها.

منهم من كان يحفظ بعضَ الخبر، ومنهم مَن كان يحفظ الكُلَّ.

فبعض الأخبار رُويت مُختصرةٌ، وبعضها متقصاةٌ، فإذا جُمع بين المتقصىٰ من الأخبارِ وبين المختصرِ منها بان حينئذٍ العلمُ والحكمُ.

٦٠١ ـ عن أنس بن مالكٍ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «إني لأولُ الناسِ تنشقُّ الأرضُ عن جُمْجُمتِه يومَ القيامةِ ولا فخر، وأُعْطَىٰ لواءَ الحمدِ ولا فخر، وأنا سيدُ النبيين يومَ القيامةِ ولا فخر، وأنا أوّلُ مَنْ يدخلُ الجنةَ يومَ القيامةِ ولا فخر، [وإني] آتي بابَ الجنةِ، [فآخذ بحلقتها، فتقول الملائكة: من هذا؟ فأقول: أنا محمد] فيفتحُون لِي [فأدخل، فأجد الجبار تبارك وتعالىٰ مستقبلي]، فأسجدُ للهِ تعالَىٰ.

فيقولُ: ارفعْ رأسَكَ يا محمدُ! وتكلّم يُسمعْ منك، وَقُلْ يقبلْ منكَ واشفعْ تشفّع، فأرفعُ رأسي. فأقولُ: أُمَّتِي أُمَّتِي يارب!

فيقولُ: اذهبْ إلىٰ أمتِكَ، فمنْ وجدتَ في قلبِه مثقالَ حبةٍ مِنْ شعيرةٍ من إيمانٍ فأدْخِلْهُ الجنةَ. فأقبلُ بمنْ وجدتُ في قلبِه ذلِكَ، فأُدخلُهم الجنةَ، وآتِي الجبارَ، فأسجدُ له.

=ورواه ابن أبي شيبة(١١/ ٤٤٧/ ١١٧٢١)، وابن أبي عاصم (٨١٣)، والطبراني في «الكبير» (٦١١٧).

(١) كذا، ولعل الصواب«ما».

فيقولُ: ارفعْ رأسَكَ يا محمدُ! وقل يُسمعْ مِنْك، وقُلْ يُقبل قولُكَ، واشفعْ تشفَّعْ. فأقول: أمتِي أمتِي.

فيقولُ: اذهبْ إلىٰ أمَّتك فمنْ وجدْتَ في قلبهِ مثقال نصفِ حبةٍ منْ شعيرةٍ مِن الإيمانِ، فأدخِلْه الجنةَ، فأذهبُ فمن وجدتُ في قلبه مثقال ذلك فأُدْخِله الجنة».

قال: «فآتِي الجبَّارَ، فأسجدُ له، فيقولُ: ارفعْ رأسَك يا محمدُ، وتكلّمْ يُسْمَعْ منك، واشفعْ تشفَّعْ، فأرفعُ رأسِي.

فأقولُ: أمتِي أمتِي أي ربِّ!

فيقولُ: اذهبْ فمنْ وَجَدْتَ في قلبِهِ مثقالُ حبةٍ من خردلٍ مِنْ إيمانٍ فأدخِلْهُ الجنةَ، فأذهبُ فمنْ وجدتُ في قلبِهِ مثقالَ ذلِك فأُدْخِلُهم الجنة، وفرغ من الحسابِ، حساب الناس».

[قال: «وأَدْخَلَ مَن بقي مِنْ أمتِي النارَ مع أهلِ النارِ، فيقول لهم أهلُ النار: ما أغنىٰ عنكُم أنَّكُم كنتُم تعبُدُوه، ولا تشرِكُوا به شيئًا، فأنتُم معنا، فيقولُ الجبارُ تبارك وتعالىٰ: فبعزتِي لأعتِقَنَّهم مِنَ النارِ، فيُرسِلُ إليهم، فيخرُجُون منَ النارِ، وقد امتَحَشُوا، فيدخُلُون في نهرِ الجنةِ، فينبُتُون فيه كما تنبتُ الْحِبة في غثاءِ السَّيلِ، ويكتب بينَ أعينهِم: هؤلاءِ عتقاءُ اللهِ، فيُذْهَبُ بهم، فيُدخَلُون الجنةَ، [فيقولُ أهلُ الجنة][1]: هؤلاءِ الجهنّميُّون، فيقول الجبَّار: هؤلاءِ عتقاءُ الجبار»[2]].

قال أبو بكر: في هذا الخبر ذكر نصف حبة شعيرٍ، ليس في شيءٍ من هذه

---

(١) زيادة من «ظ».

(٢) حسن. ورواه النسائي في «الكبرىٰ» (٧٦٩٠)، وأحمد (٣/ ١٤٤ ـ ١٤٥)، والدارمي (١/ ٢٧ ـ ٢٨).

الأخبارِ هذه اللفظة، وليس في هذا الخبر ذكر البرّة، وجائزٌ أن يكون زنة نصفِ حبة شعير زنة حبة حنطة.

٦٠٣ ـ عن أنسٍ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «يخرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ كانَ فِي قَلْبِهِ ما يزنُ خردلةً، ما يزنُ برةً، ما يزنُ ذرةً؛ من الإيمانِ»[1].

قال أبو بكر: ليس خبرأنس[2]: «أَخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ قال: لا إله إلا الله في قلبه من الخير ما يزنُ برّة»، خلاف هذه الأخبار التي فيها: «في قلبه مِن الإيمانِ ما يزنُ كذا».

إذ العلم محيط أن الإيمانَ من الخير، لا من الشرّ.

ومن زَعَمَ من الغالية المرجئة: أن ذكرَ الخير في هذا الخبر ليس بإيمانٍ كان مكذّبًا بهذه[3] الأخبار؛ التي فيها: «أَخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ كان في قلبه من الإيمان كذا».

فيلزمهم أن يقولوا: هذه الأخبارُ كلُّها غيرُ ثابتةٍ، أو يقُولُون: إن الإيمانَ ليس بإيمانٍ، أو يقولون: إن الإيمانَ ليس بخيرٍ، وما ليس بخيرٍ فهو شرٌّ.

ولا يقول مسلمٌ: إنّ الإيمانَ ليس بخيرٍ. فافهمْهُ لا تغالط.

٦٠٤ ـ قال مَعبد بنُ هلال العنزي: انطلقنا إلى أنس بن مالكٍ في زمن الثمرةِ، ومعنا ثابتٌ البُنَانيُّ لهذا الحديث، فاستأذن ثابتٌ، فأُذِن لنا، ودخلنا عليه، فأجلسَ ثابتًا معه على سريرهِ ـ أو قال: على فراشهِ ـ قال: فقلتُ لأصحابنا: لا تسألوه عن شيءٍ إلا عن هذا الحديث فإنا خَرجنا له.

---

(١) صحيح. ورواه أبو يعلى (٢٩٩٣).

(٢) المتقدم في أول هذا الباب.

(٣) وفي «ظ»: «لهذه».

قال ثابتٌ: يا أبا حمزة! إنّ إخوانَك مِنْ أهلِ البصرةِ جاءُوك يسألُونك عن حديثِ رسولِ الله ﷺ فِي الشفاعةِ؟

فقال: نَعَمْ. حدَّثنا محمدٌ [رسولُ اللهِ] ﷺ قال: «إذَا كانَ يوم القيامةِ ماجَ الناسُ؛ بعضُهُم فِي بعضٍ».

قال: «فيؤتَىٰ آدمُ عليه السلام فيقال: يا آدمُ! اشفعْ فِي ذريِّتِك». قال: «فيقولُ: لستُ لها، ولكن عليكم بإبراهيمَ؛ فإنّه خليلُ اللهِ، فيؤتىٰ إبراهيمُ.

فيقولُ: لستُ لها، ولكن عليكم بِمُوسىٰ؛ فإنه كليمُ اللهِ، فيؤتَىٰ مُوسىٰ.

فيقولُ: لستُ لها ولكن عليكُم بعيسىٰ؛ فإنّه رُوحُ اللهِ وكلمتُه، فيؤتىٰ عيسىٰ. فيقول: لستُ لها، ولكن عليكم بمحمدٍ ﷺ، فأوتىٰ.

فأقول: أنا لَهَا، فأنطلِقُ، فأستأذِنُ علىٰ ربِّي، فيُؤذَنُ لِي عليه، فأقومُ بين يَدَيْهِ، ويُلْهِمُنِي مَحامِدَ لا أقدرُ عليها الآن، فأحمدُه بتلكَ المحامد، ثم أخرُّ ساجدًا. فيقالُ: يا محمدٌ! ارفعْ رَأْسَكَ، وقُلْ يُسمَعُ وسَلْ تعطَه، واشفَعْ تشفّعْ. فأقولُ: يا ربِّ! أمتِي أمتِي».

قال: «فيقالُ لي: انطلقْ فمنْ كانَ فِي قلبِهِ ـ إمّا أنْ قال: مثقالَ برةٍ، وإما أن قال: مثقالَ شعيرةٍ ـ من الإيمانِ فأخرجْهُ مِنْهَا، فأنطلِقُ فأفعلُ، ثم أعودُ، فأحمدُه بتلك المحامد، وأخِرُّ ساجدًا».

قال: «فيقال لِي: يا محمد! ارفعْ رأسَك، وَقُلْ يسمعْ، وَسَلْ تُعطَه، واشفَعْ تشفّع، فأقولُ: يا ربِّ! أمتِي أمتِي».

قال: « فيقالُ لِي: انطلق، فمنْ كانَ فِي قلبِهِ أدنَىٰ أدنَىٰ أدنىٰ مِنْ مِثقالِ حبةِ خردلٍ مِنَ الإيمانِ فأخرِجْهُ مِن النارِ ـ ثلاث مرات ـ فأنطلِقُ فأفعلُ».

قال معبدٌ: فأقبلنا حتى إذا كُنّا بظهرِ الجبال[1]، قلتُ: لو ملنا إلى الحسن وهو مستخفٍ[2] في منزلِ أبِي خليفةَ[3]، قال: فَدَخَلْنا عَليه.

فقُلنا: يا أبا سعيد جِئنا مِنْ عندِ أخيكَ أبِي حمزةَ. وحدثناه حتى إذا فرغْنا قال: ما حدّثكم إلا بِهذا؟ قلنا: مازادَنا على هَذَا. قال: فقال الحسنُ: فقد حدثنِي منذُ عشرين سنةً فما أدرِي أنسيَ الشيخُ أم كَرِهَ أن يحدِّثَكم فتتكِلُوا قال: فقالوا: يا أبا سعيد! حَدِّثْنا، فضحِك وقال: خُلِقَ الإِنْسَانُ عَجُولاً إنِي لَمْ أذكرْه إلا وأَنا أرِيدُ أنْ أُحدِّثكُمُوه حدثني كما حدَّثكُم منذُ عشرين سنة.

ثم قال: «فأقومُ الرابعةَ، فأحمده بتلكَ المحامد، ثم أخر لَهُ ساجِداً»

قال: «فيُقال لي: ارفعْ رأسَك، وقلْ يُسمَعْ لَكَ، وَسَلْ تعطَه، واشفَعْ تشفَّعْ».

قال: «فأرفع رأسي، فأقولُ: أي ربِّ! ائذن لِي فيمَنْ قالَ: لا إله إلا اللهُ». قال: «فيُقال: ليس لكَ ذلك، ولكن وعزَّتِي وكبريائِي وعظمتِي لأُخْرِجنّ مِنْها مَنْ قال: لا إله إلا اللهُ»[4].

قال أبو بكر: ليس في هذا الخبر زِنَة الدينار، ولا نصفه، وفي آخره زيادة ذكر أدنى أدنى من مثقال حبة من خردل.

---

(١) كذا بالأصلين، وفي«صحيح مسلم»: «الجبان» وقال النووي: «بفتح الجيم وتشديد الباء، قال أهل اللغة: الجبان والجبانة هما الصحراء، ويسمى بهما المقابر؛ لأنها تكون في الصحراء، وهو من تسمية الشيء باسم موضعه. وقوله: بظهر الجبان، أي: بظاهرها وأعلاها المرتفع منها».

(٢) «يعني: متغيبًا؛ خوفًا من الحجاج». قاله النووي.

(٣) هو: حجاج بن عتاب العبدي البصري، والد عمر بن أبي خليفة، سماه البخاري في «تاريخه»(١/ ٢/ ٣٧٧)، وتبعه الحاكم أبو أحمد في «الكنى». قاله ابن حجر(١٣/ ٤٧٦).

(٤) صحيح. ورواه البخاري(٧٥١٠)، ومسلم(١٩٣).

٦٠٥ ـ عن أنس بن مالك قال: «يلقَى الناسُ يومَ القيامةِ من الحبسِ ما شاءَ اللهُ أن يَلْقَوْه، فيقولُون: انطلِقُوا بِنَا إلىٰ آدمَ، فينطلقُون إلىٰ آدمَ.

فيقولُون: يا آدمُ! اشفعْ لنا إلىٰ ربِّك.

فيقول: لستُ هناك، ولكن انطلِقوا إلىٰ خليلِ اللهِ؛ إبراهيمَ، فينطلقُون إلىٰ إبراهيمَ. فيقُولُون: يا إبراهيم! اشفَعْ لنا إلىٰ ربِّك.

فيقولُ: لستُ هُناك، ولكن انطلِقُوا إلىٰ من اصطفاهُ اللهُ برسالاتِهِ، فينطلِقُون إلىٰ مُوسىٰ. فيقُولُون: يَا مُوسىٰ! اشفَع لنا إلىٰ ربِّك.

فيقولُ: لستُ هناك، ولكن انطلقوا إلىٰ من جَاءَ اليومَ مغفُوراً له، ليس عليه ذنبٌ، فينطلِقُون إلىٰ محمدٍ ﷺ. فيقولُون: يا محمدُ! اشفعْ لنا إلىٰ ربِّك.

فيقولُ: أنا لَها، وأنا صاحِبُها».

قال: «فأنطلقُ، حتىٰ استفتح بابَ الجنةِ».

قال: «فيفتحُ، فأدخلُ وربِّي عزّ وجلّ علىٰ عَرْشِهِ، فأخرُّ ساجِدًا وأحمدُه بمحامِدَ لم يحمدْهُ بِهَا أحدٌ قبلِي ـ وأحسبه قال: ولا أحد بعدي ـ فيقالُ: يا محمد! ارفعْ رأسكَ، وقُلْ يُسمعْ، وسَلْ تُعْطَه، واشفَعْ تشفّع فأقولُ: ياربِّ! ياربِّ! فيقول: أخرجْ [من النَّارِ][1] مَنْ كانَ في قلبِه مثقالُ شعيرةٍ مِن الإيمانِ».

قال: «فأخرُّ ساجِدًا، وأحمدُه بمحامدَ لم يحمدْه بِهَا أحدٌ قبلِي ـ وأحسبه قال: ولا أحدٌ بعدي ـ فيقالُ: يا محمد! ارفعْ رأسَك، وَقُلْ يُسْمَعْ، وسلْ تُعْطَه واشفَعْ تُشَفَّع، فأقولُ: يا ربِّ [يا ربِّ][2]. فيقولُ: أخرجْ مَنْ كانَ في قلبِهِ أدنىٰ شيءٍ، فيخرجُ ناسٌ مِنَ النَّارِ، يقالُ لهم: الجهنميُّون، وإنه لفي الجنةِ».

(١) زيادة من «ظ».

(٢) زيادة من «ظ».

فقال له رجلٌ: يا أبا حمزة! أسمعت هذا مِنْ رسولِ الله ﷺ؟ قال: فتغير وجهُه، واشتدّ عليه. وقال: ليس كل ما نحدِّث سمعناهُ مِنْ رسولِ الله ﷺ، ولكن لم يكن يكذّبُ بعضُنا بعضاً[1].

قال أبو بكرٍ: ليس في الخبرِ ذكرُ عيسىٰ عليه السلام.

قال أبو بكر: لعله يخطر ببالِ مَن يسمعُ هذه الأخبار، فيتوهّم أن هذه اللفظة: «ليس كلّ ما نُحدِّث سمعناهِ من رسُولِ الله ﷺ» في عقبِ هذا الخبر خلافُ خبرِ معبد بن هلال، الذي قال فيه: «حَدَّثنا محمدٌ ﷺ»[2]، وخلافُ خبرِ عمرو بن أبي عمرو، عن أنسٍ قال: «سمعتُ رسولَ الله ﷺ»[3]

وليس كذاك هو عندنا بحمدِ الله ونعمته؛ لأن في خبرِ عمرو بن أبي عَمرو عن أنس، حين ذكر سمَاعه من رسولِ الله ﷺ، ذكر في أول الخبر: «إنّي لأوّلُ الناسِ تنشقُّ الأرضُ عن جُمجمته».

فذكر في الخبر كلامًا ليس في رواية حُميد عن أنسٍ[4]. وكذاك في خبر معبد بن هلال: «إذا كانَ يوم القيامةِ ماجَ النَّاسُ؛ بعضُهم في بعضٍ».

فالتأليفُ بين هذه الأخبار: أن النبيَّ ﷺ حدَّث بعضَ أصحابه؛ أنسٌ فيهم[5]، وسمع من النبيِّ ﷺ بعضَ الخبرِ، واستثبتَ في باقِي الخبر واستفهمه ممن كان أقرب من النبيِّ ﷺ في المجلسِ، وأكبر منه سنًا، وأحفظ وأوعىٰ

---

(١) صحيح. ورواه ابن أبي عاصم في «السنة» (٨١٦و٨١٧)، وابن منده في «الإيمان» (٨٧٤).

(٢) المتقدم برقم (٦٠٤).

(٣) المتقدم برقم (٦٠١).

(٤) وهي برقم (٦٠٥).

(٥) وفي «ظ»: «منهم».

للحديثِ منه ، فروى الحديث بطولِهِ ؛ قد سمع بعضه ، وشَهِدَ المجلس الذي حدّث النبيُّ ﷺ بهذا الحديث ، فحدث بالحديثِ بتمامه ، سمع بعضَه من النبيِّ ﷺ ، وبعضَه ممن حَفِظَهُ من النبيِّ ﷺ ، ووعاه عنه[1] .

كما يقول بعضُ رواةِ الحديث : حَدَّثَني فلان ، واستثبته من فلان ، أو ثبتني فيه فلان ، يريد : خفي عليَّ بعضُ الكلام ، فثبتني فلان .

لأن قول من استفهم أنسًا : أسمعتَ هذا من رسولِ الله ﷺ ؟ ظاهره يدل على أن المستفهِمَ إنما استفهمه : أسمعتَ جميعَ هذا الخبر من رسولِ الله ﷺ؟

وأجاب أنسٌ : ليس كلّ ما نُحَدِّث سمعناه من رسولِ الله ﷺ ، فظاهر هذه اللفظة ؛ أنه ليس كل هذا الحديث سَمِعَهُ من رسولِ الله ﷺ .

ولم يقلْ أنسٌ : لم أسمع هذا الحديثَ من رسولِ الله ﷺ ، وقال غيرُه في أَوَّل الخبر : سمعتُ رسولَ الله ﷺ لكان هذا كلامًا صحيحًا جائزًا .

إذ غير جائز في اللغة أن يقول القائلُ : سمعتُ من فُلان قراءة سورة البقرة ، وقد سمع قراءته لبعضِهَا .

---

(١) قال الشيخ خليل هراس - رحمه الله - : «لا دليل على هذا التخريج ، ولا لزوم له ، فإنه خلاف الظاهر ، وأحسن منه أن يقول : إن أنسًا سمع الحديث كله من رسول الله ﷺ ، ولكنه عند روايته كان ينسى بعض أجزائه ، فيذكر في كل مرة ما حفظه منه ، وكان يتصرف كذلك في بعض ألفاظه ، فجاءت الروايات مختلفة» . أهـ .

قلتُ : هذا ما قاله الشيخ رحمه الله ! وهو وجيه أيضًا ، ولكن قوله : «لا دليل على هذا التخريج» ليس بصواب ، بل الدليل في قول أنس رضي الله عنه : «لم يكن يكذب بعضنا بعضًا» .

وما قاله ابن خزيمة رحمه الله وجيه وقوي ، وكان معروفًا عند الصحابة ، ومن أمثلته حديث التشهد الذي رواه ابن عمر ، فإنه قال فيه : «وزدت : وبركاته . وقال أيضًا وزدت : وحده لا شريك له» ، وعلق على ذلك شيخنا - رحمه الله - في «صفة الصلاة» ص(١٦٣) قائلاً : «هاتان الزيادتان ثابتتان في التشهد عن النبي ﷺ ، ولم يزدها ابن عمر من عند نفسه ، وحاشاه من ذلك ، إنما أخذها عن غيره من الصحابة الذين رووها عنه ﷺ ، فزادها هو على تشهده الذي سمعه من النبي ﷺ مباشرة» .

وكذلك جائزٌ أن يقول القائلُ: سمعتُ من فلان قراءة سورة البقرة وإنما سمع بعضَها لا كلّها، على ما قد أعلمتُ في مواضع من كُتبنا: أن الاسم قد يقع على الأشياء ذي الأجزاء أو الشعب على بعض الشيء، دون بعض.

كذلك اسمُ الحديث قد يقعُ على بعضِ الحديث، كما يقع الاسمُ على الكلِّ. فافهموه، لا تغالطوا.

٧٥ ـ باب ذكر البيان أن المقامَ الذي يشفعُ فيه النبيُّ ﷺ [لأُمَّته] هو المقامُ المحمود

الذي وعدَه الله عزّ وجلّ في قوله: ﴿عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾، وهذه اللفظة عندي من الجنس الذي قال بعضُ العلماء: عسى من الله واجبٌ، لا على الشَّك والارتياب، فما[1] يجوز أن لا يكون.

٦١٠ ـ عن أبي هُريرة رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ ـ في قوله ـ: ﴿عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾، قال: «هو المقامُ الذي أشفعُ فيه لأمتي»[2].

٦١١ ـ عن أبي هُريرة رضي الله عنه قال: قلتُ: يا رسولَ الله ما ردَّ إليك ربُّك في الشفاعة؟ قال: «قد ظننتُ أنك أوّل مَن يَسْأَلُني عنها؛ مِن حرصكَ على العلمِ: شَفَاعتي لأُمتي، مَن كان مِنهم يشهدُ أن لا إله إلا الله، يُصدِّقُ قلبُه لِسَانَهُ، ولسانُه قلبَهُ»[3].

٦١٣ ـ عن حمزة بن عبد الله قال: سمعتُ ابنَ عمر يقولُ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «ما يزالُ الرجلُ يسألُ الناسَ، حتى يأتي يومَ القيامةِ ليس في وجههِ مُزعة لحمٍ». وقال: «إنَّ الشمسَ تدنُو حتى يبلغ العرقُ نصفَ الأذنِ، فبيناهم كذلك استغاثُوا بآدمَ، فيقول: لستُ صاحب ذلك، ثم بموسى، فيقول كذلك، ثم بمحمدٍ ﷺ بينَ الخلقِ[4]، فيمشي حتى يأخذ بحلقةِ الجنةِ، فيومئذٍ يبعثه اللهُ مقامًا محمودًا، يحمده أهلُ الجمعِ كلُّهم»[5].

---

(١) وفي «ظ»: «مما».

(٢) صحيح لغيره. رواه الترمذي (٣٦٣٧)، وأحمد (٢/ ٤٤١ و٥٢٨)، وقال الترمذي: «حسن».

(٣) حسن.

(٤) كذا بالأصول، وقد تقدم الحديث، وفيه: «ثم بمحمد ﷺ، فيشفع؛ ليقضى بين الخلق».

(٥) صحيح. تقدم، انظر الحديث (٤٧٥).

٧٦ ـ باب ذكر الدليل أن جميع الأخبار التي تقدَّم ذكري لها إلى هذا الموضع في شفاعةِ النبيِّ ﷺ في إخراج أهل التوحيدِ من النَّار إنما هي ألفاظٌ عامةٌ مُرادها خاصٌ

قوله: «أَخْرِجوا مِن النارِ مَن كان في قلبه وزن كذا من الإيمانِ»أن معناه: بعض مَن كان في قلبه قدر ذلك الوزنِ من الإيمان.

لأن النبيَّ ﷺ قد أعلمَ أنه يشفع ـ ذلك اليوم أيضًا ـ غيرُه، فيُشَفَّعُونَ فيأمر الله أن يخرج من النار بشفاعةِ غير نبيّنا محمدٍ ﷺ مَن كان في قُلوبهم من الإيمان قدر ما أعلم أنه يخرج بشفاعةِ نبينا محمدٍ ﷺ.

ومعروفٌ أيضًا في لُغةِ العرب؛ الذين بلُغتهم خُوطبنا، أن يُقال: أخرج الناس من موضع كذا وكذا، أو القوم، أو مَن كان معه كذا، أو عنده كذا، وإنما يُراد بعضُهم، لا جميعهم.

لا يُنكر مَن يعرف لغةَ العرب أنها بلفظٍ عام يُريد الخاص.

قد بيّنا من هذا النحو من كتاب ربِّنا، وسنة نبينا المصطفى ﷺ في كتاب «معاني القرآن»، وفي كُتبنا المصنفة من المسند في الفقه مافي بعضِه الغُنية والكفاية لمن وُفّق لفهمه.

كان معنى الأخبار التي قدمتُ ذكرها في شفاعةِ النبيِّ ﷺ عندي خاصة معناها: أخرجُوا من النارِ مَن كان في قلبه من الإيمان كذا، أي: غير مَن قضيت إخراجهم من النار بشفاعةِ غير النبيِّ ﷺ؛ من الملائكةِ، والصديقين[والشهداء] والشفعاء غيره، ممن كان لهم إِخوةٌ في الدنيا يصلُّون معهم، ويصومُون معهم، ويحجُّون معهم، ويغزون معهم، قد قضيت أني أشفّعهم فيهم، فأخرِجُوهم

من النار بشفاعتهم، في خبرِ حُذيفة بشفاعةِ الشَّافعين، قد خرجته قبل[1].

٦١٤ ـ عن أبي سعيدٍ الخُدري قال: قلنا: يا رسولَ اللهِ! هل نَرَىٰ ربَّنا يومَ القيامةِ؟. . فذكر الحديثَ بطولِهِ. وقال: «ثم يضربُ الجسرُ علىٰ جهنمَ».

قلنا: وما الجسرُ يا رسولَ الله بأبينا أنت وأمِّنا؟

قال: «دحضٌ مَزِلَّةٌ، له كَلاليبُ، وخطاطِيفُ، وحسكةٌ تكونُ بنجدٍ عَقِيفًا يقال لها: السَّعدانُ، فيمر المؤمنون كلمحِ البرقِ، وكالطرفِ وكالريحِ، وكالطيرِ وكأجود الخيلِ والمراكب، فناجٍ مُسلّمٌ. ومخدوشٌ مُرسلٌ. ومكدوسٌ في نارِ جهنمَ، والذي نفسي بيده ما أحدُكم بأشدَّ مُناشدةً في الحقِّ يراهُ مِن المؤمنين في إخوانهم، إذا رأوا أن قد خلصُوا مِن النارِ، يقولون: أي ربنا! إخوانُنا كانوا يصلُّون معنا، ويصومُون معنا، ويحجُّون معنا، ويُجاهِدون معنا، قد أخذتْهم النارُ، فيقول الله لهم: اذهبُوا، فمن عرفتُم صورتَهُ فأخرجُوه، وتحرَّم صورتُهم فيجدُ الرجلَ قد أخذته النارُ إلىٰ قدميهِ، وإلىٰ أنصافِ ساقيه، وإلىٰ رُكبتيه، وإلىٰ حقويه، فيُخرِجُون منها بشرًا كثيرًا.

ثم يَعُودُون فيتكلَّمون، فيقول: اذهبُوا فمن وجدتُم في قلبهِ مثقالَ قيراط خيرٍ، فأخرجُوه، فيُخْرِجُونَ منها بشرًا كثيرًا.

ثم يعودُون فيتكلَّمون، فيقول: اذهبُوا فمن وجدتُم في قلبِهِ مثقالَ نصفِ قيراطٍ [من][2] خيرٍ فأخرجُوه، فيُخرجُون منها بشرًا كثيرًا.

ثم يعودُون فيتكلَّمون، فلا يزال يقولُ ذلك [لهم حتىٰ يقول][3]: اذهبوا

(١) تقدم برقم(٥٤٢).

(٢) زيادة من«ظ».

(٣) زيادة من«ظ».

فأخرِجُوا مَن وجدتم في قلبه مثقالَ ذرَّةٍ. فأُخْرِجُوا».

فكان أبو سعيد إذا حَدَّث بهذا الحديث يقول: إن لم تُصَدِّقُوا فاقرؤوا: ﴿إِنَّ اللهَ لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾، قرأ إلىٰ قوله: ﴿عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠].

«فيقولون: ربنا! لم نذرْ فيها خيراً، فيقول: هل بقي إلا أرحمُ الراحمين قد شَفعتِ الملائكةُ، وشَفَعَ الأنبياءُ، وشَفَعَ المؤمنون، فهل بقي إلا أرحمُ الراحمين؟».

قال: «فيأخذ قبضةً من النَّارِ، فيُخرج قومًا قد صاروا حُممًا، لم يعملُوا له خيراً قط[1]، فيُطرحُون في نهرٍ يقالُ له: نهر الحياة. فينبتُون فيه ـ والذي نفسي بيده ـ كما تنبتُ الْحِبةُ في حَميلِ السَّيل. . .» الحديث[2].

قال أبو بكر: هذه اللفظة: «لم يعملوا خيراً قط» من الجنس الذي تقول العرب: يُنفىٰ الاسمُ عن الشيء لنقصه عن الكمال والتمام، فمعنىٰ هذه اللفظة علىٰ هذا الأصل: لم يعملوا خيراً قط علىٰ الكمالِ والتمامِ، لا علىٰ ما أُوجِبَ عليه وأُمر به[3].

٦١٦ ـ عن أبي سعيدٍ الخدري قال: قلنا: يا رسولَ الله! هل نرىٰ ربَّنا يومَ القيامةِ؟ . . . فذكر الحديثَ بطوله.

وقال: «فما أحدُكم في حقٍّ يعلمُ أنه حقٌّ له بأشدّ مناشدةً منهم لإخوانِهم الذين سقطوا في النارِ. يقولُون: أي ربِّ! كُنَّا نغزُو جميعًا، ونحجّ جميعًا،

---

(١) في «ظ»: «لم يعملوا له عمل خير قط».

(٢) صحيح. تقدم تخريجه، انظر الحديث (٣١٠).

(٣) قال الشيخ ـ هراس رحمه الله ـ: «لا. بل ظاهرها أنهم لم يعملوا خيراً قط، كما صرح به في بعض الروايات أنهم جاءوا بإيمان مجرد، لم يضموا إليه شيئًا من العمل». أ هـ.

ونعتمر جميعًا، فبما نجونا اليومَ وهلكوا»[1].

قال: فيقول الله تبارك وتعالى: انظروا مَن كان في قلبه زنة دينارٍ من الإيمانِ، فأخرِجُوه». قال: «فيخرجون».

قال: «ثم يقول: انظروا مَن كان في قلبِهِ قيراط من الإيمانِ، فأخرجُوه».

قال: «فيخرجُونَ». قال: «ثم يقول: انظروا مَن كان في قلبه مثقالُ حبةِ خَردلٍ من الإيمانِ، فأخرجُوه» ـ قال: «فيخرجُون».

قال أبو سعيدٍ: بيني وبينكم كتاب الله ـ قال عبد الرحمن: فأظنه يعني قوله ـ: ﴿وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾.

قال: «فيُطرحُون في نهرِ الحياةِ، فينبتُون كما تنبتُ الْحِبّةُ في حَمِيل السيل ألم تروا ما يكون من النبتِ إلى الشمس؛ يكون أخضرَ، وما يكون إلى الظّلِّ يكونُ أصفرَ؟»

قالوا: يا رسولَ الله! كأنك قد رعيت الغنم؟

قال: «نعم. قد رعيت الغنمَ»[2].

(١) وفي «ظ»: «وأُهْلِكُوا».

(٢) صحيح.

٧٧ ـ باب ذكر البيان أن الصِّدِّيقين يتلونَ النبي ﷺ في الشفاعةِ يومَ القيامةِ

ثم سائر الأنبياء صلوات الله [وسلامه][(١)] عليهم [أجمعين][(٢)]، يتلونَ الصِّدِّيقين، ثم الشُّهداء يتلونَ الأنبياءَ عليهم السلام إن صَحَّ الحديثُ.

٦١٨ ـ عن أبي بكرٍ الصدِّيق قال: أصبحَ رسولُ الله ﷺ ذاتَ يومٍ، فصلَّى[(٣)] الغداة، ثم جلسَ حَتَّى إذا كانَ مِن الضُّحى ضَحِكَ رسولُ الله ﷺ، ثم جلسَ مكانَه حتى صلَّى الأُولى، والعصر، والمغربَ، وكلُّ ذلك لا يتكلَّمُ، حتى صلَّى العشاءَ الآخرةَ، ثم قامَ إلى أهلِهِ.

فقال الناسُ لأبي بكرٍ. سلْ رسولَ اللهِ ﷺ: ما شأنُهُ؟ صَنَعَ اليومَ شيئًا لم يصنعه قطُّ؟

فقال: نعم [فسأله، فقال][(٤)]: «عُرِضَ عليَّ ما هُو كائنٌ مِن أمرِ الدُّنيا و[أمر][(٥)] الآخرة، يُجْمَعُ الأولون والآخرون بصعيدٍ واحدٍ، فَـفَظِعَ الناسُ بذلك، حتى انطلقُوا إلى آدمَ، والعرقُ يكادُ يُلْجِمُهُم.

فقالوا: يا آدمُ! أنت أبو البشر، وأنت اصطفاكَ الله، اشفعْ لنا إلى ربِّك.

فقال: لقد لقيتُ مثلَ الذي لقيتُم، انطلِقُوا إلى أبيكُم ـ بعد أبيكم ـ إلى نوح: ﴿إِنَّ اللهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ فينطلقُون إلى نوحٍ.

---

(١) زيادة من «ظ».

(٢) زيادة من «ظ».

(٣) في الأصل: «في صلاة»، والمثبت من «ظ».

(٤) زيادة من المطبوع.

(٥) زيادة من «ظ».

فيقولُون : اشفعْ لنا إلىٰ ربِّك ؛ فأنت اصطفاك اللهُ ، واستجابَ لك في دُعَائك ، ولم يَدَعْ علىٰ الأرضِ من الكافرين ديَّاراً .

فيقول : ليس ذاكُم عندي ، انطلِقُوا إلىٰ إبراهيمَ ، فإنَّ الله اتَّخَذَهُ خليلاً ، فيأتونَ إبراهيم .

فيقول : ليس ذاك عندي ، [ولكن][1] انطلِقُوا إلىٰ مُوسىٰ ؛ فإنَّ الله كلَّمه تكليمًا . فيقولُ مُوسىٰ : ليس ذاك عندي ، ولكن انطلقُوا إلىٰ عيسىٰ ابنِ مريم ؛ فإنه كان يُبرِئُ الأكمه والأبرص [ويُحْيي الموتىٰ][2] .

فيقولُ عيسىٰ : ليس ذلكم عِندي ، ولكن انطلِقوا إلىٰ سيِّدِ ولدِ آدم ، وأوّل من تنشقُّ عنه الأرضُ يومَ القيامةِ ، انطلقوا إلىٰ محمدٍ ﷺ ، فليشفعْ لكم إلىٰ ربِّكُم » .

قال : « فينطلقُ ، فيأتي جبريلُ ربَّه ، فيقولُ الله تبارك وتعالىٰ : ائذن له ، وبشِّره بالجنة » .

قال : « فينطلقُ به جبريلُ فيخرُّ ساجداً قدر جُمعةٍ ، ثم يقولُ الله عزّ وجلّ : يا محمد ! ارفع رأْسَك ، وقل يُسمعْ ، واشفعْ تُشَفَّع » .

قال : « فيرفع رأسه ، فإذا نظرَ إلىٰ ربِّه عز وجل خَرَّ ساجدًا قدرَ جُمعةٍ أُخرىٰ ، فَيقول الله : يا محمد ! ارفعْ رأسك ، وقل يُسمع واشفعْ تشفَّعْ » . قال : « فيذهبُ ليقعَ ساجِدًا » . قال : « فيأخذُ جبريلُ بضَبْعَيهِ ، فيفتحُ الله عليه من الدُّعاءِ شيئًا ، لا[3] يفتحه علىٰ بشرٍ » .

---

(١) زيادة من « ظ » .

(٢) زيادة من المطبوع .

(٣) وفي « ظ » : « لم » .

قال: «فيقولُ: أيْ ربِّ! جعلتني سيِّدَ ولد آدم ولا فخرَ، وأوَّلَ من تنشقُّ عنه الأرضُ يومَ القيامةِ ولا فخرَ، حتىٰ إنه ليردُ عليّ الحوضَ أكثرُ مما بين صنعاء وأَيلةَ، ثم يقال: ادعُ الصِّدِّيقين؛ ليشفعُوا، ثم يقال: ادعُ الأنبياءَ». قال: «فيجيء النبيُّ ومعه العصابةُ، والنبيُّ ومعه الخمسةُ والستة، والنبيُّ وليس معه أحدٌ.

ثم يقال: ادعُ الشهداءَ، فيشفعونَ لمن أرادُوا، فإذا فعلتِ الشهداءُ ذلك».

قال: «يقول الله تبارك وتعالىٰ: أنا أرحمُ الرَّاحمين. أدخِلُوا جنتي مَن كان لا يشركُ بالله شيئًا». قال: «فيدخلُون الجنةَ». قال: «فيقولُ الله تبارك وتعالىٰ: انظرُوا في النَّارِ هل من أحدٍ عمل خيرًا قط؟ قال: فيجدُون في النارِ رَجُلاً، فيقال: هل عَمِلْتَ خيرًا قط؟ فيقول: لا. غير أني كنتُ أسامحُ الناسَ في البيع، قال: فيقولُ الله تبارك وتعالىٰ[1]: أَسْمِحُوا لعبدي كإسماحِهِ إلىٰ عَبيدي. ثم يُخْرِجُونَ مِن النارِ رجُلاً آخر فيقال: هل عَمِلْتَ خيرًا قط؟ قال: لا. غير أني أمرتُ ولدي: إذا أنا متُّ فأحرقوني بالنارِ، ثم اطحنُوني، حتىٰ إذا كنت مثلَ الكُحْلِ، فاذهبوا بي إلىٰ البحرِ، فَاذْرُوني في الرِّيحِ، فقال اللهُ: لِمَ فعلتَ ذلك؟ قال: مِن مخافتك».

قال: «فيقول تعالىٰ: انظرْ إلىٰ مُلْكِ أعظم مَلكٍ، فإن لك عشرة أضعاف».

قال: «فيقول: لِمَ تسخرُ بي وأنت الملكُ؟ فذاكَ الذي ضَحِكتُ منه»[2].

---

(١) وفي «ظ»: «عز وجل».

(٢) صحيح. ورواه أحمد (١٥)، وأبو عوانة (١/ ١٧٥ ـ ١٧٨) ـ وهو من زياداته علىٰ مسلم.
وقال ابن حبان (١٠/ ٣٩٦): «قال إسحاق ـ وهو: ابن إبراهيم بن راهويه الإمام الثقة الحافظ ـ: هذا من أشرف الحديث».



٧٨ ـ باب ذكر كثرةِ مَن يشفع له الرجلُ الواحد من هذه الأمة مع الدليل على صحةِ ما ذكرتُ قبل أن يشفع يومَ القيامةِ غيرُ الأنبياء عليهم السلام

٦١٩ ـ عن عبد الله بن شقيق قال: جلستُ إلى قومٍ ـ أنا رابعهم ـ فقال أحدُهم: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «ليدخُلَنَّ الجنةَ بشفاعةِ رجُلٍ من أُمتي أكثرُ من بني تميمٍ». قال: قُلنا: سِواك يا رسولَ الله؟ قال: «سِوَاي». قلتُ: أنت سمعتَ هذا من رسولِ الله ﷺ؟

قال: نعم. فلما قامَ، قلتُ: مَن هذا؟ قال: هذا ابنُ أبي الْجَدْعَاء[1].

٦٢١ ـ عن الحارث بن أُقيش قال: قال رسولُ الله ﷺ: «... إنَّ مِن أُمَّتِي من سَيُدْخِلُ اللهُ بشفاعتِهِ ـ يعني: الجنة ـ أكثرَ من مُضَرَ»[2].

قال أبو بكر: قد أعلمت أن اسم الأُمّة قد يقع على معنيين:

أحدُهما: من قد بُعث النبيّ ﷺ [إليه].

والآخر: مَن أجابَ النبي ﷺ إلى ما دعاه إليه.

وهذا الرجلُ الذي خبّر النبيُّ ﷺ أنه يعظُم للنارِ ـ من أمته ـ حتى يصير مثل أَحَد زواياها[3]، يُشبه أن يكون معناه من أُمَّتِهِ؛ ممن قد بُعث النبيُّ ﷺ

---

(١) صحيح. ورواه الترمذي (٢٤٣٨)، وابن ماجه (٤٣١٦)، وأحمد (٣/ ٤٦٩و٤٧٠).

قلت: وابن أبي الجدعاء هو: عبد الله، وهو صحابي ذكره البخاري في الصحابة، روى له الترمذي، وابن ماجة هذا الحديث الواحد، وليس له رواية في الكتب الستة غير هذا الحديث.

(٢) صحيح لغيره. رواه ابن ماجه (٤٣٢٣).

(٣) وهو طرف الحديث الذي أشرت إلى حذفه؛ لأنه ضعيف لتفرد عبد الله بن قيس به وهو مجهول ولم أجد له شاهدًا، وكنت صححتها في الأصل فمن كان عنده الأصل فليعلم على ضعف هذه الجملة: «إن=

إليهم، فلم يُجيبوا إلى ما دعاهم إليه من الإيمانِ، لا مِن أمته؛ الذين أجابُوه، وآمنوا به، وارتكبوا بعضَ المعاصي.

قال أبو بكر: إن للّفظةِ التي في خبر أبي بكر الصديق رضي الله عنه قبل ذكر الأنبياء[1]، معنيين.

أحدهما: الصديقين من الأنبياء، أي: الأفضل منهم، كما قال الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [٥٥: الإسراء]، فيكون منهم صديقون بعد نبينا المصطفى ﷺ، ثم يُقال: «ادع الأنبياء»، أي: غير الصدِّيقين الذين قد شفعوا قبل.

والمعنى الثاني: [أي][2] الصديقين من هذه الأمة، ممن يأمرهم النبيُّ ﷺ بأن يشفَعُوا، فتكون هذه الشّفاعة التي يشفعها الصديقُون من أمة النبيّ ﷺ بأمره، شفاعةً للنبي ﷺ مُضافة إليه؛ لأنه الآمر، كما قد أعلمتُ في مواضع من كُتُبِي: أن الفعل يُضاف إلى الآمرِ كإضافته إلى الفاعل، فتكون هذه الشفاعة مُضافة إلى النبيِّ ﷺ؛ لأمره بها، وإضافة[3] إلى المأمورِ بها، فيشفع؛ لأنه الشافع بأمرِ النبي ﷺ.

٦٢٤ ـ عن ثابت البناني؛ أنّه سمع أنس بنَ مالكٍ يقولُ: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ الرجلَ ليشفعُ للرَّجُلين، والثلاثة، والرجلَ للرجلِ»[4].

=من أمتي من سيعظم للنار حتى يصير مثل أحد زواياها». وباقي الحديث صحيح للشواهد المذكورة هناك.

(١) في الحديث السابق برقم(٦١٨)، وهي قوله: «ثم يقال: ادع الصديقين؛ ليشفعوا».

(٢) زيادة من«ظ».

(٣) وفي المطبوع: «ومضافة».

(٤) صحيح. رواه البزار(٣٤٧٣).

٧٩ ـ باب ذكر ما يُعطي الله عزّ وجلّ مِن نعيم الجنة[١] ومُلكها تفضلاً منه عزّ وجلّ وسَعة رحمتهِ آخرَ من يخرجُ مِن النار، فيدخل الجنةَ ممن يخرجُ من النار حبواً وزحفًا منها لا مَن يخرجُ منها بالشَّفاعةِ، بعدما محشتهم النارُ وأماتتهم فصاروا فحماً قَبل مَن يُخرجه الله بتفضّلهِ وكرمه وجُوده

٦٣٠ ـ عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إني لأعلمُ آخرَ أهلِ النارِ خُرُوجًا منها، وآخرَ أهل الجنةِ دخولاً؛ رجلٌ يخرجُ من النارِ حبواً، فيقول الله [له][٢]: اذهبْ فادخلِ الجنةَ، فيأتيها، فيُخيَّلُ إليه أنها مَلأىٰ، فيرجعُ فيقولُ: يا ربِّ! وجدتُها ملأىٰ».

قال: «فيقولُ اللهُ عز وجل له: اذهبْ فادخُلِ الجنة، فيأتيها، فيُخيّلُ إليه أنّها ملأىٰ، فيرجع، فيقولُ: يا ربِّ! وجدتها ملأىٰ».

قال: «فيقولُ اللهُ تبارك وتعالىٰ: اذهبْ، فادخُلِ الجنةَ؛ فإنّ لكَ مثلَ الدُّنيا وعشرةَ أمثالِها، أو: إنّ لكَ عشرةَ أمثالِ الدُّنيا».

قالَ: «فيقولُ: أتسخرُ بي ـ أو: تضحكُ بي ـ وأنتَ الملكُ؟».

قال: فلقد رأيتُ رسولَ الله ﷺ ضَحِكَ حتّىٰ بدتْ نَوَاجِذُهُ، قال: فكانَ يُقالُ: «ذلكَ أدْنَىٰ أهل الجنةِ منزلةً»[٣].

٦٣٣ ـ عن عبد الله قال: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «إني لأعْرِفُ آخرَ أهلِ النارِ خُروجًا منَ النارِ؛ رجلٌ يخرجُ مِنها زحفًا، فيقالُ له: انطلقْ فادخلِ الجنةَ، فيذهبُ يدخلُ الجنةَ، فيجدُ الناسَ قد أخذُوا المنازلَ».

---

(١) في الأصل: «نعم الدنيا»، والمثبت من «ظ»، وهو أيضًا في المطبوع، ولكن بلفظ «نعم» بدل: «نعيم».

(٢) زيادة من «ظ».

(٣) صحيح.

قال: «فيرجعُ، فيقولُ: يا ربِّ! قدْ أخذَ الناسُ المنازلَ، فيقالُ له: أتذكرُ الزمانَ الذي كنتَ فيه؟ فيقولُ: نَعَم، فيُقال له: تمّنه، فيتمنّى، فيُقالُ له: فإنّ لكَ الذي تمنيتَ وعشرةَ أضعافِ الدنيا، فيقولُ: أتسخرُ بِي وأنتَ الملكُ؟».

قال: فلقدْ رأيتُ رسولَ اللهِ ﷺ ضَحِكَ حتّى بدتْ نَواجِذُه[1].

٦٣٨ ـ عن عبد الله ـ يرفع الحديث ـ قال: «إني لأعلمُ آخرَ أهلِ النارِ خُرُوجًا مِن النارِ؛ رجلٌ يخرجُ من النارِ حبوًا، فيُقالُ له: ادخُلِ الجنةَ، فيدخلُ وقدْ أخَذوا مساكِنَهُم[2]، فيقولُ: أي ربِّ! لم أجد فيها مسكنًا، فيقولُ اللهُ له: ادخلِ الجنَّةَ، فإنا سنجعلُ لك فِيها مسكنًا، فيقولُ اللهُ عزّ وجلّ: فإنّ لكَ مثلَ الدُّنيا وعشرةَ أضعافِها، قال: أي ربِّ! أتسخرُ بِي وأنتَ الملِك؟» قال: فضَحِكَ رسولُ اللهِ ﷺ، حتى بدَتْ نَوَاجِذُه[3].

٦٣٩ ـ عن عمرو بن ميمون؛ أنَّ ابنَ مسعود حدَّثهم؛ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «يَكُونُ في النَّار [قَوْمٌ] ما شاءَ اللهُ، ثُم يرحمهم الله، فَيخرجُهم، فَيخرجون، فيكُونونَ في أَدنى الجَنَّةِ، فيغتسلونَ في نهرِ الحَيَوان، ويُسمّيهم أهلُ الجنةِ: الْجَهنميون، لو أضافَ أحدُهم أهلَ الدُّنيا لأطعمَهُم وسقَاهُم، وَفَرَشَهُم وَلَحَفَهُم» ـ قال عطاء: وأحسبه قال ـ «وزوَّجهُم، لا ينقصُهُ اللهُ شيئًا»[4].

---

(١) صحيح. ورواه مسلم (١٨٦).

(٢) وفي المطبوع: «أخذ الناس مساكنهم»، ولفظ «الناس» سقط من الأصل، والمثبت من «ظ».

(٣) صحيح.

(٤) صحيح. ورواه أحمد (١/ ٤٥٤)، وأبو يعلى (٤٩٧٩ و ٥٣٣٨)، وابن حبان (٧٤٢٨ و ٧٤٣٣).
وفرشهم: هو بفتح الراء المخففة، أي: قدم لهم الفراش. قال ابن الأعرابي: فرشت زيدًا بساطًا، وأفرشته، وفرّشته إذا بسطت له بساطًا في ضيافته. =

٦٤٠ ـ عن أبي سعيد ـ أو جابر ـ، أن نبيَّ الله ﷺ خطبَ خطبةً، فأطَالها وذكرَ فيها أمرَ الدنيا والآخرة، فذكر أن: أول ما هلكَ بنو إسرائيل أن امرأةَ الفقيرِ كانت تكلِّفه من الثِّياب والصِّبغ ـ أو قال: من الصِّبغةِ ـ ما تُكَلِّف امرأةُ الغني.

فذكر امرأةً من بني إسرائيل، كانت قصيرةً، واتخذت رِجْلَين من خشبٍ وخاتمًا له غَلَقٌ وطَبَقٌ وحَشَتْه مِسكًا، وخرجتْ بين امرأتينِ طويلتينِ ـ أو جَسيمتين ـ فبعثُوا إنسانًا يتبعهم، فعرفَ الطَّويلتين، ولم يعرفْ صاحبةَ الرِّجْلين من خشبٍ.

وذكر فيها أيضًا؛ آخر أهلِ النارِ خروجًا من النار، وأنَّه يرىٰ شجرةً فيَسأل أن يُجعل تحتها، فيُقال له: لعلك تسأل غيرها؟ قال: فيواثق [أن][1] لا يسأل غيرها.

ثم يرىٰ أُخرىٰ، فيَسأل أن يُؤذن فيها، فيُقال: ألم تُواثقني أن لا تسأل غيرَ الذي أعطيتُك؟ فيواثق أيضًا أن لا يسألَ غيرها، ثم يسأل.

قال أبو المعتمر[2]: وأعجبني هذا أنه يواثق فلا يفي، وهو يُعطىٰ الذي يسأل، ونحواً من هذا إن شاء الله[3].

=ولحفهم: اللحاف ما يتغطىٰ به.

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام في «غريبه» (١/ ٣١١):

«وأما اللحاف: فكلُّ ما تغطيت به فقد التحفت به، يقال منه: لحفت الرجل ألحفه لحفًا، إذا فعلت به ذلك».

(١) زيادة من «ظ».

(٢) هو سليمان التيمي أحد رواة الحديث، وهو ثقة عابد روىٰ له أصحاب الكتب الستة.

(٣) صحيح.

٨٠ ـ باب ذكر البيان أن الرجلَ الذي ذكرنا صفتَه وخَبّرْنا أنه آخر أهل النار خُروجًا من النار ممن يخرجُ من النار زحفًا لا ممن يخرج بالشفاعةِ، هو آخرُ أهل الجنة دخولاً الجنةَ

وأن من يخرجُ من النار بالشّفاعةِ يدخلون الجنةَ قبله، وأن هذا الواحد يبقىٰ بعدَهم بين الجنةِ والنارِ، ثم يُدخله الله بعد ذلك الجنة؛ بفضلِهِ ورحمته، لا بشفاعةِ أحدٍ، ويُعطيه تفضُّلاً منه وكرمًا وجودًا ما ذُكر في الخبرِ من الجنةِ، مع الدَّليلِ علىٰ أن الله عز وجل يُخرجُ من النارِ ممن قد أحرقتهم النارُ ـ خلا آثار السجودِ منهم ـ قبل القضاء بين جميعِ الناسِ.

٦٤٥ ـ عن سعيد بن المسيب، وعطاء بن يزيد الليثيّ أن أبا هُريرة أخبرهما أن الناسَ قالوا للنبيِّ ﷺ: يا رسولَ الله! هل نرىٰ ربَّنا يومَ القيامةِ؟ . . . فذكر الحديث بطوله.

وفي الخبر: «حتىٰ إذا أرادَ الله رحمةَ مَن أرادَ من أهلِ النارِ، أمر الله الملائكةَ أن يُخرِجوا مَن كان يعبدُ الله، فيُخرجُونَهم، ويعرفونهم بآثارِ السّجودِ وحرَّم الله علىٰ النارِ أن تأكلَ أثرَ السجودِ، فيَخرجُون من النارِ قد امتَحَشُوا، فينبتُونَ كما تنبتُ الْحِبَّةُ في حميلِ السيلِ ثم يفرغ الله من القَضاء بين العبادِ.

ويبقىٰ رجلٌ بين الجنةِ والنارِ، وهو آخرُ أهل الجنةِ دخولاً الجنةَ، مقبلٌ بوجههِ علىٰ النارِ، فيقول: يا ربِّ! اصرفْ وجهي عن النار؛ فإنه قد قَشَبني ريحُها، وأحرقني ذكاؤُها، فيقول الله سبحانه وتعالىٰ: فهل عسيتَ إن فُعِل[1] ذلكَ بك أن تسألَ غيرَ ذلك؟ . . .»، فذكر بعضَ الحديث.

(١) وفي «ظ»: «أفعل».

وقال: «ثم يأذن الله في دُخولِ الجنة، فيُقال له: تمنّ، فيتمنّىٰ، حتىٰ إذا انتهتْ به الأمانيُّ قال الله: لك ذلكَ، ومثلَه معه».

قال أبو سعيدٍ الخدري لأبي هُريرة رضي الله عنه: إنّ النبيَّ ﷺ قد قال: «قال الله تبارك وتعالىٰ: لكَ ذلك وعشرةُ أمثالِه».

قال أبو هُريرة: لم أحفظ من النبيِّ ﷺ إلا قوله: «لك ذلكَ ومثله معه».

قال أبو سعيدٍ: أشهدُ أني سمعته يقول: «وعشرةُ أمثاله»[1].

(١) صحيح. وهو مكرر برقم (٥٦٩).

٨١ ـ باب ذكر البيان أن النَّار إنما تأخذ من أجسادِ الموحدين وتُصيبهم على قدر ذُنوبِهم وخطاياهم وحَوْباتهم التي كانوا ارتكبُوها في الدُّنيا

مع الدَّليلِ على ضدِّ قول مَن زعم ممن لم يتبحّر[1] العلم، ولا فَهم أخبارَ النبيِّ ﷺ أن النار لا تُصيب أهلَ التوحيد ولا تمسّهم، وإنما يُصيبهم حرّها وأذاها وغمّها وشدّتها مع الدليلِ على أنه قد يدخل النارَ بارتكاب المعاصي في الدنيا، إذا لم يتفضّل الله، ولم يتكرّم بغُفْرانها، مَن كان في الدنيا يعمل الأعمالَ الصَّالحة؛ من الصِّيامِ، والزَّكاة، والحجّ، والغزو.

وكيف يأمنُ ـ يا ذوي الحجا ـ النارَ مَن يوحّد الله، ولا يعمل من الأعمال الصالحة شيئًا؟!

٦٤٨ ـ عن سُلَيْمان بن عمرو بن عبدِ العِتْوَاري؛ أحد بني ليث ـ وكان في حجر أبي سعيد ـ قال: سمعتُ أبا سعيدٍ الخدريّ يقول: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «يُوضعُ الصراطُ بين ظهرانيّ جهنمَ، عليه حَسَكُ السَّعدان، ثم يستجيز الناسُ، فناجٍ مُسلَّمٌ مجروحٌ[2] به، ثم ناجٍ ومحتبسٌ، فمنكوسٌ[3] فيها فإذا فرغَ الله من القضاءِ بين العبادِ، يفقد المؤمنون رجالاً؛ كانوا معهم في الدُّنيا يصلُّون صلاتَهُم، ويزكُّون زكاتَهُم، ويصومُون صِيامهم، ويحجّون حجّهم، ويغزُون غزوهم.

فيقولون: أي ربنا! عبادٌ من عِبادك، كانوا مَعنا في الدنيا، يُصَلُّونَ صلاتَنا، ويزكُّون زكاتنا، ويصومُون صِيامنا، ويحجُّون حجّنا، ويغزُونَ غزونا، لا نراهم؟».

(١) في «ظ»: «يتحر».

(٢) في «ظ»: «مخدوج».

(٣) في «ظ»: «ومنكوس».

قال: «فيقال: اذهبُوا إلىٰ النارِ، فمَن وجدتُم فيها منهم فأخرجُوه، فيجدونهم قد أخذتْهم علىٰ قدرِ أعمالهم، فمِنهم مَن أخذته علىٰ قدميه، ومنهم مَن أخذته إلىٰ نصفِ سَاقيه، ومنهم مَنْ أخذته إلىٰ رُكبتيه، ومنهم من أَزَّرَتْه، ومنهم من أخذته إلىٰ ثَدْيَيه[1]، ومنهم من أخذته إلىٰ عُنُقِه، ولم تغشَ الوجهَ، فيستخرجُونهم منها، فيطرحُونَهم في ماءِ الحيا».

قيل: وما ماء الحيا يا نبي الله؟ قال: «غُسْلُ أهل الجنةِ، فينبتُون فيها كما تنبتُ الزَّرعةُ في غُثاء السّيل، ثم يشفعُ الأنبياءُ فيمن كان يشهدُ أن لا إله إلا الله مُخلصًا، فيستخرجُونَهُم منها، ثم يتحنن اللهُ برحمتِهِ علىٰ مَنْ فيها، فما يتركُ فيها عبدًا في قلبِه مثقال ذرةٍ من الإيمانِ، إلا أخرجه منها»[2].

٦٤٩ ـ عن أبي سعيدٍ الخدري، عن النبيِّ ﷺ. . . الحديثَ بطولِه.

وفي الخبر: «فيعرفُونَهُم بصُورِهم، لا تأكلُ النارُ صورَهم، فمنهم من أخذته النارُ إلىٰ أنصافِ ساقيه، ومنهم من أخذته إلىٰ كَعْبَيْهِ، فيخرجُونهم».

قال أبو بكر: في هذا الخبر «. . . فيجد الرجلَ قد أخذته النارُ إلىٰ قدميه، وإلىٰ أنصاف ساقيه، وإلىٰ ركبتيه، وإلىٰ حَقْويه، فيخرجُون منها بشرًا كثيرًا»[3].

■ وفي خبر أبي مسلمة، عن أبي نضرةَ، عن أبي سعيدٍ، عن النبي ﷺ: «ولكن أقوامٌ تُصيبهم النارُ بذنُوبهم، وخطاياهم[4]. . .»[5].

---

(١) في الأصل: «ثديه»، والمثبت من «ظ».

(٢) حسن. ورواه الحاكم (٤/ ٥٨٥ ـ ٥٨٦). وانظر حديث أبي سعيد المتقدم (٣١٠).

(٣) صحيح. تقدم برقم (٦١٤).

(٤) في «ظ»: «وبخطاياهم».

(٥) تقدم برقم (٥٣٤).

٦٥١ ـ عن سَمُرَةَ بن جُندب؛ أن رسولَ الله ﷺ قال: «مِنهم من تأخُذُه النارُ إلىٰ كَعْبيه، ومنهم مَن تأخذُهُ إلىٰ رُكبتيهِ، ومِنهم مَن تأخذُه إلىٰ حُجْزَته (حَقْوَيه)، ومنهم من تأخذه إلىٰ تَرْقُوَتهِ».

قال أبو بكر: قد رَوَينا أخباراً عن النبيِّ ﷺ، يحسبُ كثيرٌ من أهلِ الجهلِ والعناد أنها خِلاف هذه الأخبار التي ذكرناها مع كثرتِها وصحّةِ سندها، وعَدالة ناقِليها؛ في الشَّفاعة، وفي إخراجِ بعضِ أهل التوحيدِ من النار، بعدما أُدخِلُوها بذُنوبهم وخَطاياهم، وليستْ بخلافِ تلك الأخبار عندنا بحمدِ الله ونعمته.

وأهلُ الجهلِ الذين ذكرتُهم في هذا الفصل صنفان.

صنفٌ منهم: الخوارجُ والمعتزلةُ، أنكرتْ إخراجَ أحدٍ من النارِ ممن يدخلُ النارَ، وأنكرتْ هذه الأخبار التي ذكرناها في الشَّفاعة.

الصنفُ الثاني: الغَالية من المرجئة التي تزعمُ أن النارَ حُرِّمت علىٰ من قال لا إله إلا الله، تتأوَّلُ هذه الأخبار التي رُويت عن النبيِّ ﷺ في هذه اللفظة علىٰ خلاف تأويلها.

فأوّل ما نبدأ بذكرِ الأخبار بأسانيدها، ومتونها، وألفاظ مُتونها، ثم نبيّن مَعانيها بعون الله ومشيئته. ونشرح ونوضّح أنها ليست بمخالفة للأخبارِ التي ذكرناها في الشَّفاعة، وفي إخراجِ مَن قضىٰ اللهُ إخراجهم من أهلِ التوحيدِ من النار. فمنها: الأخبارُ المأثورةُ عن النبيِّ ﷺ:

«لا يدخلُ النارَ أحدٌ في قلبِه مثقالُ حبةِ خردلٍ من إيمانٍ»[1].

٦٥٥ ـ عن عبد الله، عن النبي ﷺ قال: «لا يدخلُ الجنةَ مَن كانَ (أحد) في قلبِه مثقالُ ذرةٍ (حبةِ خردلٍ) من كبرٍ (شرك)ولا يدخلُ النارَ مَن كان (أحدٌ)

(١)وفي«ظ»، والمطبوع: «. . مثقال حبة من خردل من إيمان».

في قلبِه مثقالُ ذرةٍ (حبةِ خردلٍ) من إيمانٍ»[1].

٦٥٨ ـ عن عُمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «إني لأعلمُ كلمةً، لا يقولُها عبدٌ حقًّا مِن قلبِهِ فيموتُ على ذلك إلا حُرِّم على النارِ: لا إله إلا الله»[2].

٦٥٩ ـ عن عِتْبان بن مالكٍ قال: قال رسولُ الله ﷺ «لن يُوافي عبدٌ يومَ القيامةِ، وهو يقولُ: لا إله إلا الله، يَبْتَغِي بذلِكَ وجهَ اللهِ إلا حُرِّمَ علَىٰ النَّارِ»[3].

قال الزُّهريّ: ثم نزلتْ بعدَ ذلِكَ فرائِضُ وأمورٌ نُرىٰ أنّ الأمرَ انتَهَىٰ إليها فمن استَطَاعَ أنْ لا يَغتَرَّ فلا يَغتَرَّ[4].

قال أبو بكر: فاسمَعوا الدليلَ البيِّن الواضح، أن النبيَّ ﷺ إنما أراد بقولِه في هذا الخبر: «حُرِّم على النارِ»، أي: حُرِّم على النار أن تأكلَه، لا أنه حُرِّم على النارِ أن تُؤذيه، أو تمحشَه، أو تمسّه[5]؛ لأنَّ النار إذا أكلتْ ما يُلقىٰ فيها، يصير

(١) صحيح. ورواه مسلم (٩١ و ١٤٧)، والترمذي (١٩٩٩) وقال الترمذي: «حسن صحيح غريب».

(٢) صحيح. رواه أحمد(١/ ٦٣)، والحاكم(١/ ٣٥١) وزادا في متنه: «فقال عمر بن الخطاب: أنا أحدثك ما هي؟ هي كلمة الإخلاص؛ التي أعز الله تبارك وتعالىٰ بها محمداً ﷺ وأصحابه، وهي كلمة التقوىٰ؛ التي ألاص(أي: راود) عليها نبي الله ﷺ عمه أبا طالب عند الموت: شهادة أن لا إله إلا الله».

(٣) صحيح. ورواه البخاري(٦٤٢٣)، ومسلم(٣٣ و٢٦٤ المساجد)، وأحمد (٤/ ٤٤)،
تنبيه: الحديث أطول مما ذكره المصنف في هذا الموطن، وسيأتي مطولاً برقم(٦٦٩).

(٤) قال الحافظ في «الفتح» (١/ ٥٢٢): «في كلام الزهري نظر؛ لأن الصلوات الخمس نزل فرضها قبل هذه الواقعة قطعًا، وظاهره يقتضي أن تاركها لا يعذب إذ كان موحداً».
ومن قبله قال ابن الصلاح في «صيانة صحيح مسلم»(١/ ١٩٤): «هذا غير مقنع فقد كانت الصلاة وغيرها من الفرائض نزلت قبل ذلك...».

(٥) قال الشيخ هراس ـ رحمه الله ـ: «هذا تأويل بعيد، والظاهر المتبادر من التحريم هو عدم الدخول، كما فسرته الروايات الأخرىٰ، أو يراد من تحريمه على النار تحريم ملازمتها والخلود فيها، أو يكون هذا التحريم لمن قال: لا إله إلا الله، وقام بحقها...».

المأكولُ نارًا، ثم رمادًا.

وأهلُ التوحيد ـ وإن دخلُوا النارَ بذنوبِهم وخطاياهم ـ لا تأكلهم النارُ أكلاً يصيرون جمرًا، ثم رمادًا[1] بل يَصِيرون فحمًا كما ذكرنا في الأخبارِ التي قدّمنا ذكرها في أبواب الشفاعات، والشيء إذا احترقَ كلّه فصار جمرًا بعد احتراقِهِ، الجميعُ يَصيرون بعد الجمرِ رمادًا، لا يصيرُ فحمًا إذا احترقَ احتراقًا ناعمًا.

فافهموا هذا الفصلَ، لا تُغالطوا، فتصدُّوا عن سواء السبيل.

وكلّ ما يُذكر من الأخبارِ من هذا الجنس على هذا المعنى فافهمُوه.

٦٦٠ ـ عن ابن شهاب قال: أخبرني محمود بن ربيع الأنصاري؛ أنه عقل رسولَ الله ﷺ، وعقلَ مجةً، مجّها رسولُ الله ـ من دلوٍ؛ من بئرٍ كانت في دارهم ـ في وجهه، فزعم محمودٌ، أنه سمعَ عِتْبان بنَ مالكٍ الأنصاري، وكان ممن شَهِدَ بدرًا مع رسولِ الله ﷺ... الحديثَ بطوله.

وفي الخبر: فقال رسولُ الله ﷺ: «فإنّ اللهَ قَدْ حَرَّمَ على النَّارِ أنْ تأكُلَ مَنْ قَالَ: لا إله إلا الله؛ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ الله»[2].

٦٦٣ ـ عن أنسٍ؛ أن عِتْبان بنَ مالكٍ عَمِيَ (كان ضريرًا)، فأرسلَ إلى رسولِ الله ﷺ، أنْ تعالَ فخُطّ لِي مسْجِدًا في داري، فجاءَ رسولُ الله ﷺ، واجتمعَ إليه قومُه، وتغيّبَ مالكُ بنُ الدُّخْشُم، فذكروا مالكًا، فوَقَعُوا فيه، فقالوا: يا رسول الله [إنّهُ] مُنافقٌ، فقال رسولُ الله ﷺ: «أليسَ يشهدُ أنْ لا إلَهَ إلا اللهُ، وأنِّي رسولُ اللهِ؟»، قالُوا: بلى. إنَّمَا يقُولُها تعوُّذًا، قال: «فوالذِي نَفْسِي

(١) قال الشيخ هراس ـ رحمه الله ـ: «وكذلك الكفار لا تأكلهم النار حتى يصيروا رمادًا، بل كلما نضجت جلودهم بدلهم الله جلودًا غيرها، كما نطق القرآن، فليس هذا الأمر خاصًا بأهل التوحيد، حتى يفسر به تحريم النار عليهم».

(٢) صحيح. ورواه البخاري (٤٢٤ و ١١٨٥)، وانظر ما سيأتي برقم (٦٧١).

بيده ، لا يقولُهَا أحدٌ صادقًا إلا وَجَبَتْ لَهُ الجنةُ ، وحُرِّمَتْ عليه النَّارُ»[1] .

٦٦٦ ـ عن أنس ؛ أن عِتْبانَ بنَ مالكٍ اشتكىٰ عَيْنيه ، فبعثَ إلىٰ رسول الله ﷺ ، فذكر له ما أصابَهُ ، وقال : يا رسول الله ! تعال صلِّ في بيتي ؛ حتّىٰ اتّخذَهُ مُصلَّىٰ ، فَجَاءَ رسولُ الله ﷺ ، وَمَنْ شَاءَ اللهُ مِنْ أصحابِه ، فقامَ رسولُ الله ﷺ يُصلِّي ، وأصحابُهُ يتحدّثُونَ ، ويذكُرُونَ ما يلقونَ مِنَ المنافقينَ ، وأسندوا عُظْمَ ذلك إلىٰ مالكِ بن الدُّخْشُم ، فانصرَفَ رسولُ الله ﷺ ، فقال : «أليسَ يشهدُ أنْ لا إله إلا الله ، وأني رسولُ الله؟» . قال قائلٌ : بَلَىٰ . وما هُو مِنْ قلبِه ! فقالَ رسولُ الله ﷺ : «مَنْ شَهِدَ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ ، وأنّي رسولُ الله ، فَلَن تَطْعَمَهُ النَّارُ» ، أو قَالَ : «لَنْ يَدْخُلَ النارَ»[2] .

٦٦٧ ـ عن أنس بن مالك ، عن عِتْبانَ بن مالك ؛ أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : «مَنْ ماتَ ، وهُو يشهدُ أنْ لا إله إلا اللهُ ، وأنّ محمَّدًا رسولُ الله ، فَحَرَامٌ علىٰ النَّارِ أنْ تطعَمه»[3] .

٦٦٩ ـ عن محمود بن الربيع ، عن عِتْبان بن مالك قال : أتيتُ رسولَ الله ﷺ ، فقلتُ : إني قدْ أنكرتُ بصري ، وإنّ السيول تحولُ بيني وبين مسجد قومي ، ولوددتُ أنكَ جئتَ ، فصلّيْتَ في بيتي مكانًا اتّخذُه مسْجدًا .

فقالَ النبيُّ ﷺ : «أفعلُ إنْ شاءَ اللهُ» . قال : فمرّ النبيُّ ﷺ علىٰ أبي بكرٍ فاسْتَتْبَعَهُ ، فانطلقَ معهُ ، فاسْتَأْذَنَ ، فَدَخَلَ ، فقال ـ وهُو قَائمٌ ـ : «أينَ تُريدُ أنْ أُصَلِّي؟» . قالَ : فأشرتُ له حيثُ أُرِيدُ ، قال : ثم حَبَسْتُه علىٰ خزيرٍ[4] صنعناهُ

---

(١) حسن .

(٢) صحيح . ورواه مسلم (٣٣) ، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (١١٠٦و١١٠٧) .

(٣) صحيح .

(٤) قال ابن الأثير في «النهاية» (٢/ ٢٨) : «الخزيرة : لحم يقطع صغارًا ، ويصب عليه ماء كثير ، فإذا=

له ، فَسَمعَ بِهِ أهلُ الوادِي ـ يعني به : أهل الدَّار[1] ـ فثابُوا ، حتىٰ امتلأَ البيتُ .

فقالَ رجلٌ : أين مالكُ بنُ الدُّخْشُم[2]؟

فقال رجلٌ : إن ذاك رجلٌ منافِقٌ ؛ لا يحبُّ اللهَ ورسُولَهُ

فقالَ النبيُّ ﷺ : «لا تقل[3]، وهو يقولُ : لا إله إلا الله ؛ يبتغِي بذلكَ وجْهَ اللهِ» . قال : يا رسولَ اللهِ! أمّا نحنُ فَنَرَىٰ وجْهَهُ وحديثَه إلىٰ المنافقِين .

فقال النبيُّ ﷺ أيضًا : «لا تقل[4]، وهو يقول : لا إله إلا الله ؛ يبتغِي بذلكَ وجهَ الله ، فلنْ يُوافِي عبدٌ يومَ القيامةِ يقولُ : لا إلهَ إلا الله ؛ يبتغِي بذلكَ وجهَ اللهِ ؛ إلا حُرِّمَ علىٰ النارِ» .

قال محمود : فحدّثْتُ بهذا الحديث نفراً ؛ منهم أبُو أيوب الأنصاريّ فقال : ما أظنُّ رسول الله ﷺ قال ما قُلْتَ[5] . قال : فآليتُ إن رجعتُ إلىٰ عِتْبَانَ ابن مالك أن أسألَهُ ، فرجعتُ إليه ، فوجدته شيخًا كبيراً إمامَ قومِهِ ، وقدْ ذَهَبَ

=نضج ذر عليه الدقيق ، فإن لم يكن فيها لحم فهي عصيدة . وقيل : هي حَسًا من دقيق ودسم . وقيل : إذا كان من دقيق فهي حريرة ، وإذا كان من نخالة فهو خزيرة» .

(١) المراد بالدار ـ هنا ـ المحلة .

(٢) ويقال : ابن الدخشن ، وهو من بني عوف بن عمرو بن عوف الأنصاري شهد بدراً ، وهو الذي أسر سهيل بن عمرو يومئذٍ . قال ابن عبد البر في «الاستيعاب» (٣/ ١٣٥١) : «لا يصح عنه النفاق وقد ظهر من حسن إسلامه ما يمنع من اتهامه» .

(٣) في الأصل : «لا تقول»!

(٤) في الأصل : «لا تقول»!

(٥) قال الحافظ في «الفتح» (٣/ ٦٢) : «قد بين وجه الإنكار ، وهو ما غلب على ظنه من نفي القول المذكور ، وأما الباعث له على ذلك ، فقيل : إنه استشكل قوله : «إن الله قد حرم النار على من قال : لا إله إلا الله» ؛ لأن ظاهره لا يدخل أحد من عصاة الموحدين النار ، وهو مخالف لآيات كثيرة ، وأحاديث شهيرة ؛ منها أحاديث الشفاعة ، لكن الجمع ممكن بأن يحمل التحريم على الخلود» .

قلت : وقد تقدم قريبًا أقوال أخرىٰ في توجيه ذلك .

بَصَرُه، فجلسْتُ إلىٰ جنبِه، فسألْتُه عنْ هَذَا الحديث؟ فحدَّثنيه كما حدثنيه أولَ مرَّةٍ.

قال معمرٌ: فكان الزُّهري إذا حدّث بهذا الحديث قال: ثم نزلتْ فرائضُ وأمورٌ، نرىٰ أن الأمرَ انتهىٰ إليها، فمن استطاعَ أن لا يغترَّ فلا يغترَّ[1] [2].

٦٧١ ـ عن ابن شهابٍ قال: أخبرني محمود بن ربيع الأنصاري، أنه عَقَلَ رسولَ الله ﷺ، وعقَلَ مجةً مجّها رسولُ الله ﷺ ـ مِنْ دلوٍ؛ مِنْ بئرٍ كانتْ في دَارِهِم ـ في وجْهِهِ، فزعمَ[3] محمودٌ أنه سَمِعَ عِتْبان بن مالك الأنصاري ـ وكانَ ممنْ شَهِدَ بَدْراً مَعَ رسولِ الله ﷺ ـ يقولُ: كنتُ أصلّي لقومي؛ بني سالم فكان يحولُ بيني وبينهُم وادٍ إذا جاءتِ الأمطارُ، قال: فشقّ علي أن أجتازَهُ قِبل مسجدهم، فجئتُ رسُولَ الله ﷺ فقلتُ له: إني قد أنكرتُ من بصري، وإن الوادي الذي بيني وبين قومي يَسِيلُ إذا جاءتِ الأمطارُ، فيشق عليَّ اجتيازُه، فوددتُ أنك تأتيني، فتصلِّي في بيتي مصلىٰ، أتخذه مصلّىٰ (مسجداً).

فقال رسولُ الله ﷺ: «سأفعلُ».

فقال: فغدا عليّ رسولُ الله ﷺ بعد ما امتد النهارُ، فاستأذنَ عليَّ رسولُ الله ﷺ فأذنتُ له، فلم يجلس حتىٰ قال: «أين تحبُّ أن أُصلِّي لك من بيتك؟».

فأشرتُ إلىٰ المكان الذي أحبّ أن يُصلِّي فيه، فقام رسولُ الله ﷺ، فكبّر وصففنا وراءه، فركعَ ركعتين، ثم سلّم، وسلَّمْنَا حين سلّم، فحبستُه علىٰ خَزِيرٍ يُصنع له من شعيرٍ، فسَمعَ أهلُ الدار أنّ رسولَ الله ﷺ في بيتي، فثابَ

---

(١) في الأصل: «أن لا يغير، فلا يغير»، والمثبت من «ظ».

(٢) صحيح. وهو في «مصنف» عبد الرزاق (١٩٢٩)، ومن طريقه رواه مسلم (١/ ٤٥٦) في كتاب المساجد. باب الرخصة في التخلف عن الجماعة بعذر، وأبو عوانة (١/ ١٢ ـ ١٣).

(٣) في «ظ»: «فسمع»، وهو تحريف.

رجالٌ منهم، حتىٰ كثرَ الرجالُ في البيتِ.

فقال رجلٌ منهم: أين مالكُ بنُ الدُّخْشُنِ ـ أو الدُّخشمِ ـ لا أَراه؟

فقال رجلٌ منهم: ذلك منافقٌ؛ لا يحبُّ الله ولا رسوله.

فقال رسولُ الله ﷺ: «لا تَقُلْ ذلك، ألا تراهُ يقولُ: لا إله إلا اللهُ؛ يبتغي بذلك وجهَ اللهِ؟». فقال: الله ورسولُه أعلم، أما نحنُ فوالله ما نرىٰ ودّه وحديثه إلا إلىٰ المنافقين.

فقال رسولُ الله ﷺ: «فإن الله حَرَّمَ علىٰ النارِ أن تأكلَ مَنْ قال: لا إله إلا اللهُ؛ يبتغي بذلك وجهَ اللهِ».

قال محمود بن ربيع: فحدثْتُها قومًا؛ فيهم أبو أيُّوب الأنصاريّ صاحبُ رسولِ الله ﷺ في غزوتِه التي توفي فيها ـ ويزيد بنُ معاوية عليهم بأرضِ الروم[1] ـ فأنكرَها عليَّ أبو أيوب، فقال: والله ما أظنّ رسولَ الله ﷺ قال ما قلتَ قط!

فكبُر ذلك عليّ، فجعلتُ لله عليَّ لئن سلّمني الله حتىٰ أقفل من غزوتي أسأل عنها عِتْبان بن مالك إن وجدته حيًا في مسجدِ قومه، فقفلتُ، فأهللتُ من إيلياء[2] بعمرةٍ، ثم سرتُ حتىٰ قدمتُ المدينةَ، فأتيتُ بني سالمٍ، فإذا عِتْبان

---

(١) هي غزوة القسطنطينية. قال الذهبي في «تاريخ الإسلام»: «غزا الروم مع يزيد بن معاوية ابتغاء ما عند الله، فتوفي عند القسطنطينية، فدفن هناك، وأمر يزيد بالخيل فمرت علىٰ قبره حتىٰ عفت أثره لئلا ينبش... وقبره تجاه سور القسطنطينية، توفي سنة إحدىٰ وخمسين أو في أواخر سنة خمسين».

(٢) إيلياء: مدينة بيت المقدس، ولم تقع هذه اللفظة «من إيلياء» في «صحيح البخاري» (١١٨٦)، لكني رأيت القاضي عياض قال في «مشارق الأنوار» (٢/ ٣٨٤): «في بعض الروايات عن الأصيلي: «فأهللت من إيلياء بحجة أو عمرة» قال المروزي: ليس في سماعنا «من إيلياء». قال القاضي: وإثباتها هو الصواب لأنهم كانوا قادمين من أرض الروم، والحديث يدل عليه».

قلت: وابن الربيع كان يسكن إيلياء. وللإهلال دون الميقات انظر «الأم» (٧/ ٢٥٣)، الزرقاني (٢/ ٣٢٤).

ابنُ مالكٍ شيخٌ أعمىٰ يُصَلِّي بقومه، فلما سلَّم من الصلاةِ، سلَّمتُ عليه، وأخبرتُه من أنا، ثم سألتُه عن ذلك الحديث؟ فحدَّثني كما حَدَّثَنيه أوّل مرةٍ.

قال محمد الزُّهريُّ: ولكنّا أدركنا الفقهاءَ وهم يَرون أن ذلك كان قبل أن تنزلَ موجباتُ الفرائض في القرآنِ، فإنَّ الله قد أوجبَ علىٰ هذه الكلمة التي ذكرَها رسولُ الله ﷺ، وذكر أن النجاة بها فرائضَ في كتابه، نحن نخشىٰ أن يكون الأمرُ صارَ إليها، فمن استطاع أن لا يَغترَّ فلا يَغتَرَّ[1].

٦٧٣ ـ عن عُثْمانَ، عن النبيِّ ﷺ قال: «من ماتَ، وهُو يشْهَدُ أَنْ (يقول) لا إِلهَ إلا الله، دخلَ الجنَّةَ»[2].

٦٧٥ ـ شُعْبَة، عن قتادةَ، عن أنسِ بن مالكٍ، عن مُعَاذ بن جبلٍ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «من ماتَ وهو يشهدُ أنْ لا إله إلا الله وأن مُحَمَّدًا رسولُ الله صادقًا مِن قلبهِ دخلَ الجنَّةَ». قال شعبةُ: لم أسألْ قتادةَ: أسمعه من أنسٍ أم لا[3].

٦٧٦ ـ عن أنسٍ؛ أنه ذُكر له أن النبيَّ ﷺ قال لمعاذٍ: «مَنْ لَقِيَ الله لا يُشْرِكُ به شَيْئًا دخلَ الجنة»، قال: يا نبي الله! أفلا أُبشِّرُ الناسَ؟ قال: «لا؛ إنِّي أَخَافُ أنْ يَتَّكِلُوا»[4].

٦٧٨ ـ عن أنسٍ قال: ذُكِر لي، أنَّ النبيَّ ﷺ قال لمعاذٍ ـ لم أسمعه منه ـ بمثله[5].

---

(١) صحيح. انظر الحديث (٦٦٠). ورواه أبو عوانة (١/ ١١ ـ ١٢)، والطيالسي (١٢٤١) بتمامه.

(٢) صحيح. ورواه مسلم (٢٦)، وأحمد (٤٩٨).

(٣) صحيح. ورواه أحمد (٥/ ٢٢٩)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (١١٣٤) وأما عن قول شعبة: «لم أسأل قتادة أسمعه من أنس أم لا؟»، فقد قال ابن منده: «وقال همام عن قتادة: سمعت أنس بن مالك».

(٤) صحيح. ورواه البخاري (١٢٩).

(٥) صحيح. ورواه النسائي في «عمل اليوم والليلة» (١١٣٥). =

٦٨٤ ـ عن هِصَّان بن الكَاهِن قال: دخلتُ مسجدَ البصرة[١] ـ على عهدِ عُثْمَان بن عفَّان رضي الله عنه ـ فإذا رجلٌ أبيض الرأسِ واللحيةِ يحدِّثُ عن مُعاذ بن جبلٍ، عن رسولِ الله ﷺ؛ أنه قال: «مَا مِن نفسٍ تموتُ تشهدُ أن لا إله إلا الله، وتشهدُ أني رسولَ الله، يرجعُ ذاك إلى قلبٍ موقنٍ إلا غفرَ الله لها»، قال: قلتُ: أنتَ سمعتَ ذاك من مُعاذ بن جبلٍ؟ قال: كأنَّ القوم عَنَّفُوني، قال: لا تُعَنِّفوه، أَوْ لا تُؤَنِّبوه، نعم أنا سمعتُ ذا الخبر[٢] مِن مُعَاذ بنِ جبلٍ، يُدنيه عن رسولِ الله ﷺ.

قلتُ لرجلٍ إلى جنبي: مَن هذا؟ قال: هذا عبد الرحمن بن سَمُرة[٣].

٦٨٥ ـ عن سُعْدى؛ امرأة طلحة بن عُبيد الله؛ أن عمرَ بن الخطاب رضي الله عنه مرَّ بطلحة بن عُبيد الله، حين استُخلِف أبو بكرٍ، فقال: مالي أراك كئيبًا؟ لعلك كرهتَ إمارةَ ابنِ عمِّك؟ قال: لا. ولكنِّي سمعتُ رسولَ الله ﷺ قال كلمةً لم أسألْه عنها حتى ماتَ أو قُبِضَ. قال: «إني لأعلمُ كَلمةً لا يقولُها عبدٌ عند موتِه، إلا كَانتْ لهُ نُورًا في صحيفتِه، وإنَّ رُوحَهُ وجسدَهُ

=وقول أنس: «لم أسمعه منه». قال الحافظ في «الفتح» (١/ ٢٢٧): «ولم يسم أنس من ذكر له ذلك في جميع ما وقفت عليه من الطرق، وكذلك جابر بن عبد الله كما قدمناه من عند أحمد، لأن معاذًا إنما حدث به عند موته بالشام، وجابر وأنس إذ ذاك بالمدينة».

وقال الكرماني في «شرحه» (٢/ ١٥٧):

«فإن قلت لفظ «ذكر» يقتضي أن يكون هذا تعليقًا من أنس، ولما لم يكن الذاكر له معلومًا كان من باب الرواية عن المجهول، فهل هو قادح في الحديث؟ قلت: التعليق لا ينافي الصحة، إذا كان المتن ثابتًا من طريق آخر، وكذا الجهالة، إذ معلوم أن أنسًا لا يروي إلا عن العدل، سواء رواه عن الصحابي أو غيره، وبالجملة يحتمل في المتابعات والشواهد ما لا يحتمل في الأصول». أهـ.

(١) في «ظ»: «مسجد الثغر»، وفي المطبوع، وعند أحمد: «مسجد البصرة»، وهو الموافق لما في الأصل.

(٢) وفي «ظ»: «ذاك» بدل: «ذا الخبر».

(٣) حسن صحيح. رواه أحمد (٥/ ٢٢٩)، وابن ماجة (٣٧٩٦)، وصح بمعناه عن معاذ (٦٧٥).

لَيجدان لها رائحةً (راحة) عند الموتِ». فقال عمر: إني لأعلمُ ما هي، هي: لا إله إلا الله، كلمته التي أرادَ عمّه عليها، قال: ما أراهَا إلا ذلك[1].

٦٩٠ ـ عن الصُّنابِحيِّ أنه قال: دخلتُ على عُبَادة بن الصَّامت ـ وهو في الموتِ ـ فبكيتُ، فقال: مهلاً لِمَ تبكي؟ فوالله لَئِن استُشْهِدْتُ لأشهدنَّ لك ولئن شُفِّعتُ لأشفَعنَّ لك، ولئن استطعتُ لأنفعنَّك، ثم قال: والله مَا مِن حديثٍ سمعتُهُ مِنْ رسولِ اللهِ ﷺ لكُم فيه خيرٌ إلا حدَّثتكموه، إلا حديثًا واحداً وسوف أُحَدِّثُكُمُوهُ اليومَ، وقد أُحيط بنفسي! سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «مَنْ شَهِدَ أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسولُ الله، حرَّمه الله على النار»[2].

(وفي رواية: من لَقِيَ الله يشهدُ أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسولُ الله دخل الجنة).

٦٩٣ ـ عن ذكوان السمّان؛ أن جابرَ بنَ عبد الله حدَّثه، أن رسولَ الله ﷺ بعثه، قال: «اذهبْ، فنادِ في النَّاسِ أنّه[3]: من شَهِدَ أن لا إله إلا الله مُوقنًا أو مُخْلصًا، فله الجنة». فذكر الحديثَ بتمامِهِ في لُقي عمر بن الخطاب رضي الله عنه [إياه]، وردّه إلى النبيِّ ﷺ، وقوله: إنّ الناسَ قد خَشُوا[4] وطَمِعُوا. قال: «اجلسْ»[5].

---

(١) صحيح. ورواه ابن ماجه (٣٧٩٥)، وابن حبان (٢٠٥)، وأبو يعلى (٦٤٢).

(٢) حسن صحيح. ورواه مسلم (٢٩)، والترمذي (٢٦٣٨)، وأحمد (٥/ ٣١٨).

وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه». وقال: «ووجه هذا الحديث عند بعض أهل العلم؛ أن أهل التوحيد سيدخلون الجنة، وإن عذبوا بالنار بذنوبهم، فإنهم لا يخلدون في النار».

(٣) في «ظ»: «أن».

(٤) كذا(!) ولا يصح معناه إلا بتكلف، وفي «موارد الظمآن» (٧): «خبثوا»، ولعله الصواب؛ إذ المراد أنهم يتكلون على الشهادة، ويتكاسلون عن العمل، وقد بين ذلك عمر رضي الله عنه لرسول الله ﷺ؛ فإنه قال ـ كما في حديث أبي هريرة الذي رواه مسلم (٣١) ـ: «فإني أخشى أن يتكل الناس عليها».

(٥) حسن.

٦٩٥ ـ عن أنس بن مالكٍ قال: قال رجلٌ: يا رسولَ الله! ما تركتُ من حاجةٍ ولا داجةٍ[1] إلا أتيتُ عليها! قال: «وتشهدُ أنْ لا إله إلا الله، وأن محمداً رسولُ اللهِ؟». قال: نعم. قال: «فإنَّ هذا يأتي على ذلكَ كلِّه».

(وفي رواية: «فإنَّ هذا يُذْهِبُ هذا»[2]).

٦٩٦ ـ عن عمرَ؛ أنَّ رسولَ الله ﷺ أمرَهُ أن يُؤْذِنَ النَّاسَ: أن من يشهد أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له مُخلصًا، فله الجنة». قال عمر: يارسولَ الله! إذًا يتَّكِلوا. قال: «فدَعْهم»[3].

٦٩٨ ـ عن عبد الرحمن بن أبي عَمرة الأنصاريّ، عن أبيه قال: خرجنا مع رسُولِ الله ﷺ في بعضِ غزواته... فذكر حديثًا طويلاً.

وقال في آخره: ثم قال رسول الله ﷺ: «أشهدُ أن لا إله إلا الله، وأنّي رسول الله، وأشهدُ عند الله أنّه لا يلقاه عبدٌ مؤمنٌ بهما إلا حَجبتاهُ عن النَّارِ يومَ القيامةِ»[4].

٧٠٢ ـ عن أبي هُريرة رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ لعمِّه: «قُل: لا إله إلا الله، أشهدُ لكَ بها يومَ القيامةِ»، قال: لولا [أن] تُعيِّرني قريشٌ ـ إنما حمله عليه الجزعُ ـ لأقررْتُ بها عَيْنك، فأنزلَ الله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾[القصص: ٥٦][5]

(١) قال ابن الأثير: أي: ما تركتُ شيئًا دعتني نفسي إليه من المعاصي إلا وقد ركبته، وداجة: إتباعٌ لحاجة.

(٢) صحيح. ورواه أبو يعلى (٣٤٣٣)، والبزار (٣٠٦٧).

(٣) حسن. ورواه البزار (٩)، وعنده: «دعهم يتكلوا».

(٤) صحيح. رواه أحمد (٣/ ٤١٧ ـ ٤١٨).

(٥) حسن صحيح. ورواه مسلم (٢٥)، والترمذي (٣١٨٨)، وأحمد (٢/ ٤٣٤) =

٧٠٣ ـ عن يُوسف بن عبد الله، عن أبيه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «مَنْ شهدَ أن لا إله إلا الله، وأنّ محمداً رسولُ الله، وجبتْ له الجنة»[1].

٧٠٩ ـ عن عبد الله قال: قال رسولُ الله ﷺ كلمةً، وأنا أقولُ أُخْرىٰ، قال: «مَنْ ماتَ وهو يَجعلُ لله نِداً، دخلَ النَّارِ»، قال: وأقولُ: وهُو لا يجعلُ لله نداً دخلَ الجنَّةَ[2].

قال أبو بكر: معنىٰ هذه الأخبار، ليس كما يتوهمه المرجئة.

وبيقينٍ يعلمُ كلُّ عالمٍ من أهل الإسلام أنّ النبيّ ﷺ لم يُرد بهذه الأخبار أنّ مَن قال لا إله إلا الله، أو زاد ـ مع شهادةِ أن لا إله إلا الله ـ شهادةَ أنّ محمداً رسول الله، ولم يُؤمن بأحدٍ من الأنبياء غير محمدٍ ﷺ ولا آمن بشيء من كتاب الله ولا بجنةٍ ولا نارٍ ولا بعثٍ ولا حسابٍ أنّه من أهل الجنة، لا يُعذّب بالنارِ.

ولئن جاز للمُرجئةِ الاحتجاج بهذه الأخبار، وإن كانت هذه الأخبار ظاهرُها خلاف أصلِهم، وخلاف كتاب الله، وخلاف سُنن النبيّ ﷺ، جاز للجَهميّة الاحتجاجُ بأخبارٍ رُويت عن النبيّ ﷺ، إذا تُؤولت علىٰ ظاهرِها استحقّ مَن يعلم أنّ الله ربَّه وأن محمداً نبيّه الجنة، وإنْ لم ينطق بذلك لسانُه.

ولا يزال يُسمع أهلُ الجهلِ والعناد يحتجُّونَ بأخبارٍ مُختصرة غير مُتقصَّاة، وبأخبارٍ مُجملةٍ غير مفسّرةٍ، لا يفهمون أصولَ العلمِ، يستدلون بالمتقصّىٰ من الأخبارِ علىٰ مُختصرِها، وبالمفسّر منها علىٰ مُجملها!

قد ثبتتِ الأخبارُ عن النبي ﷺ بلفظةٍ لو حُمِلت علىٰ ظاهرها ـ كما

=وقال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب، لا نعرفه إلا من حديث يزيد بن كيسان».

(١) صحيح.

(٢) صحيح.

حملتِ المرجئةُ الأخبارَ التي ذكرناها في شهادةِ أن لا إله إلا الله على ظاهِرِها - لكان العالمُ بقلبِه: أنّ لا إله إلا الله مُستحقًّا للجنةِ، وإن لم يقرّ بذلك لسانُه، ولا أقرّ بشيءٍ مما أمر الله تعالى بالإقرار به، ولا آمنَ بقلبه بشيءٍ أمرَ الله بالإيمان به، ولا عملَ بجوارحِه شيئًا أمرَ الله به، ولا انزجرَ عن شيء حرَّمه الله؛ من سفكِ دماء المسلمين، وسبي ذَراريهم، وأخذ أموالهم، واستحلال حُرَمِهم.

فاسمعِ الخبرَ الذي ذكرتُ أنه غير جائزٍ أن يُحمل على ظاهره، كما حملتِ المرجئةُ الأخبارَ التي ذكرناها على ظاهرها.

٧١٠ - عن عُثمان بن عفّان، عن النبيِّ ﷺ قال: «من ماتَ، وهُو يعلمُ[(١)] أن لا إله إلا الله، دخلَ الجَنَّةَ»[(٢)].

٧٢٢ - عن ابن الديلمي قال: كنتُ ثالثَ ثلاثةٍ ممن يخدم معاذَ بن جبلٍ، فلما حضرته الوفاةُ قلنا له: رحِمَك الله، إنما صَحِبناك وانقطعنا إليك، واتّبعناك لمثلِ هذا اليوم، فحدِّثنا بحديثٍ سمعتَه من رسولِ الله ﷺ؛ ننتفعُ به. فقال: نعم. وما ساعةُ الكذبِ هذه! سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «مَنْ مَاتَ، وهو

---

(١) قال ابن الصلاح في «صيانة صحيح مسلم» ص(١٧٢):

«قوله: «وهو يعلم» لا يحملنا على مخالفة الفقهاء وسائر أهل السنة في قولهم: إنه لا يصير مسلمًا بمجرد المعرفة بالقلب دون النطق بالشهادتين إذا كان قادرًا عليه؛ لأن اشتراط ذلك ثابت بينته أحاديث أخر». أهـ.

(٢) صحيح. وهو مكرر (٦٧٣).

وقال ابن الصلاح في المصدر السابق ص (١٧٢):

«هذا وسائر الأحاديث الواردة في معناه حجة على الخوارج القائلة بتكفير مرتكبي الكبائر وتخليدهم في النار، وعلى المعتزلة القائلة بتخليدهم فيها من غير تكفير.

ولا حجة فيه للمرجئة الزاعمة أنه لا يعذب مع الإسلام بمعصية كما لا ينجو مع الكفر بطاعة؛ لأنه ليس فيه أكثر من إثبات أصل دخوله الجنة، وكل مسلم يدخل الجنة وإن لبث في النار ما لبث، والنصوص متظاهرة في إصلاء من لم يعف عنه من أهل الكبائر المسلمين نار جهنم عافانا الله الكريم سبحانه». أهـ.

يُوقِنُ بقلبه أن الله حقٌ، وأن الساعة قائمةٌ، وأن الله يبعثُ من في القُبورِ». قال ابنُ سيرين: إما قال: «دخلَ الجنة». أو قال: «نجا من النارِ»[١].

ولئن جازَ للجهمي الاحتجاج بهذه الأخبار أن المرء يستحق الجنة؛ بتصديق القلبِ بأن لا إله إلا الله، وبأنَّ الله حق، وأن الساعة قائمة، وأن الله يبعث مَن في القبور ويترك الاستدلالَ بما سنبينه بعدُ إن شاء الله من معنىٰ هذه الأخبار. لم يُؤْمَن أن يحتجَّ جاهلٌ؛ لا يعرفُ دينَ الله، ولا أحكامَ الإسلام بخبر عُثمان، عن النبي ﷺ: «مَنْ عَلِمَ أن الصَّلاةَ عليه حقٌّ واجبٌ دخلَ الجنة»[٢]، وإنْ لم يقر بلسانِه مما أمر الله بالإقرار به، ولا صدَّق بقلبه بشيءٍ مما أمر الله بالتصديق بِه، ولا أطاعَ في شيء أمر الله به، ولا انزجرَ عن شيء حرَّمه الله.

إذ النبيّ ﷺ قد خبَّر أن: «مَن عَلِمَ أن الصَّلاةَ عليه حقٌّ واجبٌ، دخلَ الجنة»[٣]، كما خبَّر أن: «مَن شَهِدَ أن لا إله إلا الله دخلَ الجنة».

قال أبو بكر: فإن جازَ الاحتجاج بمثل هذا الخبر المختصر في الإيمان، واستحقاق المرء به الجنة، وتُركَ الاستدلالُ بالأخبارِ المفسّرة المتقصاة.

لم يُؤْمَن أن يحتجَّ جاهلٌ معاندٌ فيقول: بل الإيمانُ إِقامُ صلاةِ الفجر وصلاة العصر، وأن مُصليها يستوجب الجنة، ويُعاذ من النار، وإن لم يأتِ بالتصديق، ولا بالإقرار بما أُمِرَ أن يُصدّق به ويقرّ به، ولا يعمل بشيءٍ من الطاعاتِ التي فرضَ الله علىٰ عبادِهِ، ولا انزجرَ عن شيءٍ من المعاصي التي حرَّمها الله، ويحتجّ بخبر:

---

(١) صحيح. ورواه ابن أبي عاصم في «السنة» (٨٨٨)، والطبراني في «الكبير» ٢٠/ (٣٥٩).

(٢) ضعيف. رواه عبد الله في «زوائد المسند» (٤٢٣/ شاكر)، وعبد بن حميد (٤٩).

(٣) ضعيف. رواه عبد بن حميد (٤٩)، وفي سنده مجهول.

٧٢٦ ـ عُمارة بن رُوَيبةقال : سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول : «من صلَّى قبلَ طُلوعِ الشَّمْسِ وقبل غُروبها ، حرَّمَه الله على النارِ» . فقال رجلٌ من أهلِ البصرة : وأنا سمعتُه عن رسولِ الله ﷺ[1] .

وكلُّ عالم يعلمُ دينَ الله وأحكامه ، يعلمُ أن هاتين الصَّلاتين لا تُوجبان الجنة مع ارتكابِ جميع المعاصي أيضًا . وأن هذه الأعمال كذلك إنما رُويت على ما بيَّنا[2] في «كتاب الإيمان» ، ورُويت في فضائل الأعمالِ كذاك .

إنما رُويت أخبارُ النبي ﷺ : «مَنْ قالَ لا إله إلا الله ، دخلَ الجَنَّةَ» ، فضيلةً لهذا القولِ ، لا أنَّ هذا القول كل الإيمانِ .

ولئن جازَ لجاهلٍ أن يتأوَّل أن شهادةَ أن لا إله إلا الله جميعَ الإيمان ؛ إذ النبيّ ﷺ خبَّر أن قائلها يستوجب الجنة ، ويُعاذ من النار ، لم يُؤْمَن أن يدَّعي جاهلٌ معاندٌ أيضًا أن جميعَ الإيمان القتال في سبيل الله فُواق ناقةٍ .

فيحتج بقولِ النبي ﷺ : « مَنْ قاتلَ في سبيلِ الله فُوَاقَ ناقةٍ ، دخلَ الجنة »[3] كاحتجاجِ المرجئة بقولِ النبي ﷺ : «مَنْ قالَ لا إله إلا الله دخلَ الجَنَّةَ» .

ويقول معاندٌ آخرُ جاهلٌ : إن الإيمانَ بكمالِهِ ؛ الماشي في سبيل الله ، حتى تغبرّ قدما الماشي ، ويحتج بقولِ النبيِّ ﷺ : «مَنْ اغبرَّتْ قدماهُ في سبيلِ الله حرَّمهما الله على النَّارِ»[4] .

---

(١) صحيح . ورواه المصنف في «صحيحه» (٣١٨) بسنده ولفظه .
رواه مسلم (٦٣٤) ، وأبو داود (٤٢٧) والنسائي (١/ ٢٣٥) ، والبغوي (٣٨٣)
واللفظ عندهم : «لن يلج النَّار أحد صلى قبل طلوع الشمس وقبل غروبها» .

(٢) وفي «ظ» : «قدمنا» .

(٣) صحيح . رواه أحمد (٥/ ٢٣٠ ـ ٢٣١) وغيره من حديث معاذ .

(٤) صحيح . رواه البخاري (٩٠٧) ، وعنده : «حرمه» بدل : «حرمهما» .

وبقوله: «لا يجتمعُ غبارٌ في سبيل الله ودخانُ جهنمَ في منخري رجلٍ مسلمٍ أبدًا»[1].

ويدَّعي جاهلٌ آخر: أن الإيمان عتق رقبةٍ مؤمنةٍ، ويحتج بأنَّ النبيَّ ﷺ قال: «مَنْ أعتقَ رقبةً مؤمنةً أعتقَ الله بكلِّ عُضوٍ منه عضوًا مِنَ النَّار»[2].

ويدَّعي جاهلٌ آخر: أن جميعَ الإيمان البكاء من خشيةِ الله تعالىٰ، ويحتجّ بقولِ النبيِّ ﷺ: «لا يدخلُ النارَ مَنْ بكىٰ من خشيةِ الله تعالىٰ»[3].

ويدعي جاهلٌ آخر: أن جميع الإيمان صومُ يومٍ في سبيلِ الله، ويحتج بأن النبي ﷺ قال: «مَنْ صامَ يومًا في سبيلِ الله، باعدَ اللهُ وجهَهُ عن النَّارِ سبعينَ خَرِيفًا»[4].

ويدَّعي جاهلٌ آخر: أن جميعَ الإيمان؛ قتلُ كافرٍ، ويحتج بقول النبي ﷺ: «لا يجتمعُ كافرٌ وقاتِلُهُ في النَّارِ أبدًا»[5].

قال أبو بكر: وهذا الجنس من فضائل الأعمال يطولُ بتقصيه الكتابُ، وفي قدرِ ما ذكرنا غُنية وكفاية لما له قصدنا، أن النبيَّ ﷺ إنما خبّر بفضائلِ هذه الأعمال التي ذكرنا وما هو مثلها، لا أنَّ النبيَّ ﷺ أراد أن كل عملٍ ـ ذكره أعلمَ أن عامِله يستوجب الجنة، أو يُعاذ من النارـ أنه جميع الإيمان، وليس كذلك.

إنما أرادَ النبيُّ ﷺ بقولِه: «من قالَ: لا إله إلا الله دخلَ الجنَّةَ، أو حُرِّمَ علىٰ النارِ»، فضيلةً لهذا القولِ، لا أنه جميع الإيمان، كما ادَّعىٰ مَن لا يفهم العلم،

---

(١) صحيح. رواه النسائي (٦/ ١٣ ـ ١٤) عن أبي هريرة، وانظر «الأدب المفرد» (٢٨١ بتحقيقي).

(٢) رواه البخاري (٦٧١٥)، ومسلم (١٥٠٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) صحيح. رواه الترمذي بمعناه.

(٤) متفق عليه عن أبي سعيد الخدري، انظر كتابي «الإلمام بأحكام وآداب الصيام» ص (١١).

(٥) صحيح. ورواه مسلم (١٨٩١) من حديث أبي هريرة.

ويُعاند، فلا يتعلّم هذه الصناعة من أهلها.

ومعنىٰ قوله ﷺ: «لا يجتمعُ كافرٌ وقاتلُه في النارِ أبدًا»، هذا لفظة مختصرة، الخبرُ المتقصَّىٰ لهذه اللفظة المختصرة:

٧٢٨ ـ عن أبي هُريرةَ رضي الله عنه، عن رسولِ الله ﷺ: «لا يَجْتَمِعانِ في النَّارِ اجتمَاعًا، يعني: أحدهما مسلمٌ قتلَ كافرًا، ثم سدَّدَ المسلمُ وقاربَ»[١].

قال أبو بكرٍ: كذاك نقولُ في فضائل الأعمال التي ذكرنا: أن مَن عَمِلَ من المسلمين بعضَ تلك الأعمال، ثم سدَّدَ وقاربَ، وماتَ علىٰ إيمانِه، دخلَ الجنةَ، ولم يدخلِ النارِ؛ موضع الكفّار منها، وإن ارتكبَ بعضَ المعاصي.

كذاك لا يجتمعُ قاتلُ الكافرِ، إذا ماتَ علىٰ إيمانه مع الكافرِ المقتولِ في موضعٍ واحدٍ من النار لا أنه لا يدخل النارَ ولا موضعًا منها وإن ارتكبَ جميعَ الكبائر خلا الشرك بالله عزّ وجلّ، إذا لم يشأ الله أن يغفر له ما دُون الشرك.

فقد خبَّر الله عز وجل أنّ للنار سبعة أبواب، فقال لإبليس: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ...﴾ إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾ [الحجر: ٤٢ ـ ٤٤]. فأعلمنا ربُّنا عزّ وجلّ أنه قسم تابعي إبليس من الغاوين سبعة أجزاء علىٰ عدد أبواب النار فجعل لكلِّ بابٍ منهم جزءًا معلومًا، واستثنىٰ عباده المخلَصين من هذا القسم.

فكل مرتكب معصية زجرَ الله عنها فقد أغواه إبليسُ، والله عز وجل قد يشاءُ غُفران كلّ معصية يرتكبها المسلمُ دون الشركِ، وإن لم يتبْ منها[٢].

---

(١) حسن صحيح. ورواه مسلم (١٨٩١) (١٣١)، ولفظه: «لا يجتمعان اجتماعًا يضر أحدهما الآخر» قيل: من هم يا رسول الله؟ قال: «مؤمن قتل كافرًا، ثم سدد».

(٢) أين الخوارج قبحهم الله وأخزاهم؟!

كذاك أعلمنا في مُحْكم تنزيله : ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ .

وأعلمنا خالقُنا عزّ وجلّ أن آدم ـ خلقَهُ بيده، وأسكنه جنَّته، وأمرَ ملائكته بالسُّجودِ له ـ عصاهُ فغوىٰ، وأنه عزّ وجلّ برأفته ورحمته اجتباهُ بعد ذلك، فتابَ عليهِ، وهدىٰ، ولم يحرمه الله بارتكاب هذه الْحَوْبَة بعد ارتكابِهِ إياها .

فمن لم يغفر الله له حَوْبته؛ التي ارتكبها، وأوقعَ عليه اسم : «غاوي»، فهو داخلٌ في الأجزاء؛ جزءًا وقسمًا لأبواب النار السبعة .

وفي ذكر آدم ﷺ وقوله عزّ وجلّ : ﴿وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ﴾ [طه : ١٢١] . ما يبينُ ويوضِّحُ أن اسم : «الغاوي» قد يقعُ على مرتكبِ خطيئةٍ قد زجرَ الله عن إتيانها، وإن لم تكنْ تلك الخطيئة كُفرًا، ولا شِركًا، ولا ما يُقاربها ويشبهها .

ومحالٌ أن يكونَ المؤمن الموحِّد لله عزّ وجلّ قلبُه ولسانُه، المطيع لخالقِهِ في أكثر ما فرضَ الله عليه، ونَدَبَه إليه من أعمالِ البرِّ، غير المفترضِ عليه، المنتهي عن أكثر المعاصي، وإن ارتكبَ بعضَ المعاصي والحوبات في قسم مَن كَفَرَ بالله، ودعا معه آلهة له، أو صاحبةً، أو ولدًا، تعالىٰ الله عن ذلك علوًا كبيرًا، ولم يؤمن أيضًا بشيءٍ مما أمرَ الله بالإيمان به، ولا أطاعَ الله في شيءٍ أمرَه به؛ من الفرائض، والنوافل، ولا انزجرَ عن معصيةٍ نهىٰ الله عنها .

محالٌ أن يجتمعَ هذانِ في درجةٍ واحدةٍ من النار .

والعقل مركّب علىٰ أن يعلم أن كلَّ من كان أعظم خطيئةً، وأكثر ذنوبًا ـ لم يتجاوز الله عن ذُنوبه ـ كان أشدّ عذابًا في النار . كما يعلم كلُّ عاقلٍ أن كلَّ مَنْ كان أكثر طاعةً لله عزّ وجلّ وتقربًا إليه بفعلِ الخيراتِ واجتناب السيئات كان أرفع درجةً في الجنان، وأعظم ثوابًا وأجزل نعمةً .

فكيف يجوز أن يتوهَّم مسلمٌ أن أهلَ التوحيدِ يجتمعونَ في النار ـ في الدرجة ـ [مع] مَن كان يفتري على الله عزّ وجلّ؛ فيدعو له شريكًا ـ أو شركاء ـ فيدعو له صاحبةً، وولدًا، ويكفر به، ويُشرك، ويكفر بكلِّ ما أمر الله عزّ وجلّ بالإيمانِ به، ويكذِّبُ جميعَ الرسل، ويترك جميعَ الفرائض، ويرتكب جميعَ المعاصي، فيعبد النيران، ويسجد للأصنام، والصُّلبان؟!

فمن لم يفهم هذا البابَ لم يجد بُدًّا من تكذيبِ الأخبار الثابتة المتواترة التي ذكرتُها عن النبيِّ ﷺ في إخراجِ أهلِ التَّوْحيدِ من النار.

إذ مُحالٌ أن يُقال: أخرجوا مِن النارِ مَن ليس فيها.

وأمحل من هذا أن يُقال: يخرجُ مِن النار مَن ليس فيها.

وفي إبطال أخبارِ النبي ﷺ دروس الدين[1]، وإبطال الإسلام.

والله عز وجل لم يجمعْ بين جميع الكفّار في موضعٍ واحدٍ من النار، ولا سوَّىٰ بين عذابِ جميعهم قال الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾[النساء: ١٤٥].

وقال ﴿أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾[غافر: ٤٦].

قال أبو بكر: وسأبيّن ـ بمشيئةِ خالقنا عزّ وجلّ ـ معنىٰ أخبار النبي ﷺ: «لا يدخلُ النارَ من فعلَ كذا»، ومعنىٰ قوله: «يخرجُ من النار»، وأُؤلِّفُ بين معنىٰ هذه الأخبار تأليفًا بينًا مشروحًا بعد ذكري لأخبار النبي ﷺ، إن حُملت علىٰ ظاهرِهَا كانت دافعةً للأخبارِ التي خبَّرَ النبيُّ ﷺ أن فاعلَ بعضِها يستوجبُ الجنَّة، ويُعَاذُ مِنَ النَّارِ

(١) ذهابه وضياعه.

٨٢ ـ باب ذكر أخبار رُويت عن النَّبيِّ ﷺ ثابتةٌ من جهةِ النَّقْل جَهِلَ معناها فِرْقَتانِ؛ فرقةُ المعتزلة، والخَوارج

واحتجُّوا بها، وادَّعوا أن مرتكبَ الكبيرةِ إذا ماتَ قبل التَّوبةِ منها مُخَلَّدٌ في النَّارِ، محرمٌ عليه الجنان(١)!

والفرقةُ الأُخرىٰ المرجئةُ كفرت بهذه الأَخبارِ وأنكرتها، ودفعتها؛ جهلاً منهم بمعانيها.

وأنا ذاكرُها بأَسَانيدها، وألفاظ مُتُونِهَا، ومبيّنٌ معانيها، بتوفيقِ اللهِ تَعَالىٰ.

٧٣٢ ـ عن أبي عُثمان قال: سمعتُ سعداً، وهو أوّل من رَمَىٰ بسهمٍ في سبيلِ اللهِ، وأبا بكرة وتسوّر حصن الطائف في أُناسٍ فجاءَ النَّبيَّ ﷺ، فقالا: سَمِعنا النبيَّ ﷺ وهو يقولُ: «مَنِ ادَّعَىٰ إلىٰ غيرِ أبيهِ، وهُوَ يعلمُ أَنَّهُ غيرُ أبيهِ، فالجنةُ عليه حرامٌ»(٢).

قال أبو بكر: فاسمَعوا الآن باباً آخر من هذا الجنس أيضاً في إعلامِ النبيِّ ﷺ حِرمان الجنة لمرتكب بعضِ الذُّنوب والخَطَايا، من الذي ليس بكفرٍ، ولا يزيلُ الإيمانَ بأسرِه، لا علىٰ ما تتوهمه الخوارجُ والمعتزلةُ.

٧٤٢ ـ عن حُذيفةَ؛ أنه بلغه أنَّ رجلاً ينمّ الحديثَ، فقال حذيفةُ: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «لا يَدْخُلِ الجَنَّةَ نَمَّامٌ»(٣).

٧٤٣ ـ عن همَّام بن الحارث قال: كُنَّا عند حذيفةَ، فمرَّ رجلٌ، فقالوا:

---

(١) مع اختلافهما في حكم مرتكب الكبيرة، فالخوارج تكفره، بينما المعتزلة لا تكفره!

(٢) صحيح. وأبو عثمان هو: عبد الرحمن بن مُلٍّ ـ بلام ثقيلة وميم مثلثة ـ ثقة ثبت عابد، روىٰ له أصحاب الكتب الستة.

والحديث رواه البخاري (٤٣٢٦)، ومسلم (٦٣).

(٣) صحيح. ورواه مسلم (١٠٥)، وأحمد (٥/ ٣٩١ و ٣٩٦ و ٣٩٩ و ٤٠٤).

هذا يبلِّغُ الحديثَ، فقال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «لا يدخُلُ الجنَّةَ قتَّاتٌ».
قال سُفيان: والقتَّاتُ: الذي ينمُّ ويُبلِّغ[1].

قال أبو بكر:

فاسمَعوا الآن جنسًا آخر في حِرْمان الجنة مُرتكب الذنوب والخطايا مما ليس بكفرٍ يزيل عن الملّة، ليس معناه على ما يتوهمه الخوارج والمعتزلة.

٧٤٤ ـ عن أبي أُمَامة؛ أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «مَنْ أَقْطَعَ حقَّ امرئٍ مُسْلم بيمينِه، فقد أوْجبَ اللهُ له النَّارَ، وحرَّمَ عليه الجَنَّةَ». فقال رجلٌ: وإِنْ كانَ شَيْئًا يسيرًا؟ قال: «وإن كان قضيبًا من أَرَاكٍ»[2].

---

(١) صحيح. ورواه البخاري(٦٠٥٦)، ومسلم(١٠٥)، والترمذي(٢٠٢٦)، وأحمد (٥/ ٣٩٧و٤٠٤)، وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح».

(٢) صحيح. ورواه مسلم (١٣٧)، والنسائي(٨/ ٢٤٦)، والدارمي(٢/ ٢٦٦)، وأحمد (٥/ ٢٦٠).

٨٣ ـ بَابٌ ذكرُ أخبار ثابتة السَّندِ، صحيحة القوام

قد يحسبُ كثيرٌ من أهل الجهل أنَّها خلاف هذه الأخبار التي قدَّمنا ذكرها

لاختلاف ألفاظها، وليست عندنا مخالفة، سَنبين معناها، ونؤلِّفُ بين المرادِ من كلٍّ منها، بعد ذِكرنا الأخبارَ بألفاظِها، إن الله وفَّق لذلك، وشاءَهُ.

٧٤٦ ـ عن عبد الله قالَ: قال رسولُ الله ﷺ كَلِمَةً، وأنا أقولُ أُخرىٰ: «منْ ماتَ، وهُو يجعلُ لله أنداداً (ندّاً)، دَخلَ النَّارَ». وقلتُ: ومنْ ماتَ، وهُو لا يجعلُ لله أَنْداداً (ندّاً)، دخلَ الجنَّةَ[١].

٧٤٨ ـ عن عبد الله قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «مَنْ مَاتَ يُشْرِكُ بالله دَخَلَ النَّارَ»، وقُلْتُ أَنا: مَنْ مَاتَ لا يُشْرِكُ بالله دَخَلَ الجنَّةَ[٢].

٧٥٢ ـ عن جابر قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَنْ لَقِيَ الله لا يُشركُ به دَخَلَ الجنة، ومن لَقِي اللهَ [وهُو] يُشركُ به دخلَ النَّار»[٣].

٧٥٧ ـ عن جابر قال سئل النبي ﷺ: ما الموجبتان[٤]؟ قال: «[الموجبتان] مَنْ ماتَ لا يُشرِكُ باللهِ شيئًا دخلَ الجنَّةَ ومن ماتَ يُشْرِكُ باللهِ شيئًا دَخَلَ النَّارَ»[٥]

٧٥٨ ـ وقال جابرٌ: سمعتُ النبيَّ ﷺ يقولُ: «إنّ الشَّيطانَ قد يَئِسَ أنْ يَعْبُدَهُ المصَلُّونَ[٦] أبداً، ولكِنَّه في التَّحريشِ بينهم، وقد رضي بذلك»[٧].

---

(١) صحيح. رواه البخاري (٤٤٩٧و٦٦٨٣)، وأحمد (١/ ٤٤٣و٤٦٢و٤٦٤)

(٢) صحيح. ورواه البخاري (١٢٣٨)، و مسلم (٩٢)، وأحمد (١/ ٤٤٣)

(٣) صحيح. ورواه مسلم(٩٣).

(٤)أي: ما الخصلة الموجبة للجنة، وما الخصلة الموجبة للنار؟

(٥)صحيح. ورواه مسلم(٩٣)، وأحمد (٣/ ٣٩١).

(٦)زاد مسلم: «في جزيرة العرب».

(٧)حسن صحيح. رواه مسلم(٢٨١٢)، والترمذي(١٩٣٧)، وأحمد (٣/ ٣١٣)، بهذا المتن غير لفظة: «أبداً». وقال الترمذي: «هذا حديث حسن». قلت: الإسناد حسن، وأما المتن فهو صحيح.

٨٤ ـ باب ذكر أخبار رُويت أيضًا في حِرْمانِ الجنةِ على من ارتكبَ بعضَ المعاصِي التي لا تزيل الإيمان بأسره جهل معناها المعتزلة والخوارج

فأزالوا اسمَ المؤمنِ عن مرتكِبها، ومرتكبِي بعضِها، أنا ذاكرُها ومُبيّن معانيها، ومؤلّف بين معانيها وبين معاني الأخبار التي قدَّمنا ذكرها؛ التي احتج بها المرجئةُ، وتوهّمتْ أن مرتكبَ هذه الذُّنوب والخطايا كاملُ الإيمان لا نقصَ في إيمانِه! إن الله وفّق لذلك، وشاء.

٧٥٩ ـ عن عبد الله بن عَمرو، عن النبيِّ ﷺ قال: «لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنَّانٌ، ولا عَاقٌّ [لوالديه]، ولا مُدْمِنُ خَمْرٍ»[١].

٧٦٠ ـ عن محمد بنِ جُبير بن مُطعِم، عن أبيه قال: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ قَاطعٌ»[٢]. قال: يريد الرحم.

٧٦٣ ـ قال عبد الله بن عمر: قال رسولُ الله ﷺ: «ثلاثةٌ لا ينظرُ اللهُ إليهم يومَ القِيامةِ: العَاقُّ لوالديه، ومدمنُ خمرٍ، والمنَّانُ بما أَعْطَى»[٣].

(وفي رواية: «ثلاثةٌ لا يدخُلُونَ الجنةَ: العاقُّ بوالديهِ، والدَّيوثُ، ورَجلةُ النساءِ»[٤]).

---

(١) صحيح. رواه النسائي (٨/ ٣١٨)، وأحمد (٢/ ٢٠١و٢٠٣)، والدارمي (٢/ ١١٢)، وابن حبان (١٣٨٢) و(١٣٨٣).

ولقد صحح هذا الحديث الشيخ العلامة المحدث أحمد شاكر ـ رحمه الله ـ في بحث له نفيس في تحقيقه للمسند رقم (٦٥٣٧) وجمع طرق هذا الحديث هناك بما لا مزيد عليه، فليراجع.

وأيضًا صححه الشيخ العلامة المحدث محمد ناصر الدين الألباني في «الصحيحة» (٦٧٣).

(٢) صحيح. ورواه البخاري (٥٩٨٤)، ومسلم (٢٥٥٦)، وأحمد (٤/ ٨٠و٨٢و٨٤)، وأبو داود (١٦٩٦) والترمذي (١٩٠٩)، وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح».

(٣) حسن. ورواه النسائي (٥/ ٨٠ ـ ٨١)، وأحمد (٢/ ١٣٤).

(٤) حسن. رواه الحاكم (١/ ٧٢).

٧٦٨ ـ عن أبي بكرة قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَنْ قَتَلَ نفسًا مُعاهدةً بغيرِ حقِّها، حرَّم اللهُ عليهِ الجنَّةَ؛ أن يشمَّ ريحَهَا»[(١)].

■ وفي خبرِ داود بن صالح، عن سالمٍ، عن أبيهِ في بعثتهم الرسول إلى عبد الله بن عمرو للمسألةِ عن أعظم الكبائر قال: إن رسولَ الله ﷺ قال: «مَا من أحدٍ يشربُهَا، فتُقْبَل لهُ صلاةٌ أربعينَ ليلةً، ولا يموتُ في مثانتهِ شيءٌ، إلا حرِّمت عليه بها الجنةُ»[(٢)].

قال أبو بكر: معنى هذا الخبر ـ إن ثبتَ عن النبيِّ ﷺ ـ ما قد أعلمتُ أصحابي منذ دهرٍ طويلٍ، أن معنى الأخبار إنما هو على أحد معنيين:

أحدُهما: لا يدخلُ الجنةَ، أي: بعض الجنانِ؛ إذ النبيّ ﷺ قد أعلمَ أنها جنان في جنة، واسم الجنة واقعٌ على كلِّ جنةٍ منها[(٣)].

فمعنى هذه الأخبار التي ذكرنا: مَنْ فعلَ كذا لبعضِ المعاصي حرَّم الله

---

(١) صحيح. ورواه النسائي(٨/ ٢٥)، وأحمد (٥/ ٣٦و٣٨و٥٢).

(٢) قال الهيثمي في «المجمع»(٥/ ٦٨): «رواه الطبراني في «الأوسط»، ورجاله رجال الصحيح، خلا داود بن صالح التمار، وهو ثقة».

قلت: ولفظ الحديث كما ذكره الهيثمي، هو: «عن ابن عمر؛ أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه جلس بعد وفاة رسول الله ﷺ، فذكروا أعظم الكبائر، فلم يكن عندهم فيها علم، فأرسلوني إلى عبد الله بن عمرو؛ أسأله عن ذلك، فأخبرني أن أعظم الكبائر شرب الخمر، فأتيتهم فأخبرتهم، فأنكروا ذلك، ووثبوا إليه جميعًا، فأخبرهم أن رسول الله ﷺ قال: إن ملكًا من بني إسرائيل أخذ رجلاً، فخيره بين أن يشرب الخمر، أو يقتل صبيًا، أو يأكل لحم خنزير، أو يقتلوه إن أبى، فاختار أن يشرب الخمر، وأنه لما شرب لم يمتنع من شيء أرادوه منه، وإن رسول الله ﷺ قال لنا حينئذٍ: ما من أحد يشربها، فتقبل له صلاة أربعين ليلة، ولا يموت وفي مثانته منها شيء، إلا حرمت عليه الجنة، وإن مات في الأربعين، مات ميتة جاهلية».

ثم رأيته في المطبوع من«الأوسط» برقم(٣٦٥).

(٣) علق الشيخ هراس ـ رحمه الله ـ بقوله: «هذا تأويل لا يصح، فإن أل في الجنة للجنس، فتشمل كل أنواع الجنان، ولا يصح أن يراد بها جنة معهودة، إذ لم يتقدم لها ذكر».

عليه الجنة، أَوْ لم يدخلِ الجنةَ، معناها: لا يدخل بعض الجنان؛ التي هي أعلىٰ وأشرف، وأنبل، وأكثر نعيمًا، وسرورًا، وبهجةً، وأوسع.

لا أنه أرادَ: لا يدخل شيئًا من تلك الجنان؛ التي هي في الجنة[1].

وعبد الله بن عمرو قد بيَّن خبرُه، الذي روىٰ عن النبي ﷺ: «لا يدخلُ الجنةَ عاقٌّ، ولا منانٌ، ولا مدمنُ خمرٍ»، أنه إنما أراد: حظيرةَ القدس من الجنةِ علىٰ ما تأولتُ أحد المعنيين.

٧٧٥ ـ عن عبد الله بن عمرو؛ أنه قال: «لا يدخلُ حظيرةَ القدس سكِّيرٌ، ولا عاقٌ، ولا منَّانٌ»[2].

والمعنى الثاني: ما قد أعلمتُ أصحابي مالا أُحصي من مرةٍ أن كلَّ وعيدٍ في الكتاب والسنة لأهل التوحيدِ فإنما هو علىٰ شريطةٍ، أي: إلا أن يشاء الله أن يعفو[3] ويصفح ويتكرم ويتفضّل، فلا يُعذِّب علىٰ ارتكاب تلك الخطيئة.

إذ الله عزّ وجلّ قد خبّر في محكمِ كتابِهِ أنَّه قد يشاء أن يغفرَ ما دون الشِّرك من الذنوب في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ اللهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ١١٦].

قد أمليتُ هذه المسألة في «كتاب معاني القرآن» الكتاب الأول.

واستدللتُ أيضًا بخبرٍ عن النبيِّ ﷺ علىٰ هذا المعنىٰ، لم أكن ذكرتُه في ذلك الموضع أن النبي ﷺ إنما أراد بقولِهِ: «مَنِ اقتَطَعَ مالَ امرئٍ مُسْلِمٍ بيمينٍ حرَّمَ

---

(١) قال الشيخ هراس ـ رحمه الله ـ: «أحسن من هذا التأويل أن يقال: إن معنىٰ قوله: «لا يدخل الجنة»، أي: لا يستحق دخولها إذا جوزي بذنبه، وقد يعفو الله عنه فيدخلها، أو المراد: أنه لا يدخلها ابتداءً، بل يعذب بقدر ذنوبه، ثم يدخلها».

(٢) صحيح. وهو موقوف له حكم الرفع.

(٣) في «ظ»: «يغفر».

اللهُ عليهِ الجنَّةَ». أي: إلا أن يَشَاءَ اللهُ أن يعفو عنه، فلا يُعاقِبَهُ[1].

قال أبو بكر: فاسمعُوا الخبرَ المصرِّح بصحةِ ما ذكرتُ؛ أن الجنة إنما هي جنان في جنةٍ، وأن اسم الجنة واقعٌ على كلِّ جنةٍ منها على الانفراد، لتستدلوا بذلك على صحة تأويلنا الأخبار؛ التي ذكرنا عن النبي ﷺ: مَنْ فعل كذا وكذا ـ لبعض المعاصي ـ لم يدخل الجنةَ، إنما أراد بعضَ الجنان التي هي أعلى وأشرف وأفضل وأنبل وأكثر نعيمًا وأوسع. إذ محال أن يقول النبيُّ ﷺ: مَنْ فعل كذا وكذا لم يدخل الجنة، يريدُ: لا يدخل شيئًا من الجنانِ، ويُخبر أنه يدخل الجنة[2] فتكون إحدى الكلمتين دافعةً للأُخرى، وأحد الخبرين دافعًا للآخر؛ لأن هذا الجنس مما لا يدخله التناسخ، ولكنه من ألفاظ العامِ؛ الذي يُرَادُ بِهَا الخاص.

٧٧٧ ـ عن أنس بنِ مالك؛ أن أمّ الرُّبَيّع بنت البراء[3] وهي أمّ حارثة بن سراقة أتتِ النبيَّ ﷺ فقالت: يا نبي الله! ألا تحدثني عن حارثةَ بن سُراقة ـ وكان قُتل يومَ بدرٍ، أصابه سهمٌ غَرْبٌ ـ فإن كان في الجنة صبرتُ، وإن كان غير ذلك [اجتهدتُ عليه الثكل!] قال: «يا أم حارثة! إنها جِنانٌ، وإن ابنَكِ أصَابَ الفِرْدوسَ الأعلى»[4].

---

(١) انظر ما تقدم حديث رقم(٧٤٤).

(٢) أي في أخبار أخرى، وتوضيح ذلك أن الرجل الواحد قد يكون فاعلاً لبعض المعاصي التي تصرح الأخبار بأن فاعلها لا يدخل الجنة، ثم يكون هو نفسه فاعلاً لبعض الطاعات التي جاءت الأخبار أيضًا بأن فاعلها يدخل الجنة.

(٣) كذا في الأصول: «أم الربيع بنت البراء»، وهو كذلك في البخاري، وقال الحافظ: «كذا لجميع رواة البخاري، وهو وهم نبه عليه غير واحد من آخرهم الدمياطي». ثم قال: «ووقع في رواية ابن خزيمة المذكورة ـ أي: رواية محمد بن يحيى هذه ـ أن الربيع بنت البراء بحذف «أم» فهذا أشبه بالصواب».

قلت: كذا قال، وفي الأصول التي بين يدي بإثبات «أم»، والله أعلم.

(٤) صحيح. ورواه البخاري (٢٨٠٩و٣٩٨٢و٦٥٥٠ و٦٥٦٧)، وأحمد (٣/ ٢٦٠). =

٧٨٠ ـ عن أنسٍ قال: خرج ابنُ عمّتي؛ حارثةُ نظَّاراً[1] يوم بدرٍ، فأصابه سهمُ غَرْبٍ، فأتت أمُّه الرُّبَيِّع النبيَّ ﷺ، فقالت: يا رسول الله![ألا تحدثني (أنبئني)عن حارثة بن سراقة] إن كان حارثة في الجنّة صبرت [واحتسبت] وإن كان غير ذلك فسترىٰ (اجتهدتُ في البُكَاءِ)، قال: «يا أمّ حارثة! إنّها جِنانٌ، وإنّ حارثةَ في الفِرْدَوسِ الأعلىٰ»[2].

قال أبو بكر: أمليتُ أكثرَ طرق هذا الخبر في «كتاب الجهاد»، وقد أمليتُ في «كتاب ذكر نَعيم الجنة» ذكر درجات الجنة، وبُعد ما بين الدَّرجتين منها.

[وأمليتُ][3] أخبارَ النبيِّ ﷺ: «إنَّ أهلَ الجنة ليَتَراءونَ؛ أهل الغرفِ كما تتراءون الكوكبَ الدُّري في أفقٍ من آفاق السماء؛ لتفاضُلِ ما بينها» وقول بعضِ أصحابه: تلك منازلُ الأنبياء، لا يبلغها غيرُهم، قال: «بلىٰ. رجالٌ آمنوا بالله، وصدَّقوا المرسَلين»[4].

وأمليتُ أخبار النبيِّ ﷺ بين كلِّ درجتين من درجِ الجنة مسيرة مائة عامٍ.

فمعنىٰ هذه الأخبار؛ التي فيها ذكر بعض الذنوب الذي يرتكبه بعضُ المؤمنين ـ فإن النبيَّ ﷺ، يعني قال: إن مرتكبه لا يدخل الجنة ـ معناها: أنه لا يدخلُ العالي من الجنانِ؛ التي هي دارُ المتقين، الذين لم يرتكبوا تلك الذُّنوب والخطايا والحوبات.

=وسهم غربٌ: هو السهم الذي لا يعرف راميه، فإذا عرف راميه فليس بغرب، والمحدثون يحدثونه بتسكين الراء والفتح أجود، وأكثر في كلام العرب. انظر«الغريب» لأبي عبيد (٤/ ٣٤٤ ـ ٣٤٥).

(١) النظار: شديد النظر، وقوله: «نظَّاراً»، قال السندي: «أي: ينظر ما يجري بين الناس».

(٢) صحيح. رواه أحمد (٣/ ٢١٥و٣٨٢ ـ ٣٨٣)، والنسائي (٨٢٣٢)، وابن حبان (٢٢٧٢).

(٣) زيادة من المطبوع.

(٤) انظر«صحيح مسلم» (٢٨٣١).

وقد كنتُ أقولُ ـ وأنا حَدَثٌ ـ: جائزٌ أن يكون معنى أخبار النبي ﷺ «لا يدخلُ النَّار مَنْ كان في قلبه مثقال ذرَّةٍ من إيمانٍ»أي: لا يدخل النار دخولَ الأبدِ كدخولِ أهل الشرك والأوثان ، كما قال النبي ﷺ : «أما أهلُ النارِ؛ الذين هُم أهلُها لا يموتونَ فيها ولا يَحْيون».

أو يكون معناها : أي : لا يدخلونَ النارَ؛ موضع الكفار والمشركين من النارِ ؛ إذ الله عز وجل قد أعلمَ أن للنارسبعة أبوابٍ ، أخبر أن لكلِّ بابٍ منهم جُزءاً مقسومًا ، فقال : ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ . . . ﴾ .

فمعنى هذا الخبر : قد يكون أنهم لا يدخلونَ النارَ؛ موضع الكفار منها؛ لأنّ العلمَ محيطٌ ، أن مَن لم يدخلْ موضعًا ، لم يُقل : يخرج ، وقد أخبرَ النبيُّ ﷺ في الأخبار المتواترة؛ التي لا يدفعها عالمٌ بالأخبارِ، أنه يخرجُ من النار مَنْ كان في قلبه مثقال ذرةٍ من إيمانٍ .

فإذا استحالَ أن يخرج من موضعٍ لم يدخل فيه ، ثبت وبان وصحَّ أن يخرجَ من النار ممن كان في قلبه ذرة من إيمانٍ، إنما أُخرجَ من موضع النار؛ غير الموضع الذي خبّر النبيُّ ﷺ، أنه لا يدخل ذلك الموضع من النار .

فالتأليفُ بين الأخبار المأثورة عن النبيّ ﷺ على ما قد بينا .

وبيقينٍ يعلم كلُّ عالمٍ بلغة العرب أن جائزاً أن يقول القائل : لا أدخل الدارَ ، إنما يريدُ : بعضَ الدور .

كذلك يقول أيضًا : لا أدخل دارَ فلان ، ولفلان دور ذوات عددٍ ، إنما يريد : أني لا أدخل بعضَ دُوره ، لا أنه إنما يريد : لا أدخل شيئًا من دُور فلان والصَّادق عند السامع بين الذي لا يتهم بكذبٍ . إذا سمعه يقول : لا أدخلُ دارَ فلانٍ ، ثم يقولُ بعد مدة قصيرة أو طويلة : أدخلُ دارَ فلان ، لم يتوهم مَن

سَمعَ مِن الصادق هاتين اللفظتين أن إحداهما خلاف الأُخرىٰ ، إذا كان المتكلّم بهاتين اللفظتين عندهم ورعًا دينًا فاضلاً صادقًا .

ويعلم مَن سَمِعَهُ ـ ممن يعلم أنه لا يكذب ـ أنه إنما أرادَ بقوله : لا أدخل دارَ فلانٍ، إذا سمع اللفظة الثانية : أدخل دار فلانٍ ، أنه أرادَ بالدار التي ذكر أنَّه لا يدخلها غير الدار التي ذكر أنه يدخلها .

فإذا كان معلومًا عند السامعين إذ سمِعُوا الصادقَ البارَ عندهم يتكلّم بهاتين اللفظتين أنهما ليستا بمتناقضتين ولا متهاترتين ، وأنهم يحملون اللفظتين جميعًا على الصدق ، ويؤلون بينهما[1] ، وأنه إنما أراد بالدار التي ذكرَ أنه لا يدخلها غيرَ الدارِ التي ذكرَ أنه يدخلها .

وجبَ على كلِّ مسلمٍ يقرّ بنبوّة النبي ﷺ ، ويَستيقن أنه أبرّ الخلق ، وأصدقهم ، وأبعدهم من الكذب ، والتكلم بالتكاذب والتناقض ، أن يعلم ويستيقن أن النبيَّ ﷺ يقول : «لا يدخلُ النارَ مَن كانَ في قلبهِ مثقال ذرةٍ من إيمانٍ» ، يريدُ : لا يدخل شيئًا من المواضع التي يقع عليها اسمُ النارِ ، ثم يقول : «يخرجُ من النارِ من كان في قلبِه ذرة من إيمان» .

لأن اللفظتين اللتين رُويتا عنه إذا حُملتا على هذا ، كانت إحداهُما دافعةً للأخرىٰ[2] ، فإذا تؤولتا على ما ذكرنا ، كانتا متفقتي المعنىٰ ، وكانتا من ألفاظِ

---

(١) أي : يجمعون ويؤلفون بينهما .

(٢) علق هنا الشيخ خليل هراس ـ رحمه الله ـ بقوله : «ليس هناك تدافع ولا تضارب ، ولفظ (لا يدخل النار) خطأ ، والصحيح : يخرج من النار» . أهـ .

قلت : لا أدري ما الذي يقصده الشيخ ـ رحمه الله ـ بقوله : «خطأ» هل يريد أنه لا توجد أخبار هكذا : «لا يدخل النار . . .» ، أم أنه يريد أن الأخبار الواردة بهذا اللفظ لا تصح؟ وسواء هذا أو ذاك أراد الشيخ فمراده ليس بصحيح ؛ لأن الأخبار الصحيحة وردت بذلك ، ومنها ما رواه مسلم (٩١)(١٤٨) من حديث عبد=

العام التي يُراد بها الخاص.

فافهموا هذا الفصلَ لا تُخدعوا، فتضلّوا عن سواء السبيل.

ونقول أيضًا: معلومٌ متيقنٌ عند العرب أن المرء قد يقول: لا أدخل موضعَ كذا وكذا، ولا يدخُل فلانٌ موضعَ كذا وكذا، يريد: مدّةً من المدد، ووقتًا من الأوقات.

قد يجوز أن يقول ﷺ: «مَنْ فَعَلَ كذا وكذا، لم يدخل الجنة». يريد: لم يدخل الجنة في الوقت الذي يدخلها مَنْ لم يرتكب هذه الحوبة، لأنه يُحْبس عن دخول الجنة؛ إما للمحاسبةِ على الذنب، أو لإدخال النار ليعذَّب بقدرِ ذلك الذنب، إن كان ذلك الذنب مما يستوجب به المرتكبُ النارَ، إن لم يعف[1] الله، ويصفح، ويتكرَّم، فيغفر ذلك الذنبَ.

فمعنى هذه الأخبار لم يخل من أحدِ هذه المعاني؛ لأنها إذا لم تُحمل على بعضِ هذه المعاني، كانت على التهاتر والتكاذب.

وعلى العُلماء أن يتأوَّلوا أخبارَ رسولِ الله ﷺ على ما قال عليُّ بنُ أبي طالبٍ:

٧٨٢ - إذا حُدِّثتم عن رسولِ الله ﷺ، فظُنُّوا به الذي هُو أهناهُ، وأهداهُ، وأتقاهُ[2].

=الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل النار أحد في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان...».

(١) في «ظ»: «يغفر».

(٢) صحيح. ورواه أحمد (١/ ٢٦)، وابن ماجه (٢٠).

٨٥ ـ باب ذكر الدليل على أن قوله عزّ وجلّ: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُم ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُم﴾ ليس ينفي أنَّ الله عزّ وجلّ يُحيي الإنسان(١) أكثر من مرتين

على أن مَن ادَّعى ممن أنكر عذابَ القبرِ، وزَعَمَ أن الله لا يُحيي أحداً في القبرِ قبل يوم القيامة، احتجاجاً بقوله: ﴿رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْن وأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ﴾.

وهذه الآية من الجنسِ الذي قد أعلمتُ في مواضع من كُتبنا، في ذكر العدد الذي لا يكون نفياً لما زاد على ذلك العدد، فافهموه لا تغالطوا.

قال الله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَذِهِ اللهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللهُ مائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ﴾ [البقرة: ٢٥٩].

فقد أحيا الله هذا العبدَ مرَّتين قبل البعثِ يومَ القيامة، وسيُبعث يومَ القيامة، فهذه الآية تصرِّح أن الله تعالى عزّ وجلّ قد أحيا هذا العبد مرَّتين؛ إذ قد أحياهُ المرة الثانية بعد مُكثه ميتاً مائة سنة، وسيُحييه يومَ القيامة، فيبعثه.

وقال ـ جلّ وعلا ـ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾ [البقرة: ٢٤٣].

وقد كنت بينتُ في كتابي الأول «كتاب معاني القرآن»، أن هذا الأمر أمر تكوينٍ، أماتَهُم اللهُ بقوله: ﴿مُوتُوا﴾؛ لأن سياق الآية دالٌّ على أنَّهم ماتُوا، والإحياء إنَّما كانَ بعد الإماتة؛ لأن قوله عزّ وجلّ: ﴿ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾، دالٌّ على أنَّهم قد كانوا ماتوا، فأحياهم الله بعد الموت، فهذه الجماعة قد أحياهم الله مرتين قبل البعث، وسيَبعثهم الله يومَ القيامة أحياءً.

فالكتاب دالٌّ على أن الله يحيي هذه الجماعة ـ مع ما تقدَّم من إحياء الله

(١) المراد بعض الناس وليس كلهم.

إياهم ـ ثلاث مرار .

لو كان كما ادَّعت هؤلاء الجهلة أن الله عز وجل لا يُحْيي أحدًا في القبر قبل وقت البعث ، فكيف وقد ثبتَ في كتاب الله ، وسُنن نبيّه ﷺ خلاف دعواهم الداحضة؟!

خبَّرَ اللهُ عزّ وجلّ أن آلَ فرعونَ يُعرضون على النار غُدُوًّا وعَشِيًّا ، وسياقُ الآية دالٌّ على أن النَّار إنما تُعرض عليهم غدوًّا وعشيًّا قبل يوم القيامة ، ومحالٌ أن تُعرض النارُ على جسدٍ لا روحَ فيه ، ولا يعلم أن النار تعرض عليه[1] .

والنبيُّ ﷺ قد خبَّر أيضًا أن النار تُعرض على كُلِّ ميّتٍ إذا كان من أهلها كذلك أخبر أن الجنة تُعرض على كلِّ ميتٍ غدوًا وعشيًا إذا كان من أهلها .

٧٨٤ ـ عن ابنِ عُمر ، عن النبي ﷺ قال : «إذا ماتَ أحدُكُم ، يُعْرَضُ

---

(١) قال الدكتور هراس ـ رحمه الله ـ معلقًا على هذا الموطن :

«إن الآية لا تعني عرض أجسادهم على النار بعد رد الروح إليها ، فإن رد الروح إلى الجسد إنما يكون بقدر السؤال فقط ، ثم تخرج الروح إلى مكانها ؛ إما في الجنة إن كانت مؤمنة ، وإما في سجين ، وأما عرض آل فرعون على النار بالغدو والعشيّ ، فإنما هو لأرواحهم ، وتتألم من ذلك أجسادهم في قبورهم ، من غير أن تحل الأرواح بالأجساد» . أهـ .

وقال ابنُ كثير ـ رحمه الله ـ في قوله تعالى : ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا . . .﴾ الآية :

«أن أرواحهم تعرض على النار صباحًا ومساءًا إلى قيامِ الساعة ، فإذا كان يوم القيامة اجتمعت أرواحهم وأجسادهم في النار . . . ، وهذه الآية أصل كبير في استدلال أهل السنة على عذاب البرزخ» ، ثم قال : «إن الآية دلت على عرض الأرواح على النار غدوًا وعشيًا في البرزخ ، وليس فيها دلالة على اتصال تألمها بأجسادها في القبور إذ قد يكون ذلك مختصًا بالروح ، فأما حصول ذلك للجسد في البرزخ ، وتألمه بسببه ، فلم يدل عليه إلا السنة في الأحاديث المرضية» . أهـ .

قلت : إن الأرواح ممسكة عند خالقها جلّ وعلا ، كما يدل على ذلك قوله تعالى : ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ ويعرض عليها العذاب والنعيم ، ولا ينافي هذا إحساس البدن أو ما بقي منه بما شاء الله من ذلك ، وصرحت الأحاديث الصحيحة على أن الروح تعود إلى الجسد بعد الدفن عند السؤال .

عَلَيْهِ مَقْعَدُه بالغَدَاةِ والعَشِيِّ ، [إنْ كَانَ مِنْ أهْلِ الجنَّةِ فمِنْ أهْلِ الجنَّةِ و] إن كانَ من أهلِ النَّارِ فمن أهلِ النَّارِ ، يُقَال : هذا مقعدكَ حتىٰ تُبعثَ إليه»[1].

قال أبو بكر : وهذا الخبر يبين ويوضّح أن المقبور يحيا في قبره ، ويبين ويوضح أيضًا أن الجنة والنار مخلوقتان ، لا كما زعمت الجهميةُ أنهما لم تُخلقا بعد .

فاسمَعوا خبرًا يدل علىٰ مثل ما دلّت عليه الآي التي تلوتها ، والبيان أن الله عز وجل يُحيي المقبورَ قبل البعث يوم القيامة مما لم أكن ذكرتُه في أبواب عذاب القبر .

إذ ليس في الأخبار التي أذكرها ذكر العذاب ، إنما فيها ذكر الإحياء في القبر ، دون [ذكر] العذاب .

٧٨٥ ـ عن أنسٍ قال : قال رسولُ الله ﷺ : «مَرَرْتُ علىٰ مُوسَىٰ ، وهو يُصَلِّي في قبرِهِ»[2].

---

(١) صحيح . ورواه البخاري(١٣٧٩ و٣٢٤٠ و٦٥١٥)، ومسلم(٢٨٦٦)، والترمذي(١٠٧٢)، وابن ماجه (٤٢٧٠)، وأحمد (٢/ ١٦و٥٠ ـ ٥١و١١٣و١٢٣ ـ ١٢٤)، ومالك في«الموطأ»(١/ ٢٣٩/ ٤٧).

(٢) صحيح . ورواه مسلم (٢٣٧٥)، والنسائي (٣/ ٢١٥و٢١٦)، وأحمد (٣/ ١٢٠).

قال ابن حبان في «صحيحه» (١/ ٢١٦ ـ ٢١٧): «الله جل وعلا قادر علىٰ ما يشاء ، ربما يعد الشيء لوقت معلوم ، ثم يقضي كون بعض ذلك الشيء قبل مجيء ذلك الوقت ، كوعده إحياء الموتىٰ يوم القيامة وجعله محدودًا ، ثم قضىٰ كون مثله في بعض الأحوال ، مثل من ذكره الله وجعله الله جلّ وعلا في كتابهِ حيث يقولُ : ﴿أو كالذي مر علىٰ قريةٍ وهي خاويةٌ علىٰ عروشِهَا قال أنىٰ يُحيي هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثتُ يومًا أو بعضَ يوم قال بل لبثت مائة عامٍ﴾ ، وكإحياء الله جلّ وعلا لعيسىٰ ابن مريم صلوات الله عليه بعض الأموات . فلما صحّ وجود كون هذه الحالة في البشر ، إذا أراده الله جلّ وعلا قبل يوم القيامة ، لم يُنكر أن الله جلّ وعلا أحيا موسىٰ في قبره حتىٰ مرّ عليه المصطفىٰ ﷺ ليلة أسري به ، وذاك أن قبر موسىٰ بمدين بين المدينة وبين بيت المقدس . . . » . أهـ المراد .

تنبيه : ضعف هذا الحديث الشيخ الدكتور هراس ـ رحمه الله ـ فلم يصب في ذلك .

٨٦ ـ باب ذكرُ موضعِ عرشِ اللهِ عزّ وجلّ قبلَ خلْقِ السَّماوات

٧٨٦ ـ عن بُريدة بن حُصَيب[1] قال: دخل قومٌ علىٰ رسولِ الله ﷺ، فجَعلوا يسأَلونَهُ، ويقولُونَ: أَعْطِنا، حتىٰ ساءَهُ ذلك، ثم خرجُوا من عندِهِ، فدخل عليه قومٌ آخرون.

فقالوا: جئنا لنسلِّمَ علىٰ رسولِ الله ﷺ؛ ونتفقَّه في الدِّينِ، ونسأل عن بدءِ هذا الأمرِ. قال: «فاقبلوا بُشرىٰ الله»، وقال ابن مَعمر: «لبشرىٰ الله»، وقالا جميعًا: «إذ لم يقبله أولئك» ـ يعني: الذين خرجُوا من عندِهِ ـ

قالوا: قد قبلنا يا رسولَ الله.

فقال رسولُ الله ﷺ: «كانَ اللهُ ولا شَيء غيره، وكان العرشُ علىٰ الماءِ، وكتبَ في الذِّكر كلَّ شيءٍ، ثمَّ خلقَ اللهُ سبعَ سماوات».

قال: ثم أتاه آت ـ يعني: عمران ـ فقال: إن ناقتَك قد ذَهبتْ. قال: فخرجتُ والسَّرابُ ينقطعُ (يَقطع) دونها، فلوددتُ أني كنتُ تركتُها[2].

---

(١) كذا بالأصول، والصواب: «عن عمران بن حصين»، وانظر التعليق التالي.

(٢) صحيح. ورواه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٣٤١) من حديث بريدة!

قلت: ولكن قوله في الحديث: «عن بريدة بن الحصيب» خطأ، صوابه: «عن عمران بن حصين» إذ الحديث حديث عمران.

ثم رأيت في «الإتحاف» (ج١/ ق١٥٧/ أ) قول الحافظ ـ بعد أن عزاه لابن خزيمة في «التوحيد» والحاكم في «المستدرك» من حديث بريدة ـ قال: «لكنه معلول، والصواب: عن صفوان، عن عمران بن حصين».

قلت: والحديث من رواية عمران بن حصين.

رواه البخاري (٣١٩٠ و٣١٩١ و٣٦٥ و٤٣٦٥ و٤٣٨٦ و٧٤١٨) والترمذي (٣٩٥١)، وأحمد (٤/ ٤٢٦ و٤٣٣).

وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح».

قوله: «كان الله ولا شيء غيره»، جاء في بعض الروايات: «كان الله ولم يكن شيء غيره»، وفي بعضها: «ولم يكن شيء قبله»، وكل هذه روايات البخاري. وجاء في رواية غيره: «ولم يكن شيء معه».

وهناك لفظ، وهو: «كان الله ولا شيء معه، وهو الآن علىٰ ما عليه كان»، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية=

٧٨٧ ـ قال عبدُ الله بن مسعودٍ: ما بينَ السماء والأَرْضِ مسيرة خَمسمائة عامٍ وبصر كلّ سماء خمسمائة ـ يعني: غلظها ـ وما بين السماءين خَمسمائة عامٍ وبينَ الكرسي وبين الماءِ خَمسمائة عام، والعرشُ فوق الماءِ، والله فوق العرشِ وما يَخْفَىٰ عليه من أمرِكم شيءٌ[1].

= علىٰ هذا اللفظ في «الفتاوىٰ» (٢/ ٢٧٢):

«وهذه الزيادة، وهو قوله: «وهو الآن علىٰ ما عليه كان» كذب مفترىٰ علىٰ رسول الله ﷺ، اتفق أهل العلم بالحديث علىٰ أنه موضوع مختلق، وليس هو في شيء من دواوين الحديث؛ لا كبارها ولا صغارها، ولا رواه أحد من أهل العلم بإسناد لا صحيح ولا ضعيف، ولا بإسناد مجهول، وإنما تكلم بهذه الكلمة بعض متأخري الجهمية».

قوله: «كتب في الذكر»، قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «الفتاوىٰ» (١٨/ ٢١١): «أي: اللوح المحفوظ، كقوله تعالىٰ: ﴿ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر﴾، أي: من بعد اللوح المحفوظ».

«السَّراب»: هو ما تراه نصف النَّهار، كأنّه ماء.

وقول عمران: «فلوددت أني كنتُ تركتها»، جاء في رواية البخاري: «أنها ذهبت ولم أقم»؛ لأنه ظن أنه قام قبل أن ينتهي حديث رسول الله ﷺ، فحزن علىٰ ما فاته من ذلك.

قال الحافظ في «الفتح» (٦/ ٢٩٠):

«وفيه ما كان عليه من الحرص علىٰ تحصيل العلم، وقد كنت كثير الطلب لتحصيل ما ظن عمران أنه فاته من هذه القصة، إلىٰ أن وقفت علىٰ قصة نافع بن زيد الحميري، فقوي في ظني أنه لم يفته شيء من هذه القصة بخصوصها؛ لخلو قصة نافع بن زيد عن قدر زائد علىٰ حديث عمران، إلا أن في آخره بعد قوله: «وما فيهن» «واستوىٰ علىٰ عرشه». أهـ.

قلت: ونافع بن زيد الحميري ذكره ابن شاهين في «الصحابة»، وأخرج حديثه ـ الذي أشار إليه الحافظ ـ من طريق إياس بن عمرو الحميري؛ أن نافع بن زيد الحميري قدم وافدًا علىٰ رسول الله ﷺ في نفرٍ من حمير، فقالوا: أتيناك لنتفقه في الدين، ونسأل عن أول هذا الأمر؟ قال: «كان الله ليس شيء غيره، وكان عرشه علىٰ الماء، ثم خلق القلم، فقال: اكتب ما هو كائن، ثم خلق السماوات والأرض وما فيهن، واستوىٰ علىٰ عرشه».

والعجيب أن الحافظ الذي قوي علىٰ ظنه أن عمران بن حصين لم يفته شيء من كلامِ رسول الله ﷺ، محتجًا بحديث نافع بن زيد هذا كما في «الفتح»، هو الذي قال في «الإصابة» (٣/ ٥٤٤) عن هذا الحديث: «فيه عدة مجاهيل»!

(١) حسن. وانظر رقم (١٧٨).

٨٨ ـ ويُلحق في الأبواب التي قدمنا ذكرها في هذا الكتاب

٧٩٢ ـ عن طلحة بن خِراش قال: لقيني جابر بنُ عبد الله، فأخبرني أنَّ رسولَ الله ﷺ لقيه، فقال: «يا جابر! مالي أراكَ مُنْكَسِراً؟» قلتُ: يا رسولَ الله! استُشْهِدَ أبي، وتَرَكَ دينًا عليه وعيالاً. فقال: «ألا أبشّرك بما لقي الله به أباك؟ إنَّ اللهَ لم يكلّم أَحَدًا من خلقِه قطّ إلا من وراءِ حجاب، وإن الله أحيا أباك، فكلمه كِفاحًا، وقال: ياعبدي! تمنَّ عليّ ما شئتَ أُعطِيك، قال: تردّني إلى الدنيا، فأُقتل فيك فقال تبارك وتعالى: لا. إني أقسمتُ بيمينٍ: أنهم إليها لا يُرجعون» يعني: الدنيا[1].

٧٩٤ ـ قال عبدُ الله[2]: كنتُ مُستترًا بأستارِ الكعبة، قال: فجاء ثلاثةُ نفرٍ كَثيرٌ شحومُ[3] بطونِهم، قليلٌ فِقْهُ قلوبِهم ـ قرشيٌّ وختناه ثقفيّان أو ثقفيّ وختناه قُرشيّان ـ قال: فتكلّموا بكلامٍ لم أفهمهُ، فقال أحدُهم: أترون الله يسمعُ كلامَنا هذا؟ قال: فقال الآخرُ: أرى أنّا إذا رفعنا أصْواتَنا سمعه[4] وإذا لم نرفعها لم يَسمعْه، فقال الآخر: إن سمع منه شيئًا سَمِعَه كلَّه، فقال عبد الله: فذكرتُ ذلك للنبيّ ﷺ، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُم ولا أَبْصَارُكُمْ ولا جُلُودُكُم...﴾ [فصلت: ٢٢] إلى آخر الآية[5].

(١) حسن. ورواه الترمذي (٣٠١٣)، وابن ماجه (١٩٠ و ٢٨٠٠)، وأحمد (٣/ ٣٦١).

(٢) هو ابن مسعود رضي الله عنه.

(٣) وفي «ظ»: «شَحْمُ».

(٤) وفي «ظ»: «يسمعه».

(٥) صحيح. رواه البخاري (٤٨١٧ و٧٥٢١)، ومسلم (٢٧٧٥)، والترمذي (٣٢٤٨)، وأحمد (١/ ٤٤٤)، وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح». =

قال أبو بكر: في خبر ابن مسعود الذي أمليتُه في «كتاب الجهاد»، في قوله: ﴿ولا تَحْسَبَنَّ الَّذينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بل أحياءٌ﴾[آل عمران: ١٦٩]. في الجنَّة، فيطَّلعُ عليهم[1] ربُّك إطلاعةً، فقال: هل تشتهُون شيئًا فأزيدكمُوه؟

[فكلّ مَن له][2] فهمٌ بلغةِ العرب يعلمُ أن الاطلاع إلىٰ الشيء لا يكون إلا من أعلىٰ إلىٰ السفل[3].

ولو كان كما زعمتِ الجهميةُ أن الله مع الإنسان، وأسفل منه، وفي الأرضِ السَّابعة السفلىٰ [كما] هو في السَّماء السابعة العُليا، لم يكن لقوله: «فَيطَّلعُ عليهِم[4] ربُّكَ اطِّلاعَةً»[5] معنىً.

=وقوله: «كثير شحوم بطونهم، قليل فقه قلوبهم»، فيه إشارة إلىٰ أن الفطنة قلما تكون مع السمنة.

وقال ابن بطال:

«وفي هذا الحديث إثبات القياس الصحيح، وإبطال القياس الفاسد؛ لأن الذي قال: «يسمع إن جهرنا، ولا يسمع إن أخفينا» قاس قياسًا فاسدًا؛ لأنه شبه سمع الله تعالىٰ بأسماع خلقه؛ الذين يسمعون الجهر ولا يسمعون السر، والذي قال: «إن كان يسمع إن جهرنا فإنه يسمع إن أخفينا» أصاب في قياسه، حيث لم يشبه الله بخلقه، ونزهه عن مماثلتهم، وإنما وصف الجميع بقلة الفقه؛ لأن هذا الذي أصاب لم يعتقد حقيقة ما قال، بل شك بقول: إن كان».

(١) وفي «ظ»: «إليهم».

(٢) زيادة من المطبوع.

(٣) وفي «ظ»: «أسفل».

(٤) وفي «ظ»: «إليهم».

(٥) يشير المصنف إلىٰ ما رواه مسلم (١٨٨٧) من طريق مسروق قال: سألنا عبد الله بن مسعود عن هذه الآية: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قتلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾؟

قال: أما إنا قد سألنا عن ذلك؟ فقال: «أرواحهم في جوف طير خضر، لها قناديل معلقة بالعرش، تسرح من الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلىٰ تلك القناديل، فاطلع إليهم ربك اطلاعة، فقال: هل تشتهون شيئًا؟ قالوا: أي شيء نشتهي؟ ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا. .» الحديث.

٧٩٥ ـ عن أبي هُريرةَ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «تجتمعُ ملائكةُ الليلِ والنَّهارِ في صَلاةِ الفَجرِ، وصلاةِ العصْرِ، فيجتمعونَ، فتصعدُ ملائكةُ الليلِ، وتثبتُ ملائكةُ النَّهار، فيسألهم ربُّك: كيف تركتُم عِبادي؟ فيقولون: أتيناهم وهم يُصلّونَ، وتركناهُم وهم يُصلُّونَ»[1].

وفي الخبر ما بانَ وثبت وصحّ أن الله عزّ وجلّ في السَّمَاء، وأن الملائكةَ تصعدُ إليهِ من الدُّنيا، لا كما زعمتِ الجهميةُ المعطلةُ؛ أنَّ الله في الدُّنيا كهو في السَّماء، ولو كان كما زعمتْ لتقدَّمت الملائكةُ إلىٰ اللهِ في الدُّنيا، أو نزلتْ إلىٰ أسفل الأرضينَ؛ إلىٰ خالقهم! علىٰ الجهميةِ لعائنُ الله المتتابعةِ.

٧٩٧ ـ عن وكيع بن حُدُس، عن عمِّه؛ أبي رَزين قال: قلتُ: يا رسول الله! أكلُّنا يرىٰ ربَّهُ يومَ القيامةِ، وما آيةُ ذلكَ في خلقِه؟ قال: «أليس كلُّهم ينظُرُون إلىٰ القمرِ خَاليًا به»؟ قال: قلت: بلىٰ. قال: «فَاللهُ أعظمُ»[2].

٧٩٩ ـ عن ابن مسعودٍ، عن النبيِّ ﷺ قال: «عَجِبَ ربُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مِنْ رَجُلَين: رجلٍ ثارَ من وِطَائه ولحافِه من بين حِبّه وأهله إلىٰ صَلاته، فيقول ربُّنا: انظروا إلىٰ عبدي ثارَ من فِراشه ووَطائه من بين حِبّه وأهلِه إلىٰ صلاتِه؛ رغبةً فيما عندي، وشفقةً مما عندي. ورجُلٍ غزا في سبيلِ الله، فانهزمُوا، فعلِم ما عليه مِن الفرارِ، وما له في الرُّجوعِ [فرجَع] حتىٰ أُهريق دمُه، رغبةً فيما عندي، وشفقةً مما عندي، فيقول الله عز وجل للملائكةِ: انظروا إلىٰ عبدي رجَع رغبةً فيما عندي، ورهبةً مما عندي حتَّىٰ أُهرِيقَ دمُه»[3].

---

(١) صحيح. وانظر رقم (٢٠٧).

(٢) رجاله ثقات، غير أن في وكيع بن حدس ـ ويقال: عدس، والأول هو الصواب ـ جهالة، وهو مكرر رقم (٣٥٩)، وانظر التصديق بالنظر للآجري رقم (٣٧).

(٣) صحيح. ورواه أحمد (١/ ٤١٦). =

٨٠١ ـ عن عبد الله قال أتىٰ رسولَ الله ﷺ رجلٌ من أهلِ الكتاب، فقال: يا أبا القاسم! إنَّ الله خلقَ السماوات علىٰ إصبعٍ، والأرضَ علىٰ إصبعٍ والشجرَ علىٰ إصبع، والثَّرىٰ علىٰ إصبع، والخلائق علىٰ إصبع، ثم قال: أنا الملك، فلقد رأيتُ رسولَ الله ﷺ ضحك، حتىٰ بدتْ نواجذُه، ثم قال: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ [الأنعام: ٦١][1].

٨٠٣ ـ عن عبد الله، عن النبي ﷺ قال: «لا يدخلُ الجنةَ مَن كانَ في قلبِهِ مثقالُ ذرَّةٍ من كبرٍ، ولا يدخلُ النَّارَ مَنْ كانَ في قلبِهِ مثقالُ ذرةٍ من إيمانٍ». فقال رجل: يا رسول الله الرجلُ يحبُّ أن يكونَ ثوبُه حسنًا ونعلُه حسنًا؟ فقال رسول الله ﷺ: «إنَّ اللهَ جَميلٌ يُحِبُّ الجَمَال، إنَّ الكِبْرَ مَن بَطِرَ الحقَّ وغَمَصَ النَّاس»[2]

قال أبو بكر: هذه اللفظة: «مَن بَطِرَ الحقَّ» من الجنس الذي نقول: إن العربَ تذكر الفعلَ تُريد فاعلَه؛ لأن الكِبْرَ فعلُ المتكبرِ، والمتكبّرُ هو الفاعل، قوله: «إنّ الكبرَ: مَن بطر الحقَّ وغمِصَ الناسَ».

٨٠٦ ـ قال جابر بنُ عبد الله: سمعتْ أُذُناي رسولَ الله ﷺ يقول: «سيَخْرُجُ أناسٌ منَ النَّارِ»[3].

٨٠٧ ـ عن طاوس قال: سمعتُ ابن عباسٍ يقول: اللهمّ تقبَّل شفاعةَ

=وروىٰ أبو داود (٢٥٣٦) القسم الخاص بالثبات في الغزو.

«ثار»: قام ونهض. «وطائه»: خلاف الغطاء، وفراش وَطيء: لا يؤذي جنب النائم. «حبه»: حبيبه.

(١) صحيح. وتقدم برقم(١٢٣).

(٢) صحيح. ورواه مسلم(٩١)، وأبو داود (٤٠٩١)، والترمذي(١٩٩٨)، وابن ماجه(٩٥ و٤١٧٣)، وأحمد (١/ ٤١٢و٤١٦). وقال الترمذي: «حسن صحيح».

وقوله: «بطر الحق»: هو أن يتكبر عند الحق، فلا يقبله. وغمص الناس، وغمطهم: أن يحتقرهم، فلا يراهم شيئًا، وفيه لغتان ـ غمط وغمص ـ بكسر الميم وفتحها.

(٣) صحيح. وانظر (٥٥٢).

محمدٍ الكبرىٰ، وارفعْ درجتَه العُليا، وأعطِه سُؤله في الآخرةِ والأولىٰ، كما آتيتَ إبراهيمَ ومُوسىٰ»[1].

٨٠٨ ـ عن أنسٍ؛ أن النبيَّ ﷺ قال: «لَيُصيبنَّ أقوامًا سَفعٌ من النَّارِ [عقوبةً] بذُنُوبٍ أصابُوها، ثمَّ ليدخِلَهم الله الجنَّةَ بفضلِ رحمتِهِ»[2].

٨٠٩ ـ عن أنسِ بن مالكٍ؛ أن نبيَّ الله ﷺ قال: «لكلِّ نبيٍّ دعوةٌ، دعا بِهَا في أمَّتِهِ، وإنّي اختبأتُ دَعوتي شفَاعةً لأمَّتي يومَ القيامةِ»[3].

٨١٠ ـ عن قتادة قال: قلت لبلال بن أبي بردة: حدثنا الحسن قال: إن أبا مُوسىٰ الأشعري كان له أخٌ، يقالُ له: أبو رُهْم[4] وكان يتسرع[5] في الفتنة، وكان الأشعريُّ ينهاه، وقال: لولا ما قُلتَ ما حدَّثْتُك أبدًا، سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «مَا مِن مُسلمين تواجَها بسَيْفيهِما فقتل أحدُهما الآخرَ إلا دخلا النَّارَ جميعًا». فقيل له: هذا القاتلُ، فما بال المقتولِ؟ قال: «إنه أرادَ قتلَ صاحبِهِ».

(١) صحيح. ورواه عبد الرزاق (٣١٠٤).

(٢) صحيح. وتقدم برقم (٥٣٦).

(٣) صحيح. وتقدم برقم (٥٠٧).

(٤) تحرف في «ظ» إلىٰ: «أبو زيد»، وإنما هو «أبو رهم» كما في الأصل.

وقال الحافظ في «الفتح» (٧/ ٤٨٥):

«بضم الراء وسكون الهاء، واسمه: مجدي، بفتح الميم وسكون الجيم وكسر المهملة وتشديد التحتانية، قاله ابن عبد البر، وجزم ابن حبان في «الصحابة» بأن اسمه محمد، ويعكر عليه ما تقدم قبل من المغايرة بين أبي رهم ومحمد بن قيس، وذكر ابن قانع أن جماعة من الأشعريين أخبروه، وحققوا له، وكتبوا خطوطهم أن اسم أبي رهم «مجيله» بكسر الجيم بعدها تحتانية خفيفة، ثم لام، ثم هاء».

قلت: علىٰ أية حال فهو معروف بكنيته، وهو صحابي، خرج أبو موسىٰ وأخوان له، أحدهما: أبو رهم، والآخر: أبو عامر إلىٰ الحبشة، وعادوا إلىٰ رسول الله ﷺ حين افتتح ﷺ خيبر، فقال ﷺ: «لكم الهجرة مرتين، هاجرتم إلىٰ النجاشي، وهاجرتم إليّ». رواه البخاري (٧/ ٤٨٤ ـ ٤٨٥/ فتح)، ومسلم (٢٥٠٢).

(٥) في «ظ»: «يسرع».

قال بلالٌ: لا أعرف أَبَا رُهْم[1].

٨١١ ـ عن [محمد بن] عُقبة قال: خَطَبَ مُعَاويةُ، فتكلَّمَ بشيءٍ مما ينكر الناس فردَّ عليه فتىً واحد، فَسُرَّ[2] وأعجبه، ثم قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «يكونُ أمراء يقولون، فلا يُردّ عليهم، يَتَهافَتُون في النَّارِ، يتبع بعضُهم بعضًا»[3].

٨١٢ ـ عن جابرِ بن عبد الله؛ أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «يَخْرُجُ أقْوَامٌ مِنَ النَّارِ قَدِ احْتَرَقُوا إلا دائِرَةَ وجُوهِهِم، فيدخُلُونَ الجنَّةَ»[4].

٨١٣ ـ عن عُمر؛ أنَّ رسولَ الله ﷺ أمرَ أن يُؤذِّنَ في الناسِ أنَّ: «مَنْ شَهِدَ أَنْ لا إِلَهَ إلا الله وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، مُخْلِصًا، فَلَهُ الْجَنَّة». فَقَالَ عُمَر: إذًا يَتَكِلُوا[5]. قالَ: «فَدَعهُم»[6].

قال أبو بكر: يردُّ كلُّ خبرٍ من هذه الأخبار إلى مَوْضِعه من بابِه، وقد بيَّنتُ في أبوابها مَعانيها كلّها، وألفتُ بين ألفاظِها في المعاني، وإن كان ألفاظُها مختلفة عند أهلِ الجهلِ والزَّيغِ.

---

(١) صحيح لغيره. ورواه أحمد (٤/ ٤٠٣ و٤١٠ و٤١٨) وابن أبي شيبة (١٥/ ٤٤/ ١٩٠٦٧)، والنسائي (٧/ ١٢٤ ـ ١٢٥)، وابن ماجه (٣٩٦٤).

وللحديث شاهد من رواية أبي بكرة ـ رضي الله عنه ـ.

رواه البخاري (٣١) و(٦٨٧٥) و(٧٠٨٣)، ومسلم (٢٨٨٨)، وغيرهما بلفظه.

(٢) في الأصل: «فتبرأ»! والمثبت من «ظ».

(٣) حسن. رواه أبو يعلى (١٣/ ٣٦٧)، والطبراني في «الكبير» (١٩/ ٣٤١).

(٤) صحيح. ورواه مسلم (١٩٠) (٣١٩).

(٥) تحرف في الأصل إلى: «يتكلمون»! والمثبت من «ظ».

(٦) حسن. وتقدم برقم (٦٩٦).

٨١٥ ـ عن عِرَاك بن مالكٍ؛ أنه سمعَ أبا هُريرة رضي الله عنه يقولُ: إن رسولَ اللهِ ﷺ قال: «لا تَرْغَبُوا عن آبائِكم، فَمَنْ رَغِبَ عنْ أبيهِ فقد كَفَرَ»[1].

قال أبو بكر: هذه اللفظة: «فقد كفرَ» من الباب الذي قد أمليتُ في «كتابِ الإيمان»، أن اسمَ الكفر [قد][2] يقعُ على بعضِ المعاصي الذي لا يزيل الإيمانَ بأسرهِ وإنما ينقُص من الإيمانِ، لا يذهبُ به جميعًا.

تم الانتهاء من تهذيب

«كتاب التوحيد»

لإمام الأئمة؛ محمد بن إسحاق بن خزيمة

عند أذان العشاء يوم الاثنين العاشر من شهر الله المحرم

سنة خمس وعشرين وأربعمائة وألف من هجرة المصطفى ﷺ.

وهو اختصاري الثاني لهذا الكتاب المبارك بعد أن فقدت اختصاري الأول

أسأل الله عز وجل أن يجعل كل ذلك في موازين حسناتي

وأن يتجاوز عن زلاتي

وانتهيت من مراجعته عند أذان العشاء يوم الثلاثاء ١٨ رجب ١٤٢٦هـ

ثم انهيت مراجعته مرة أخيرة ضحى الخميس ٢١ / ٥ / ١٤٢٨هـ

---

(١) صحيح. ورواه البخاري (٦٧٦٨)، ومسلم (٦٢) غير أن عندهم: «فهو كفر»، بدل: «فقد كفر».
وقال الحافظ في «الفتح» (١٢/ ٥٥): «كذا للأكثر ـ أي: فهو كُفر ـ وكذا لمسلم، ووقع للكشميهني: فقد كفر».
رواه أحمد (٢/ ٥٢٦)، وعنده: «فإنه كُفرٌ».
ورواه أبو عوانة (١/ ٢٤)، وابن حبان (١٤٦٦)، وعند ابن حبان: «فقد كفر»، وعند أبي عوانة: «فهو كفر»، وفي رواية له: «فإنه كافر».

(٢) زيادة من «ظ».



فهرس المـــوضـــوعـــات

تم بحمد الله



رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com